بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة اليرموك
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

تمثيلات القيم العليا في أدب السرد عند جبران خليل جبران

Representations of high values in Gibran Khalil Gibran's narratives.

إعداد:

أسماء عابد خزاعلة

إشراف الأستاذ الدكتور:

نبيل حداد

حقل التخصص – أدب ونقد

1433هـ / 2011م

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

تمثيلات القيم العليا في أدب السرد عند

جبران خليل جبران

إعداد:

أسماء عابد خزاعلة

بكالوريوس في اللغة العربية وآدابها / جامعة آل البيت 2003م

ماجستير لغة عربية / أدب ونقد / جامعة آل البيت 2006م

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة دكتوراة فلسفة في تخصص اللغة العربية / الأدب والنقد في جامعة اليرموك.

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د نبيل حداد ..... مشرفاً ورئيساً

أ.د أحمد ماضي..... عضواً

أ.د خليل الشيخ..... عضواً

أ.د زياد الزعبي..... عضواً

أ.د فادية السيوفي..... عضواً

تاريخ المناقشة: 27 / كانون أول / 2011م

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الإهداء

إلى مَنْ آثرتُ مُرافقته في رحلة العمر...

وبدأتُ أرى الطريقَ معه مزهراً

إلى الدكتور محمد الرقيبات

أُهدي ما صَحَّ من عملي

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فهرس المحتويات

الإهداء ..... ج

فهرس المحتويات ..... د

الملخص باللغة العربية ..... ز

مقدمة 1

التمهيد: مفهوم القيم العليا وآفاقها المشتركة 8

الفصل الأول: جبران وأدب السرد..... 15

المبحث الأول: مقاربة عامة 16

1- النشأة والظروف الشخصية 17

2- روح العصر 25

3- الشرق والغرب 29

المبحث الثاني: مؤلفات جبران السردية 33

1- الرواية والريادة 36

2- القصة القصيرة 43

3- المقالة 52

4- أدب التأملات 54

الفصل الثاني: تفاعل السرد مع فكرة العدالة الإنسانية..... 58

1- قيمة العدالة في أدب السرد عند جبران 60

2- العدالة الإنسانية في رواية الأجنحة المتكسرة 64

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

3- العدالة الإنسانية في قصص جبران القصيرة 73

4- العدالة الإنسانية في مقالات جبران 86

5- العدالة الإنسانية في أدب التأملات عند جبران..... 93

الفصل الثالث: آفاق الرؤية الاجتماعية: (الفرد والمؤسسة) 98

المبحث الأول: ثنائية الفرد والمؤسسة في الأدب الجبراني 100

المبحث الثاني: نصوص تطبيقية 107

المبحث الثالث: القيم العليا في ظل "فردية" النبي الجبراني 119

الفصل الرابع: خطاب جبران وقيم الحرية والمساواة 126

المبحث الأول: حرية المرأة في خطاب جبران 130

1- حرية المرأة والمجتمع الشرقي 131

2- حرية المرأة والتقاليد الدينية 142

أ- نماذج الخضوع والاستسلام 142

ب- نماذج التمرد والتحرر 144

المبحث الثاني: الكنيسة وخطاب الحرية 148

1- موقف الكنيسة من جبران وأدبه 149

2- الكنيسة والحرية الفكرية 154

3- الكنيسة وحرية التعبير 159

الفصل الخامس: القيم العليا وفلسفة الفن 167

المبحث الأول: فلسفة المحبة قيمة عليا 169

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المبحث الثاني: القيم العليا: تجليات سردية 177

- خاتمة..... 184

- ثبت المصادر والمراجع..... 187

- الملخص باللغة الإنجليزية..... 193

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الملخص

خزاعلة، أسماء عابد. تمثيلات القيم العليا في أدب السرد عند جبران خليل جبران.

أطروحة دكتوراة بجامعة اليرموك، 2011 (المشرف: أ.د. نبيل حداد).

يهدف هذا البحث إلى دراسة تمثيلات القيم العليا في أدب السرد عند جبران خليل جبران، ويسعى إلى إثبات فرضية أن المضمون يعكس صورة المجتمع وأن هناك علاقة بين الأدب وفلسفة القيم العليا يكشف عنها المضمون والشكل معا، فالشكل يحمل الرؤية، ويكسب العمل الأدبي معنى مناسبا.

جاء البحث في مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة، وقد خصصت التمهيد لعرض مفهوم القيم العليا وآفاقها المشتركة، وتناولت في الفصل الأول جبران وأدب السرد، وفيه مقاربة عامة لنشأته، وظروفه الشخصية، وروح العصر، وأثر الشرق والغرب في تكوين شخصيته، وتم التطرق لأدب السرد عند جبران، وريادته في العمل الروائي، وإبداعاته في مجال القصة القصيرة، والمقالة، وأدب التأملات.

وفي الفصل الثاني دراسة لتفاعل السرد مع فكرة العدالة الإنسانية؛ وفيه عرض لقيمة العدالة في أدب السرد عنده من خلال: رواية الأجنحة المتكسرة، وقصصه القصيرة، ومقالاته، وتأملاته. أما في الفصل الثالث، فقد تمت مناقشة آفاق الرؤية الاجتماعية في الأدب الجبراني. وفي الفصل الرابع دراسة لخطاب جبران، وقيم الحرية والمساواة؛ من خلال حرية المرأة في خطاب جبران، والكنيسة وخطاب الحرية. وخصص الفصل الخامس لمناقشة القيم العليا وفلسفة الفن.

ثم أنهيت البحث بخاتمة أشرت فيها إلى أهم النتائج التي تم التوصل إليها.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المقدمة

انبعثت فكرة هذا البحث في ذهني حين كنت أستعد لكتابة رسالة الماجستير في الأدب الحديث، وقد كنت وقتها على علاقة وثيقة مع الأدب المهجري الذي غالبا ما يسحر قارئه بجمال لغته وفنية صوره وإبداع تأليفه، ومضمونه الداعي للتحرر والانطلاق. وربما يكون للأدب المهجري دور كبير في انبثاق سؤال الحرية الذي كان يطل علينا في معظم الروايات العربية الحديثة والمقالات التي كانت تنشر في الصحف والمجلات المختلفة مطالبة بدحض الظلم والاستبداد والقمع والتعسف في مجالات الحياة المختلفة، وحينها اتجهت لدراسة "النسيج اللغوي في نثر الرابطة القلمية" للنظر في العلاقة بين لغة الأدب المهجري المتفردة بكثير من سماتها ومضمونه الداعي إلى الحرية والحق، والنظر إلى كل ما في الكون بعين الجمال، فدرست النسيج اللغوي في نثر الرابطة القلمية، وكشفت عن بعض الجوانب التي دفعت المهجريين لاستخدام مثل ذلك النسيج اللغوي المكون لأعمالهم الأدبية.

وكان من أبرز النتائج التي توصلت إليها في بحثي كشف العلاقة التي ربطت بين لغة المهجريين ورؤيتهم للعالم، وكان جل اهتمامي هو البحث في لغة الرابطيين، والكشف عن أسرار سحرها، وظل المضمون بما يحمله من قيم عليا مغيبا بعض الشيء لأن المجال لا يسمح إلا بالإشارة إليه إشارات تخدم علاقته باللغة.

وظل ذلك المضمون يلح علي، ويستوقفني مرات كثيرة ليؤكد لي ريادته في السعي لتحقيق القيم العليا في مضمون الأدب العربي الحديث، وخاصة الرواية منه، ومن هنا استعرضت كتّاب الرابطة القلمية فوجدت جبران خليل جبران أكثرهم تمثيلا لتلك المعاني،وأكثرهم إنتاجا بعد ميخائيل نعيمة، وأكثرهم تنوعا في الأنواع الأدبية؛ فقد كتب الشعر والرواية والقصة القصيرة والمقالة والخاطرة وما أطلق عليه " أدب التأملات" أو " الشذرات

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفلسفية، فجبران يعد واحدا من الرواد العرب في الفكر والأدب والفلسفة الإنسانية في العصر الحديث، وينتمي إلى جيل الرواد الموسوعيين الذين تعددت أوجه إبداعهم، وتنوعت مجـالات عطائهم، فكان شأنه شأن مجايليه من أمثال طه حسين والعقاد والمازني وغيرهم كاتب رواية مبدعا، بل إن بعضهم يعده رائدا في هذا الحقل من خلال روايته " الأجنحة المتكسرة " التـي صدرت عام 1912م ، وهي رواية شبه مكتملة بمقاييس الفن الروائي التي سادت القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، وهي بذلك تكون قد سبقت رواية "زينب " لمحمـد حسين هيكل بعامين على الأقل، كما يعد جبران رائدا كذلك في فن القصة القصيرة،وهو كاتب مقالة متفرد في عمق أفكاره وروعة أسلوبه، وهو أيضا كاتب رسائل وشاعر مجيـد وفنـان تشكيلي وموسيقي بارع .

زخرت أعمال جبران الأدبية بالنماذج الإنسانية الرومانسية ووصف الطبيعة، والإشادة بالروح الكلي الذي يكتنف الوجود من وجهة نظره، كما اهتم بتـصوير المـشاعر الإنـسانية والمعاني السامية، وقد لاحظت أن جبران على الرغم مما حظي به من اهتمام من جانب النقاد والدارسين فإن إبداعاته في السرد لم تحظ إلا بالتفاتات مجتزأة، ولم تدرس تلـك الإبـداعات دراسة متعمقة على النحو الذي تتطلع إليه هذه الدراسة، لذا ارتأيت أن تكون إبداعاته السردية بعطائها الفكري الزاخر وإسهامها الذي لم يتوقف تأثيره حتى يومنا هـذا فـي الأدب والفـن العربيين،رأيت أن تكون إطارا وموضوعا لأطروحتي.

ومن هنا بدأت الأسئلة تتزاحم في فكري حول الأدب الذي كان وليد بيئتـين: البيئـة الشرقية، والبيئة الغربية، وما بين البيئتين من مفارقات وتناقضات كثيرة، يبدو أولها جليا في التحرر الذي تمنحه البيئة الغربية لكل من يسكنها، والقيد الذي تفرضه البيئة الـشرقية علـى ساكنيها، ولم يكن لجبران إلا أن يجرب القيد أولا، ويجرب الانطلاق ثانيا، ثم يعود للقيد مرة

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

أخرى، فينطق لسانه بصراخ الحرية، ويثور ويتمرد، فتتجب ثورته حينا، وتجهض أحيانا أخرى، فيظل بحره بين المد والجزر إلى أن تهدأ عاصفة نفسه، فيجنح نحو مثالية عظمى يطمح أن تسود العالم، لينتفي معها الظلم والاستعباد.

يثير النظر في مضمون الأدب الجبراني المتطلع إلى كثير من المثل العليا عددا من الأسئلة لعل من أبرزها: هل عكس أدب جبران صورة المجتمع الطامح للحرية والحق والعدالة؟ وهل أوجدت أعماله حلا مثاليا لأزمة الحرية التي عانى منها المجتمع الشرقي؟ وقبل ذلك كله هل كان لنشأة جبران وظروفه الشخصية وتنقله بين الشرق والغرب علاقة لما جاء من نزوع واضح نحو القيم العليا في أدبه؟ ثم هل كان لخطاب جبران المباشر في مقالاته وقصصه وشتى أعماله أن يؤثر ويغير ما كان عليه المجتمع؟ هل كان يمكن أن يغيب عن فكره الواعي حرية الفكر وحرية المرأة وحرية المجتمع؟ وفي ظل هذه الأسئلة وغيرها تبدأ الحيرة وربما تراجع الهمم عندما نتذكر بأن جبران فرد أمام مؤسسة، سواء أكانت مؤسسة دينية أو سياسية أو اجتماعية أو غيرها، وغالبا ما يهزم الفرد أمام سلطة المؤسسة مهما كان على حق،ويبقى السؤال الأهم الذي يجمع إجابة كل ما سبق هو كيف تمثلت القيم العليا في أدب جبران، وهل صورت واقعا وحققت أثرا ؟ وقد عقدت العزم على محاولة إيجاد إجابة عن تلك الأسئلة التي تلح بالظهور.

كان أدب جبران قد لقي اهتماما واضحا من قبل الدارسين من نواح متعددة، لما له من خصوصية تميزه عن غيره، بشكل عام، وبوصفه أدبا مهجريا، بشكل خاص، من تلك الدراسات ما تناول إنتاج جبران الأدبي من زاوية معينة، مثل دراسة إميل يعقوب " جبران واللغة العربية " ودراسة "جان لوسيرف " (النزعات الصوفية عند جبران خليل جبران)، ودراسة كمال وهبي " وجه

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أمي وجه أمتي" التي درست أدب جبران من الوجهة النفسية، ودراسة عبد العزيز النعماني " جبران بين التمرد ومصالحة النفس " التي درست جبران في مراحل حياته المختلفة وانعكاسها على أدبه.

ومن الدراسات حول أدب المهجر ما اهتم بدراسته بصورة عامة، وبذلك تعرضت لأدب جبران بالوصف والتحليل بوصفه أدبا مهجريا، كدراسة عيسى الناعوري " أدب المهجر ودراسة صابر عبد الدايم" أدب المهجر: دراسة تأصيلية لأبعاد التجربة التأملية في الأدب المهجري، ودراسة عبد الكريم الأشتر "النثر المهجري " في الجزء الأول المتضمن موضوع المضمون وصورة التعبير، والجزء الثاني المتضمن موضوع الفنون الأدبية.

ومن الدراسات ما جمع بين جبران وغيره من المهجريين في موضوع واحد، كدراسة نعوم أبو جودة "المجتمع المثالي في فكر جبران ونعيمة " ودراسة محمد الصايغ " بين جبران ونعيمة وثائق لم تنشر " ودراسة نادرة السراج " ثلاثة رواد من المهجر ".

في هذه الدراسات بعض الإشارات لنزوع جبران نحو قيم الحرية والعدالة، والثورة على الظلم والتمرد على التقاليد، إلا أنه لا توجد فيما أعلم دراسة مستقلة وشاملة تفرد موضوع القيم العليا في أدب السرد عند جبران خليل جبران.

ومن الدراسات التي توازي هذه الدراسة في بعض جوانبها دراسة جمانة السالم " الحرية والعدالة في روايات نجيب محفوظ 1959-1989م " المقدمة في كلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية لعام 2006م، ودراسة "الحرية والعدالة في شعر صلاح عبد الصبور " المقدمة في كلية الدراسات العليا في جامعة بيروت العربية لعام 2008م.

وقد شجعني عدم وجود دراسة خاصة بهذا الموضوع للبحث فيه، خاصة أن أغلب الأدب الحديث يعبر عن القيم العليا كأبرز قضية يمكن أن يحملها الأدب العربي الحديث، ويمكن لأدب

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

جبران أن يمثل ريادة هذا المضمون خاصة أن جبران –كما ذكرت سابقا– قد طرق معظم الأنواع الأدبية.

وقد قام هذا البحث على فرضية أن المضمون يعكس صورة المجتمع وأن هناك علاقة بين الأدب وفلسفة القيم العليا يكشف عنها المضمون والشكل معا، فالشكل يحمل الرؤية ويكسب العمل الأدبي معنى مناسبا.

وقد وجدت بأن هذا البحث يقتضي قراءة نقدية موضوعية واعية لأدب السرد عند جبران، ومعنى أن تكون القراءة النقدية موضوعية هو أن تتبع منهج التحليل الداخلي للأعمال الأدبية، دون أن أقيد نفسي بتصورات إيديولوجية مسبقة، لكنني أمنح النص فرصة دفعي تجاه منهج أو مناهج تعينني على فهم النصوص من الناحيتين الشكلية والمضمونية، مع الأخذ بعين الاعتبار الأدوات التي توفرها مناهج النقد الحديثة لا سيما الجمالية منها.

وقد اشتمل هذا البحث على مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة، ففي التمهيد وعنوانه "مفهوم القيم العليا وآفاقها المشتركة " حاولت الرجوع إلى نظرية القيم بوصفها موضوعا فلسفيا، ومحاولة الربط بين مفهوم القيم في بداية البحث فيها عند " كانت " والفلاسفة من بعده، بثالوث القيم العليا التقليدية "الحق والخير والجمال " وما يتفرع عنها من عدل وسلام وحرية، ومدى ارتباط تلك القيم مع بعضها، وعلاقة تلك القيم بمناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية، والأهم من ذلك كله هو علاقة تلك القيم مع الفن، ولأن الفنان فرد من أفراد المجتمع يقدس القيم، ويسعى لتحقيقها، وينتج أدبا يصدر عن تلك القيم، ويدعمها لذلك خصصت الفصل الأول من هذه الدراسة للحديث حول شخصية جبران وأدب السرد عنده، فجاء المبحث الأول من الفصل الأول عن نشأة جبران وظروفه الشخصية، وعن روح العصر الذي عاش فيه والمؤثرات التي كونت جبران وأعني مؤثرات البيئة الشرقية في لبنان، ومؤثرات البيئة الغربية في الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا كله

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يمكن أن يؤثر في أدب جبران؛ فيعبر عندها عن القيم التي سعى لتحقيقها أو التي عاش في ظلها، بل دعمها من خلال كلمته، ثم عرضت في مبحث خاص في الفصل الأول لأدب السرد عنده بداية مع الرواية، وله رواية واحدة، ثم القصة القصيرة، وله ثمان قصص قصيرة، ثم المقالات، ويمكن حصر معظمها بكتابي "العواصف" و"البدائع والطرائف"، ثم أدب التأملات الذي يشمل أغلب إنتاج جبران باللغة الإنجليزية، وبعض مؤلفاته العربية على اختلاف نوعها الأدبي، وبهذا أكون راعيت في ترتيبي السابق حجم الإنتاج الأدبي بداية من الأقل إلى الأكثر.

أما في الفصل الثاني وعنوانه "تفاعل السرد مع فكرة العدالة الإنسانية"، فقد وقفت على قيمة العدالة الإنسانية وتفاعلها مع السرد، فجاءت مقدمة الفصل حديثا عاما عن قيمة العدالة عند جبران، وملامح تلك القيمة في مختلف أنواع السرد عنده، وجاء بعدها تفصيل خاص لقيمة العدالة الإنسانية وتمثلها في كل من رواية "الأجنحة المتكسرة"، ومجموعة " عرائس المروج" القصصية، ومجموعة "الأرواح المتمردة" القصصية ببحث تمثيلات العدالة في القصص التي كانت تدعم تلك القيمة، ثم ما جاء في مقالات جبران بعد تصنيفها إلى ثلاثة أنواع، وأخذ نموذج من كل نوع يعبر عن تمثل قيمة العدالة، وأخيرا البحث في تأملات جبران، وربما يعد هذا من أصعب المحاور، لأن التأمل سمة وليس نوعا، فكان علي أن أنعم النظر في جل ما كتب جبران، لأفرد تأملاته في محور خاص.

وفي الفصل الثالث وعنوانه" آفاق الرؤية الاجتماعية كالفرد والمؤسسة " أبحث في ثنائية الفرد والمؤسسة في الأدب الجبراني، وأطرح بعض الأمثلة التطبيقية من النصوص الجبرانية التي تمثل ثنائية الفرد والمؤسسة من أنواع أدبية مختلفة.

وقد وجدت أن البحث في فكرة العدالة يقود إلى البحث في قيم الحرية والمساواة، وقد جاء الفصل الرابع وعنوانه" خطاب جبران، وقيم الحرية والمساواة" موضحا تمثل قيم الحرية والمساواة التي لا تنعزل عن قيمة العدالة الإنسانية، وقد لاحظت أن خطاب جبران موجه إلى جهتين : المرأة،

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

والكنيسة، لذلك أفردت كل جهة منهما بالبحث، وحاولت الكشف عما إذا كانت المرأة عند جبران تشكل رمزا، ثم كيف وجه جبران خطابه للكنيسة التي يعتبرها المؤسسة الأكثر اضطهادا للحرية الإنسانية.

وفي الفصل الخامس وعنوانه" القيم العليا وفلسفة الفن " أحاول الكشف عن فلسفة جبران باعتماده المحبة أساسا لتحقيق القيم العليا في مبحث خاص، ثم أعرض لبعض النماذج التي تجلت فيها القيم التي سعى جبران لترسيخها في المجتمع من خلال تجليات سردية تجمع بين القيم وتكشف عن مدى ارتباطها مع بعضها.

وقد اشتملت الخاتمة على أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة.

أما الصعوبات التي واجهتني في البحث، فتتمثل في جدة الموضوع وقلة الدراسات الموازية التي تبحث في مفهوم أو تمثل القيم العليا في الأدب، وكذلك كثرة إنتاج جبران السردي، وكتابة بعضها بالانجليزية، مما يحتاج مني لقراءات متتابعة؛ لتظل الصورة واضحة وحاضرة في ذهني، ولا بد من الاعتراف أن هذه الدراسة وإن أجابت عن بعض الأسئلة المثارة في هذا الموضوع إلا أنها قد تكون تركت أبوابا كثيرة مفتوحة لأسئلة تنتظر البحث.

ولا يفوتني أن أتقدم بوافر الشكر والتقدير من أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور نبيل حداد؛ الذي رافق ميلي لهذا الموضوع، ولم يبخل علي يوما بتوجيهاته وملاحظاته العلمية التي خدمت البحث، وتشجيعه ودعائه الدائم لي، فجزاه الله عني خير الجزاء، كما أتقدم بالشكر إلى أعضاء اللجنة الأفاضل لتفضلهم بقبول مناقشتي في هذا العمل، وإبداء ملاحظاتهم القيمة التي سترفع من سوية هذا العمل، وستكون موضع عنايتي بعون الله تعالى.

الباحثة

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تمهيد: مفهوم القيم العليا وآفاقها المشتركة:

تشترك كثير من معاجم المصطلحات الفلسفية في تعريفها للقيمة، فهي " ما قوِّم به مقوم، وفي الرياضة نقول إن "ا" هي قيمة "س" وكذلك في المنطق الرمزي نطلق كلمة قيمة على الاسم الذي نضعه مكان الرمز في دالّة القضية لتتحول إلى قضية."[1]

أما تعريف القيمة بطريقة شمولية فقد تباينت فيها الاتجاهات والنزعات التي تعالج مشكلة القيمة، وما يعنينا هو تعريف القيمة من حيث هي غاية تنشد لذاتها، وهي بذلك باطنية ذاتية تستقل بنفسها، فقيمتها في ذاتها، وتسمى القيم من هذا النوع بالقيم أو المثل العليا، وهي وحدها موضع بحث الفيلسوف[2].

بدأ وجود مصطلح القيم في المعاجم الفلسفية منذ زمن قصير، فقد بدأت نظرية القيمة بوصفها موضوعا من موضوعات الفلسفة مع بداية القرن التاسع عشر، وما يزال مفهوم القيمة معرضا للنمو والتطور حتى يومنا هذا، فلو تجاوزنا فلسفات الإغريق، ومقولات أفلاطون، التي ترى في الخير أو القيمة تتويجا لعالم المثل، ولو تجاوزنا ما جاء به فلاسفة العصور الوسطى تحت اسم الخير أو الخير الأقصى أو الكمال عند "توماس الأكويني " (Thomas Aquinai) في توحيده بين القيمة العليا، والعلة الأولى، أي الله، بوصفه كائنا حيا أزليا خيّرا، لو تجاوزنا هذه النظريات وصولا لمفهوم القيمة من حيث هي عنوان جديد لموضوع جديد، لوجدنا أن الانطلاقة تبدأ من " كانت" الذي يعده البعض فيلسوفا للقيمة على الأصالة . [3]

---

1 محمد فتحي عبدالله. **معجم مصطلحات المنطق وفلسفة العلوم للألفاظ العربية والإنجليزية والفرنسية واللاتينية**، دار الوفاء، الإسكندرية، 2002، ص 206

2 توفيق الطويل. **أسس الفلسفة**، النهضة العربية، القاهرة، 1967، ص 304

3 صلاح قنصوة. **نظرية القيم في الفكر المعاصر**، ط2، دار التنوير، لبنان، 1984م، ص 18-19 .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وقد مثلت الفلسفة الأخلاقية عند " كانت" (Kant) أكمل الأشكال الموجودة في مجال الفلسفة الأخلاقية، واعتبرت فكرة الصدق العام، أو القانون العام من الأفكار الرائدة في مجال فلسفة الأخلاق عنده [1] واستطاع " كانت " أن يعرض أخلاق الواجب بصورة نقية وواضحة ، رغم ما أخذ عليه من التشدد والنزعة الصورية المتطرفة.[2]

وفي مقارنة "صلاح قنصوة "بين ما جاء عند "كانت " في كتبه، وبين ثالوث القيم التقليدية: الحق والخير والجمال، وجد أن نقد العقل النظري عند " كانت " يبحث في الحق، وأن نقد العقل العملي عنده يتناول قيمة الخير، ويعالج نقد ملكة الحكم عنده قيمة الجمال.[3]

تعود البداية النظرية للقيمة إلى الفلاسفة الكانتيين، ف"بنكة "(Penke) يقيم أخلاقه العملية كلها على مشاعر القيمة، و" لوتسه " (Lotze 1817-1881) هو أول من استخدم لفظ القيمة، و"نيتشة " (Nietzsche 1844-1900)هو وحده الذي استطاع أن يتيح لمصطلح القيمة إذاعته واتساعه بين الناس، وهو المسؤول عن سيادة القيمة تصورا أسمى وأقصى للفلسفة، ففلسفة "نيتشه" يمكن أن تعد نظرية في القيمة لأنه يتخذ القيمة مبدأ لمذهبه وغاية، ولأنه يرى الحياة عملية متصلة من التقويم والبحث عن الحقيقة[4]، أما عند " ريتشل " (Ritschel 1822-1829) فقد احتلت القيمة مركز الصدارة في مسائل الدين، وإليه تنسب تبعة التفرقة بين أحكام القيمة، وأحكام الواقع، وأما "فندلباند" (windelband 1848-1915) فعلم القيم عنده هو الفلسفة نفسها.[5]

---

[1] وفاء القاشوطي. **القيم في فلسفة ماكس شلر**، ط1، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، 2004م، ص 244.

[2] زكريا إبراهيم. **كانط وفلسفته النقدية**، مكتبة مصر، القاهرة، د.ت، ص27

[3] صلاح قنصوة. **نظرية القيم**، ص19-20 .

4 **المرجع ذاته**، ص 38

[5] **المرجع ذاته**، ص 19

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University

يرى"زكي نجيب محمود " في الممائلة التي يعقدها في كتابه " فلسفة وفن " بين الربان في السفينة، وبين القيم في الإنسان أن الإنسان بما يغمر رأسه من قيم يدركها بالفطرة، أو تبث في نفسه بثا، فيبدو ساخطا حينا، وراضيا حينا، أو مستسلما حينا، وثائرا حينا، والناظر إليه قد لا يعرف لهذا تفسيرا، وهو بهذا يشبه السفينة التي تمخر عباب البحر، فيلطمها الموج حينـــا، ويسكن البحر من حولها حينا، أو تعصف بها الريح حينا، وتسكن حينا، لكنها في واقع الأمـــر تسير إلى هدف معلوم بفضل ربانها الذي يقودها ويسيرها حيث يشاء، والناظر إليها من بعيد لا يرى ربانها الذي يلوذ بمقصورته، وهو في سفينته بمثابة القيم في رأس الإنسان. ويخلص "محمود " إلى أن الناس يقسمون هذه القيم ثلاثة أقسام كبرى، تندرج تحتها جل المعاني التـــي تضبط مسالك الإنسان في حياته، وهي " الحق والخير والجمال"، في مقابل ثلاثـــي: الإدراك والسلوك والوجدان، التي تملك حياة الإنسان. [1]

ومن قيم الحق والخير والجمال تتفرع قيم أخرى يصعب على الإنسان أن يضحي بها، وهي: العدل والسلام والحرية، فالناس على إدراك تام ووعي كامل بأنه لا حيـــاة لهـــم إلا إذا طبقت العدالة بينهم، فلا حياة بغير عدل يوازن بين مصالحهم .[2] وقد وجد أن ارتباط العدالـــة بالسلام ارتباط وثيق، حيث لخص هذه العلاقـــة الفيلـــسوف الإنجليـــزي "تومـــاس هـــوبز " (Thomas Hobbes) في قوله: " إن الأصل في قيام مجتمع وعليه سلطان يحكمه، هـــو أن الأفراد في حالتهم الهمجية لم ينعموا بحياة مطمئنة، إذ كانوا في حرب دائمة يفتك فيها بعضهم

[1] زكي نجيب محمود. **فلسفة وفن**، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت، ص 64.

[2] **المرجع ذاته**، ص66

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ببعض، وينهب فيها بعضهم بعضا، ثم أرادوا السلام فتهادنوا على مجتمع يقيم بينهم ميزان العدل "[1].

كما وجد أن ارتباط العدالة بالحرية وثيق، حيث تبدأ العدالة في أي مجتمع من الإيمان بحرية الفرد والجماعة، التي لا تكون بإلغاء حرية الآخرين[2]، فلا وجود للحرية في ظل خضوع المجتمعات للنظام الطبقي، المتمثل في وجود طبقات متميزة، لأسباب دينية أو سياسية أو تاريخية أو اقتصادية على حساب طبقات أخرى لا تملك امتيازات الطبقة الأولى.

وقيمة الحرية هي القيمة التي لا خلاف على ضرورتها، وإنما الخلاف قد يقع على اتساع نطاق تطبيقها أو ضيقه، فالحرية هي: " تهيئة الظروف المواتية لكل فرد أن يعبر عن طبيعته، وعن كيانه، وعن وجوده في نوع العمل الذي يؤديه " [3].

وعلى الرغم مما حظي به ثالوث القيم التقليدي: الحق والخير والجمال، عند كل من تناول موضوع القيم بالدراسة في أواخر القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين، فإن الدارسين لم يعفوا أنفسهم من مواجهة البحث عن وحدة القيم أو تعددها، فمنهم من يوحد بين الحق والخير، أو بين الحق والجمال أو الجمال والخير، ومنهم من يوحد بين القيم الثلاث على أن تكون الغلبة لواحدة منها، ومنهم من يكتفي بالقيمة مفهوما عاما، ومنهم من يضيف لهذه القيم قيمة رابعة هي القيمة الدينية، ومنهم من يضيف القيم السيكولوجية والقيم التاريخية أو الاجتماعية. [4]

---

[1] نقلا عن: زكي نجيب محمود. **فلسفة وفن**، ص69 .

[2] مصطفى محمود. **المثقف والسلطة**، ط1، دار قباء، القاهرة، 1998م، ص480 .

[3] زكي نجيب محمود. **فلسفة وفن**، ص70.

[4] صلاح قنصوة. **نظرية القيم**، ص 50.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويخلص " عادل العوا" في دراسته " العمدة في فلسفة القيم " إلى أن القيم تتوزع على ثلاثة أقسام:

-القيم الاجتماعية، بما تشتمل عليه من شعور اجتماعي فطري، وشعور بالتضامن والتعاون والولاء المحدود، والولاء الإنساني.

– القيم الاقتصادية، بما تشتمل عليه من نشاط اقتصادي وعمل وعدالة.

– القيم الأخلاقية، بما تشتمل عليه من قيم الواجب والحق والعدل والفضيلة والخير والقيمة الأخلاقية.[1]

وعلى أية حال، فإن القيم لا تنفصل عن الفاعلية الإنسانية، حيث تتجلي الفاعلية الإنسانية في صور متباينة من الفلسفة والدين والفن والعلم، وتسودها القيم دون استثناء.[2]

وهكذا تستند القيم إلى أساس فلسفي، سواء في اتجاهها إلى النقد أو الإبداع فهي التي تبرز المبادئ، وتكشف الافتراضات، وتناقش القيم الرئيسة ظاهرة أو خافية وراء مشكلات الثقافة السائدة...، وهذا يعمق إحساس الإنسان بقيمه ويدعم قدرته على توجيهها[3].

فالفلسفة إذن أداة أخلاقية تثير إحساسنا بالقيم، وليست مجرد قوة فكرية تعمل على تغيير المجتمع، وتتحكم في سير الأحداث.[4] " والدين هو الوعي بتلك القيم والغايات والسعي دوما إلى تدعيمها والتوسع في نشر أثرها، وهو مصدر للمثل العليا وملاذ لكل ما تؤثره بالخير والتفضيل "[5].

---

[1] انظر: عادل العوا. **العمدة في فلسفة القيم**، ط1، دار طلاس، دمشق، 1986م، ص425-528 .

[2] صلاح قنصوة. **نظرية القيم**، ص211.

[3] **المرجع ذاته**، ص215

[4] زكريا إبراهيم. **مشكلة الفلسفة**، مكتبة مصر، القاهرة، 1971م، ص252.

[5] صلاح قنصوة. **نظرية القيم**، ص218.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

" والعلم هو المهد الطبيعي والعالم الذي يحقق فيه الإنسان القيم والمثل العليا والدار التي تمكن الإنسان من بلوغ غاياته في رحابها "[1]

أما الفن فهو "الذي يصدر عن القيم ويدعم القيم، فالموسيقى إذا ما فقدت قيمتها الفنية فهي محض جلبة وضوضاء، ولوحة المصور دونها مجرد ضربات فرشاة، والشعر إذا خلا منها فهو ألفاظ منظومة، وهكذا في سائر الفنون "[2].

الفنان أو الأديب، هو فرد من أفراد المجتمع يقدس القيم ويسعى لتحقيقها، إلا أن خبرته وغنى تجاربه تميزه عن غيره من أفراد المجتمع؛ مما يجعله قادرا على توضيح تلك القيم أو التوسع بها أو إضافة ما يمكن إضافته إليها، أو الكشف عن جوانب خفية منها.[3]

وما يهمنا في هذه الدراسة هو القيم التي صدر عنها أدب السرد عند جبران والقيم التي دعمها هذا الأدب بوصفه فنا أدبيا متعدد الأنواع، وبخاصة أن جبران كان من أوائل الأدباء العرب الذين آمنوا بأن الأدب هو رسالة سامية تؤديها الألفاظ المكتوبة، وأن رسالته هي أن يفتح عيون الناس على الجمال والحق، ويقودهم إلى ينابيع الحب والحرية.[4]

كما أن المعروف عن شخصية جبران أنها " تجنح في عمقها نحو مثالية لا تعترف بالإنسان إلا متعبدا في محراب القيم العليا من خير ومحبة وعدالة وجمال "[5].

---

[1] صلاح قنصوة. **نظرية القيم**، ص226.

[2] **المرجع ذاته**، ص221.

[3] إبراهيم الصحراوي. **الحرية والإبداع**، ط2، منشورات جامعة فيلادلفيا، الأردن، 2002م، ص58.

[4] عيسى الناعوري. **أدب المهجر**، ط3، دار المعارف، مصر، 1977م، ص347.

[5] نزار هنيدي. **هكذا تكلم جبران، دراسة في الأدب الجبراني**، ط ا، مؤسسة علاء الدين للطباعة والتوزيع، دمشق، 2004م، ص 14.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

من هنا فقد خصص الفصل الأول للحديث عن شخصية جبران من حيث النشأة وروح العصر الذي عاشه والمؤثرات التي دفعت به إلى حيث سار، ليعقب هذا عرض عام لمؤلفاتـــه السردية العربية والمعربة، للوقوف فيما بعد على القيم العليا في أدب السرد عنده .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الفصل الأول:

جبران وأدب السرد

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

يضم الفصل الأول من هذه الدراسة مبحثين، يقف الأول منهما عند نـــشأة جبـــران، وظروفه الشخصية، وروح العصر الذي عاشه، وتأثير البيئتين :بيئة الشرق وبيئة الغرب في حياته.

ويقف المبحث الثاني عند الأنواع الأدبية النثرية التي تناولها جبران، من رواية وقصة قصيرة ومقالة وحكم وأمثال وما أطلق عليه أدب التأملات، حيث يهتم هذا المبحـــث بحـــصر الأعمال السردية الكاملة لجبران خليل جبران مع تصنيفها حسب نوعها الأدبي، حيث ينطوي النوع الأدبي على فلسفة محددة، وخصوصية واضحة.

المبحث الأول: مقاربة عامة

- النشأة والظروف الشخصية
- روح العصر
- الشرق والغرب

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

النشأة والظروف الشخصية:

ولد جبران خليل جبران في السادس من كانون الثاني سنة 1883م في قرية "بـشرّي" إحدى قرى لبنان القائمة على كتف وادي "قاديشا " التي ترتفع عن سطح البحر مـا يقـارب 1450مترا، وتغرق في زرقة عميقة، وخضرة دائمة، وهواء عليـل، وفيهـا نـشأ جبـران، وتفتحت عيناه على ذلك الجمال الطبيعي، فعاشه بروحه وحسه.[1]

أما والده خليل جبران فقد كان مدمنا على شرب الخمر، مهملا لشؤون عائلته، وأمـا والدته فهي كاملة رحمة ابنة الكاهن الماروني أسطفان رحمة، كان قد سبق لها الـزواج مـن رجل من أقاربها يدعى حنا رحمة، وأنجبت منه ابنها بطرس الذي يكبر جبران بست سنوات، ثم أنجبت من خليل جبران، جبران ومريانا وسلطانة.

كانت الأم شديدة الاهتمام بأبنائها، تكرس جل وقتها لرعايتهم مما قرب جبـران مـن أمه، فأثرت بذلك على شخصية جبران الذي نشأ متديناً بعكس والده، فقد كان جبـران محبـا للطقوس الدينية، حريصا على حضورها، وكانت سنواته الأولى مزيجا من التأمل والتفكيـر [2] الذي أسفر فيما بعد عن رؤية عميقة ترتبط بأساس فكري عميق.

ولم يقف هذا التأثر عند حدود الدين، بل أصبح فيما بعد أثرا واضـحا فـي تكـوين الجوانب الشعورية والفنية وزرع المطامح في نفسه.[3]

بيد أن تأثر جبران بأمه بدأ يختفي حين بدأت نفسه تجره إلى العنف في رأيه، فكـان يجد من أمه الموعظة ليرتد عن هذا العنف، ومن والده التشجيع والحث على العنف، ليـصبح

---

[1] ثروت عكاشة. **روائع جبران خليل جبران**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ت، ص8 .

[2] **المرجع ذاته**، ص10.

[3] أنطون كرم. **محاضرات في جبران خليل جبران، سيرته وتكوينه الثقافي -مؤلفاته العربيـة**، ط1، معهـد الدراسات العربية العالمية، القاهرة، 1964م، ص 14.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

جبران متأثرا ببعض صفات والده التي كانت توائم طبعه المتمرد، فقد كان والـداه نقيـضين، وفي الوقت الذي كان يسعى فيه الوالد لتعليم جبران طريق الكسب والعمل، وتحمـل مـشاق الحياة، كانت الأم تعقد العزم على أن يمضي ابنها في التعليم والدرس والتحصيل، مما دعاها إلى الهجرة إلى أمريكا، حيث كانت هجرة العائلات اللبنانية إلى الولايات المتحدة منتشرة فـي ذلك الوقت طلبا للرزق، فهاجرت عائلة جبران دون الأب، سنة 1895م، وسكنت في الحـي الصيني في مدينة بوسطن.[1]

وهناك بدأت العائلة بالعمل، فعمل بطرس بمساعدة أختيه مريانا وسلطانة فـي إدارة أحد المتاجر.[2]

أما جبران فقد نأت به أمه عن العمل، وهيأته للدرس والتحـصيل، فـدخل مدرسـة "كوينسي " الشعبية المجانية، وبعد المدرسة كان جبران يختلف إلى نوع من الأسواق الثقافية، تلقى فيها القصائد، وتمثل فيها المسرحيات الشعبية، وتمارس فيها الفنون الجميلة[3]، وبعدها بدأ جبران يظهر ميلا للرسم والتصوير، وهو في الرابعة عشرة من عمره، فلفـت ذلـك انتبـاه معلمته، فأوصلته إلى " فريدهولاند داي "(Fred Holland Day 1864-1933) وهـو أحـد الأثرياء، يحب الفنانين، ويشجع الموهوبين، وحين تعرف على جبران أحبه، وعطف عليـه، وتبنى موهبته، وأخذ يشجعه على القراءة ويعيره بعض الكتب ليقرأهـا، ومنهـا "القـاموس الكلاسيكي " ل"جون لامبيير " هذا الكتاب الذي كان له دور كبير في إدخال الشك فـي نفـس جبران بالقيم الموروثة [4].

---

[1] ثروت عكاشة. **روائع جبران**، ص12 .

[2] جميل جبر. **جبران خليل جبران في حياته العاصفة**، ط1، مؤسسة نوفل، بيروت، 1981م، ص22.

[3] **المرجع ذاته، والصفحة ذاتها.**

[4] **المرجع ذاته**، ص23.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

بعد ذلك أصبح لجبران صداقاته المختلفة، وعلاقاته الاجتماعية التي قادته إلى الوقوع في تجربة الإغراق في ذلك المجتمع، مما دعا أمه إلى التفكير في إرساله إلى لبنان بـــدعوى تعلم اللغة العربية في مدرسة الحكمة في بيروت[1]، فوافق جبران على طلب أمه رغبة منه في تعلم اللغة العربية، والتعرف إلى بلاده مسقط رأسه.[2]

وفي عام 1898م عاد جبران إلى لبنان، والتحق بمدرسة الحكمة، وفيها تعرف إلـــى الأدب العربي قديمه وحديثه، فقد كان مقرر العربية في مدرسة الحكمة يتضمن مختارات من الأدب القديم في مختلف العصور، كما استطاع الإلمام باللغة الفرنسية، التي مكنته من الاطلاع على الأدب الفرنسي، وتمكن في سنته الأخيرة في الحكمة بفعل مواهبه الفكرية من الاشتراك مع رفاقه يوسف الحويك وبشارة الخوري من إنشاء دورية أدبية، أسموها الحقيقة،كان جبران محررا فيها، وفنانا تشكيليا يزين صفحاتها بالتخطيط والرسوم[3].

وفي تلك الأثناء كان جبران قد تعرف على "حلا الظاهر" ابنـــة أحـــد المـــلاك فـــي بيروت،وأحبها، ولكن هذا الحب لقي من المواجهة ما يوقفه عند حده، فما أن علم أخـــو حـــلا بعلاقة جبران الجدية بأخته حتى منعها من لقائه، فهو لا يدانيها نسبا ومستوى[4]، فظل جبـــران يلتقيها سرا، إلا أن رقابة أخيها المشددة عليها منعت جبران مرة أخرى من الالتقاء بها، وقبل أن يغادر بيروت عائدا إلى بوسطن ودعها وافترقا.[5]

---

[1] جميل جبر. **جبران في حياته العاصفة**، ص25

[2] ميخائيل نعيمة. **جبران خليل جبران، حياته، موته، أدبه، فنه**، ط 8، مؤســـسة نوفـــل، بيـــروت، 1978م، ص54.

[3] خليل حاوي. **جبران خليل جبران، إطاره الحضاري، وشخصيته، وآثاره**، نقله إلى العربية: ســـعيد فـــارس باز، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1982م، ص94-95.

[4] جميل جبر. **جبران في حياته العاصفة**، ص35 .

[5] **المرجع ذاته**، ص36.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وكان نبأ وفاة أخته سلطانة بمرض السل قد وصله قبل أن يغـادر بيـروت، وكـان المرض قد انتقل بالعدوى إلى أخيه بطرس وأمه، فمات بطرس سنة 1903م ولحقت به أمـه بعد ثلاثة أشهر من السنة نفسها، وخلفا جبران ومريانا في حزن عميق، وفقر مدقع.[1]

وفي لحظة يأس فكر جبران بالعودة إلى بيروت مرة أخرى، وحدث والده بهذا، إلا أن الديون التي تراكمت عليه، وما كان يسعى إليه من شهرة فنية في جو من الحريـة والعـدل أرغمه على البقاء فلم يعد.[2]

وفي سنة 1904م أقام جبران معرضا لرسومه في بوسطن، ومضى عليه أيـام ولـم تذكره الصحف إلا تنويها، ولم يحقق ذلك النجاح الذي كان يحلم به جبران، فلم يكن معرضـه ناجحا، وعلى حد تعبير ميخائيل نعيمة: " وهو الفشل بعينه، والفشل الذي ما بعده فشل "[3].

ورغم هذا الفشل إلا أن المعرض لفت نظر عدد من النقاد والمتفرجين، كان من بينهم مديرة إحدى المدارس في بوسطن التي زارت المعرض، فأدهشها خيال جبران وفكره، وتلـك هي "ماري هاسكل "(Mary Haskell)* التي أصبحت فيما بعد الإنسان الأكثر تأثيرا في حياة جبران.[4]

منذ ذلك اللقاء بين جبران وماري تعهدته بالرعاية والاهتمام، وتبنت موهبته، وساعدته حتى آخر لحظة في حياته، إلى أن تقدم في عالم الرسم، وبدأ يفكر في عالم الكتابة، فنشر أولى محاولاته في كتاب باللغة العربية سنة 1905م بعنوان "الموسيقا" وبعده بعـام نـشر كتـاب

---

[1] ميخائيل نعيمة. **جبران خليل جبران**، ص70.

[2] جميل جبر. **جبران في حياته العاصفة**، ص 49.

[3] ميخائيل نعيمة. **جبران**، ص73.

[4] جلال المخ. **جبران خليل جبران بين المصلوب والمجنون**، ط1، دار المعارف، سوسـة، تـونس، 1997، ص11.

* من الممكن تشكيل اسم "سلمى كرامة" من خلال حروف هذا الاسم.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

"عرائس المروج "، وفي عام 1908م بعثت ماري بجبران إلى باريس ليتعلم في معهد الفنون الجميلة، ويحقق حلمه وطموحه الفني، وهناك التقى ب"رودان"(Rodan) النحـــات الفرنـــسي الكبير الذي كان له الأثر الكبير على جبران.

بدأ جبران يحقق النجاح تلو النجاح، ولم يقف تأثير رودان بجبران عند حد الفن، بـــل تعداه إلى الأدب، فعن طريق رودان اكتشف جبران " وليام بليك " (William Blake) الفنان والشاعر الإنجليزي (1757-1827م) فسمع من رودان حديثه عن بليك، وكيف تعانقت فـــي روحه آلهة التصوير مع آلهة الشعر، فكان شاعرا مميزا في فنه، وفنانا مميزا فـــي شـــعره، وكان "يرى ما لا يراه الناس"[1] فأعجب به جبران، وتأثر به إذ كان يرى أن آلهة الشعر وآلهة التصوير قد تعانقتا كذلك في روحه [2]، كما تعرف على "نيتشة" (Nietzsche) في كتابه " هكذا تكلم زرادشت" وتأثر به، فعند عودته من باريس إلى نيويورك كان يحمل معه نسخة مخطوطة من روايته "الأجنحة المتكسرة " ونسخة مطبوعة من كتاب نيتشة "هكذا تكلم زرادشت "[3].

يقول نعيمة: "كلما فكر جبران بنيتشة تخيله كالأرض يضيق صدرها بما فيه من نيران فتفرج عنه ببركان "[4]، وفي موضع آخر يقول نعيمة: " ما عرف جبران نيتشة حتى كاد ينسى كل من عرفهم قبله من كبار الكتاب والشعراء"[5]، ويقـــول أيـــضا: " ومـــا اســـتأنس جبـــران بزرادشت نيتشة حتى أحس بوحدة أقسى من ذي قبل تكتنفه أينما سار ، وبغربة تقصيه عـــن ماضيه إلى حد أنه صار يخجل أمام نفسه من كل ما كتبه وصوره حتى ذلك الحين "[6].

---

[1] ميخائيل نعيمة. جبران، ص 106.

[2] جلال المخ. جبران بين المصلوب والمجنون، ص14.

[3] ميخائيل نعيمة. جبران، ص126.

[4] المرجع ذاته، ص 138.

[5] المرجع ذاته، ص 142.

[6] المرجع ذاته، ص 143.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفي سنة 1909م تلقى جبران نعي أبيه، فكتب إلى ماري هاسكل:

" فقدت والدي، توفي في بيتنا القديم، حيث أبصر النور قبل خمس وستين سنة، وكلما أعـدت قراءة رسالتيه الأخيرتين بكيت بكاء مرا، كتب إلي أصدقاؤه وقالوا إنه باركني قبـل موتـه، وأعلم يقينا أنه يستريح الآن في حضن الله، ورغم هذا أشعر بمرارة اللوعة والأسف"[1].

عاد جبران بعد ذلك إلى بوسطن، وعرض على ماري الزواج، فرفـضت عرضـه، لأنها ترى في هذا الزواج إفسادا لما بينهما من صداقة صافية، ولا تريـد اسـتبدالها بعلاقـة جسدية لا حرارة فيها.[2]

وأسس جبران في سنة 1911م مع بعض رفاقه المناضلين اللبنانيين الحلقة الذهبيـة، وهي واحدة من التنظيمات السياسية الداعية للاستقلال والتحرير[3]، فجبران لم يكن بمعزل عن الأحداث السياسية الصعبة التي كان يعيشها لبنان.

وفي السنة التالية نشر جبران روايته الوحيدة " الأجنحة المتكسرة"، وكان إهداؤها إلى ماري هاسكل، وهو إهداء يستجمع عناصر الرومانسية التي سادت فيما بعد في إصداراته كلها: "إلى التي تحدق بالشمس بأجفان جامدة، وتقبض على النار بأصابع غير مرتعشة، وتسمع نغمة الروح الكلي من وراء ضجيج العميان وصراخهم، إلى MEH أرفع هذا الكتاب "[4].

بعد ذلك بدأ جبران بمراسلة الأديبة اللبنانية مي زيادة التي كانت تقيم في مصر، وظل يراسلها حتى نهاية حياته دون أن يلتقي بها مرة واحدة في حياته، وكان آخر ما تلقته مي من

---

[1] جميل جبر. **جبران في حياته العاصفة**، ص 86.

[2] جلال المخ. **جبران بين المصلوب والمجنون**، ص15.

[3] جميل جبر. **جبران في حياته العاصفة**، ص 116.

[4] جبران خليل جبران. **المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران العربية**، تقديم: ميخائيل نعيمـة، دار صادر ودار بيروت، بيروت، 1964م، ص169.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

جبران في 26 آذار سنة 1931م قبل وفاته بأسبوعين.[1] وكان لمي أثرها ودورها في حياة جبران، ومن رسائله لها ما يؤكد أن مي كانت عند جبران تمثل الحب العارم للوطن ولروحانية الشرق، وترتبط بالدم العربي الذي كان يجري في عروقه.[2]

وفي سنة 1914م أصدر جبران كتاب "دمعة وابتسامة " وهو مجموعة من المقطوعات الشعرية والمقالات أهداها كذلك إلى ماري هاسكل، وبعده بخمس سنوات أصدر قصيدة "المواكب " سنة 1919م، وبعدها أصدر "العواصف "سنة 1920م؛ وهو مجموعة من القصص القصيرة والمقالات التي نشر بعضها في المجلات والصحف، وفي السنة ذاتها أصدر كتاب "المجنون " (The Mad Man) وكتاب " السابق " (The Forerunner) باللغة الإنجليزية، وفي هذه السنة أيضا، نبتت فكرة الرابطة القلمية التي أسسها جبران مع عدد من الأدباء في المهجر الشمالي، فكانت مركز انطلاق الأدب المهجري، وقد حملت ثورة على الجمود والتقليد، وهدفت إلى تحرير الأدب العربي من قشوره.[3]

وفي العام 1923م نشر كتاب " البدائع والطرائف " وفيه كثير من الرسوم لبعض الشعراء والفلاسفة القدماء، كما ظهر كتاب "النبي" (The Prophet) في تلك السنة، ونفدت الطبعة الأولى منه بنسخها الألف والثلاثمائة في شهر واحد، وترجم إلى عشرات اللغات، ولم يفق " النبي " مبيعا في الولايات المتحدة إلا الكتاب المقدس.[4]

---

[1] جبران خليل جبران. **الشعلة الزرقاء، رسائل جبران خليل جبران إلى مي زيادة**، تحقيق وتقديم: سلمى الحفار الكزبري وسهيل بشروئي، ط2، مؤسسة نوفل، بيروت، 1984م، ص 25.

[2] **المصدر ذاته، والصفحة ذاتها.**

[3] جميل جبر. **جبران في حياته العاصفة**، ص 198.

[4] جلال المخ. **جبران بين المصلوب والمجنون**، ص19.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كما نشر كتابه " رَمْلٌ وزَبَد " (Sand and Foam) في عام 1925م، وهو مجموعة من الحكم والأقوال والأمثال، وفي سنة 1928م أصدر كتابه " يسوع ابن الإنسان " (Jesus The Son of Man)، وفي سنة 1931م ظهر كتاب " آلهة الأرض" (The Earth Gods)، أما كتابه "التائه" (The Wanderer) فقد ظهر بعد وفاته، ففي ليلة العاشر من نيسان سنة 1931م توفي جبران في سرطان الكبد وبداية سل في إحدى رئتيه[1]، وظل جثمانه يومين في نيويورك ليودعه من شاء من أصحابه ومحبيه، نقل بعدها إلى بوسطن إلى أن قر رأي أخته مريانا إلى نقله إلى لبنان بعد وفاته بستة أشهر، حيث كان حنينه دائما فاستقر أخيرا في دير مار سركيس في بلدته بشرّي.[2]

[1] ميخائيل نعيمة. جبران، ص 17.

[2] المرجع ذاته، ص 274

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

روح العصر:

كانت بلاد الشام، ومنذ القرن السادس عشر، خاضعة للسيطرة المملوكية، عندما استولى السلطان "سليم الأول " على سوريا وفلسطين، بعد أن انتزعها من أيدي مماليك مصر، وتواصلت بعده الفتوحات العثمانية في الأقطار العربية، حتى عانى العرب من الظلم والتعسف، وأنظمة الإقطاع مدة لا تقل عن أربعة قرون متوالية، يأتي بعدها الاستعمار الذي فرضته الدول الرأسمالية الأوروبية مع بداية القرن التاسع عشر، لإحساسهم بأهمية طرق التجارة العالمية في مصر والعراق وسوريا التي تعتبر من أهم مراكز المواصلات بين أوروبا والشرق .

وفي سوريا –موضع اهتمام الدراسة– كان يتولى الحكم الأتراك، ويسود فيها نظام الإقطاع الاجتماعي، وارتبط الإقطاع فيها بالانقسام الديني، فكان من الإقطاعيين من هم من الطوائف المسيحية، ومنهم من الطوائف الإسلامية.[1]

" وكانت الأراضي موزعة بين الأديرة والإقطاعيين ، فالإكليروس كان يتمتع بحرمة كبيرة في أوساط الشعب، وكان تعاونه مع الأمراء والمشايخ يوطد مركزه اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا ومعنويا، ومنذ ابتداء الدهر إلى أيامنا هذه والفئة المتمسكة بالشرف الموروث تتحالف وتتفق مع الكهان ورؤساء الأديان على الشعب" [2]. وقد تقاسم الأراضي في بشرّي آل الظاهر .[3]

---

[1] فلاديمير لوتسكي. **تاريخ الاقطار العربية الحديث**، ترجمة: عفيفة البستاني، دار التقدم، موسكو، 1971م، ص 12-15.

[2] جميل جبر. **جبران في عصره وآثاره الأدبية والفنية**، ط1، مؤسسة نوفل، بيروت، 1983م، ص 13.

[3] **المرجع ذاته، والصفحة ذاتها.**

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وقد أضعفت عصور الانحطاط، وفساد الحكم، آنذاك، من روح الجماعة، فكانت البلاد تفتقر إلى الشعور بالتضامن القومي فنشأت مذاهب جديدة بين المسلمين والمسيحيين أدت إلى الخلافات الطائفية[1].

وفي ظل هذه الخلافات، وهذا التفكك ظل رجال الدين يفرضون سيطرتهم، وظل نظام الإقطاع مسيطرا، وهذا ما قاد إلى وجود مجتمع طبقي يلغي حقوق الإنسان، وينأى بالحياة الفكرية والاجتماعية عن الرقي، ويوجد حالة من البؤس الاجتماعي والاقتصادي والفكري.[2]

ومع ذلك فقد وجد من ينادي بالحرية والإخاء والمساواة وحقوق الإنسان في التفكير والتصرف ضمن القانون، وينادي بالدعوة إلى التضامن بين أفراد الأمة لصالح الجميع،[3] مما أسفر بعد ذلك عن حروب طائفية بسبب تذمر الفلاحين من النظام الإقطاعي، أفضت إلى إضعاف الإمبراطورية العثمانية، وانهار بذلك النظام الإقطاعي، وظهرت بوادر الوعي القومي.

وفي ظل هذه العوامل السياسية والاجتماعية قام التيار الرومانسي في الأدب، وفيه تطلع الكتّاب إلى مجتمع مثالي مستقى من الطبيعة[4]، فقد ساعدت الانتفاضات التحررية في أوروبا في القرن الثامن عشر على زلزلة القيم، وتبدل الطبقات الاجتماعية، والثورة على التقاليد

---

[1] جورج أنطونيوس. **يقظة العرب، تاريخ حركة العرب القومية**، ترجمة: ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت، 1962م، ص94.

[2] انظر: أنيس المقدسي. **الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث**، ط6، دار العلم للملايين، بيروت، 1977م، ص 226-230.

[3] علي المحافظة. **الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798-1914م**، ط5، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1987م، ص161.

[4] Cesil Maurice bowra. **The Romantic Imagination**. Oxford University Press. London. 1961. P 100

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الموروثة، فقد طبقت مبادئ الثورة الفرنسية المتمثلة في الحرية والإخاء والمساواة على الأدب الجديد، الذي اتسم بالرومانسية، فالحرية في الأدب لأنه تحرر من قيود الكلاسيكية، والمساواة لأن الفنون كلها متساوية، فالفن الأدبي واحد من الفنون الأخرى كالرسم والموسيقى.[1]

وفي عام 1864م قسمت بلاد الشام إلى ولايتين، أما جبل لبنان فقد فصل عن سوريا[2]، فما كان إلا أن تدهور الوضع الاقتصادي بعدما فصل جبل لبنان عن سهله الخصب، مما أدى إلى هجرة الآلاف من أهل لبنان إلى البلاد الأوروبية طلبا للرزق.[3]

في تلك الفترة أنشئت المدارس والجامعات، ومنها مدرسة الحكمة التي تعلم فيها جبران في أول عهده، وجامعة بيروت الأمريكية، وجامعة القديس يوسف اليسوعية.[4]

وقد ساعد الشأن الثقافي الذي نهضت به البلاد على نشر الوعي بين الناس، مما حدا بالمثقفين الذين تأثروا بالتبشير، وتطلعوا لحياة الغرب، وما بها من حرية وانطلاق إلى الهجرة إلى البلاد الأوروبية طلبا للحرية والرزق على السواء.[5]

تركت الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية آنذاك أثرها على السوريين، وجبران هو أحد بل من أكبر المثقفين الذين عايشوا هذه الأوضاع فثارت نفسه على الظلم الاجتماعي، وتمردت على الاستغلال الإقطاعي والانحراف الديني الكامن وراء سيادة الجهل والظلم، فكانت معظم كتاباته تندد بالإقطاع والظلم، وكانت له مشاركات في العمل السياسي

---

[1] عبد العزيز النعماني. **جبران بين التمرد ومصالحة النفس**، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1997، ص19.

[2] **لوتسكي. تاريخ الأقطار العربية الحديث**، ص42.

[3] **أنطونيوس. يقظة العرب**، ص125.

[4] **المرجع ذاته**، ص127-135.

[5] فصل العيسى. **النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة آل البيت، 2004م، ص17.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كمحاولة لتغيير الواقع، فقد شارك جبران الاستقلاليين اللبنانيين في نشاطهم للتحرر من الحكم العثماني أثناء دراسته في باريس عام 1908- 1910م، فعند عودة جبران إلى لبنان في أواخر القرن التاسع عشر كان الحكم العثماني ما يزال مهيمنا، مما أجج في نفسه الثورة على الواقع، ولما عاد إلى نيويورك أنشأ الحلقة الذهبية وهي الجمعية الثورية التي تدعو إلى الثورة ضد الحكم العثماني، والدعوة إلى الاستقلال ووحدة سوريا الجغرافية،[1] وكان جبران في طليعة العاملين في " لجنة إغاثة المنكوبين في سوريا "[2].

في هذه الأطر السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية نشأ جبران، "وقد لا يفهم الأديب أو الفنان فهما صحيحا كاملا إلا إذا وضع في إطاره التاريخي، وما ميزه من معطيات سياسية واجتماعية واقتصادية وفكرية، ودرس على ضوء تفاعلاته معها، وتأثراته بها، إذ الخلاق الأصيل هو – إلى حد كبير – ثمرة بيئته وضمير عصره"[3].

فلو تتبعنا المرحلة التي أنتج بها جبران " عرائس المروج " و"يوحنا المجنون " و"الأرواح المتمردة" و"الأجنحة المتكسرة "و "المواكب "، وحدها من (1883- 1919م) وهي الفترة التي شهد فيها لبنان صراعا إقطاعيا، وفتنا طائفية، وظل إقطاعية دينية مؤسسية باغية متسلطة، قد عاشها جبران واستقامت في وعيه، فتمرد وثار، وفي ظل تمرده وثورته أنتج أدبه،[4] وفي أدبه أدان المجتمع القائم على التفاوت الطبقي والعنصرية، وثار على القيود العابثة بحرية البشر والقيم الإنسانية .[5]

---

[1] جميل جبر. **جبران في عصره وآثاره الأدبية والفنية**، ص50.

[2] خليل حاوي. **جبران خليل جبران ،إطاره التاريخي...**، ص109.

[3] جميل جبر. **جبران خليل جبران في عصره وآثاره...**، ص11.

[4] طانيوس منعم. **جبران والكنيسة**، محاضرات المجلس الثقافي للبنان الشمالي، سنة جبران العالمية، ط1، دار الإنشاء، بيروت، 1983م، ص 13-15.

[5] **المرجع ذاته**، ص6.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الشرق والغرب:

عاش جبران خليل جبران في بيئتين مختلفتين عن بعضهما أيما اختلاف، ففي الشرق كانت البداية والنشأة الأولى، وإلى الغرب كانت هجرته المبكرة مع عائلته، وبعدها ظل جبران متنقلا بين الشرق والغرب يستقي من معين البيئتين بثقافتيهما المختلفتين.

ففي الشرق وتحديدا في لبنان حيث ولد جبران، وعاش طفولته في بشرّي، القرية التي امتازت ببساطتها وعفويتها، وتقاليدها الدينية والإقطاعية، تكونت شخصية جبران، فكان جل إنتاجه حصيلة انفعالاته في بداية العمر،[1] ففيها قاسى البؤس والألم، وفيها عرف قلبه الحب لأول مرة، وفيها عرف ما عرف من واقع لبنان وحكاياته الأسطورية، واطلع على الأناجيل، وطبق التقاليد الدينية[2]، وظلت مفاتن الطبيعة التي نشأ في جوها تملأ حواسه.

وعندما دخل جبران مدرسة الحكمة، كان قد أنهى دروسه في الإنجليزية حاملا شهادة الفلسفة، إلا أن معرفته باللغة العربية كانت لا تتعدى حدود القراءة[3]، وعندما أتقن العربية هيأ له ذلك الاطلاع على كثير من أعلام الأدب العربي، كالمتنبي والمعري، بالإضافة إلى عدد من الفلاسفة كابن سينا وابن خلدون، فكانت له بعد ذلك أولى محاولاته في مجال الكتابة الإبداعية[4]، وظل سياق لبنان الحضاري بما فيه من استبداد سياسي وظلم اجتماعي، وتعصب ديني، في ذهن جبران، مما دفعه لأن يهاجم بقلمه كل استغلال واستبداد وظلم، فتجلى ذلك في معظم آثاره الأدبية التي سيأتي تفصيلها فيما بعد .

---

[1] جميل جبر. **جبران في عصره وآثاره**، ص63.

[2] **المرجع ذاته**، ص65.

[3] جميل جبر. **جبران في حياته العاصفة**، ص29.

[4] عبد العزيز النعماني. **جبران بين التمرد ومصالحة النفس**، ص 36.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عاد جبران بعد ذلك إلى بوسطن، وقضى بقية حياته متنقلا بين بوسطن ونيويورك وباريس إلا أن لبنان قد عاش في وجدانه، وظل حنينه إليه دائما، وتأثيره فيه واضحا في أعماله كلها.

وعندما كتب أحد أصدقاء والده إليه رسالة يطلب منه العودة إلى لبنان، ليعين والده الذي فقد بصره، وساءت حاله في آخر عمره، رد عليه جبران بقوله:

" يعلم والدي بأن وجودي في أميركا ليس على رضى مني، لأني أشتهي كل ساعة أن أكون راعيا أتنقل مع قطيع من الغنم من مكان إلى آخر أنفخ شبابتي في ظل الأشجار، وأنام الليالي بقرب الصخور، ولكن واحر قلباه، لقد حكم علي بأن أكون عشبة غريبة لا تعيش في تربة ممزوجة بمسحوق الاستعباد تحت سماء تمطر نقيع الاستبداد في فجر هواء يخالطه هيدروجين الظلم "[1].

وفي إحدى رسائله لصديقه أمين الغريب يقول:

" اذكرني يا أمين عندما ترى الشمس طالعة من وراء صنين، أو من وراء فم الميزاب، واذكرني عندما ترى الشمس جانحة إلى الغروب، وقد وشحت الطلول والأودية بنقاب أحمر كأنها تذرف لفراق لبنان الدماء بدلا من الدموع "[2]، هذه البيئة بسحرها اللامتناهي، كما يصفها جبران، ما غابت لحظة عن حسه، فكان يحن إليها، ويتذكر أصغر تفاصيلها، فظلت ترافق أدبه على الدوام.

وفي أواخر القرن التاسع عشر سادت حركة أدبية فكرية نقدية في بوسطن، عرفت بمذهب التسامي (Transcendentalism)، متأثرة بالرومانسية الأدبية، والمثالية الأفلاطونية

---

[1] جميل جبر. **جبران في حياته العاصفة**، ص29.

[2] **المرجع ذاته**، ص74.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الكانتية، وآراء المتصوفة في الروح، وظلت هذه الحركة سائدة في الأوساط الأدبية في بوسطن بما كانت تنادي به من قيم ومثل عليا، كالاهتمام بحرية الفرد والتفرقة بين الخير والشر، ولا بد لجبران أن يكون قد تأثر بهذا الوسط الفكري السائد.[1]

وفي باريس، البيئة التي منحت جبران تحقيق حلمه في أن يصبح فنانا محترفا، فكان له ذلك، وفيها أيضا تعرف جبران إلى أعمال " وليام بليك " وإلى " نيتشة " وقرأ " هكذا تكلم زرادشت " فوقع تحت تأثيرهما، ولعله أصبح في بعض أعماله الأدبية صورة منهما، فمن فلسفة نيتشة استقى ثورته على التقاليد القديمة للفكر الكنسي والبناء الاجتماعي والاقتصادي[2].

وعندما انتهى الأمر بجبران في نيويورك تفتحت مواهبه، وتعددت نشاطاته، وتتابع نتاجه الأدبي والفني، فاشترك في تحرير مجلة " الفنون السبعة " باللغة الإنجليزية، وأسس مع رفاقه " الرابطة القلمية " وتوسعت قراءاته واطلاعه على أدباء الغرب، فتأثر بالفكر الأوروبي، ونسج على منواله بعض مؤلفاته، فجبران إذن وليد بيئات ثقافية متعددة في الشرق والغرب كان لها أوضح الأثر في أدبه، البيئة العربية في لبنان، وبيئة بوسطن، وبيئة نيويورك، وباريس.

ومما يمكن توقعه أن جبران قد تأثر بالسياق الأدبي والفكري والثقافي، الذي ساد بوسطن في أواخر القرن التاسع عشر، متمثلا بالحركة الفكرية الأدبية النقدية، التي عرفت بمذهب "التسامي "، وكان من مؤثرات هذه الحركة: الرومانسية في الأدب، والمثالية الأفلاطونية الكانتية في الفلسفة، وخليط من آراء الصوفيين في الروح.[3]

---

[1] عبد العزيز النعماني. **جبران بين التمرد..**، ص36-37.

[2] نذير العظمة. **جبران خليل جبران في ضوء المؤثرات الأجنبية**، دراسة مقارنة، ط1، دار طلاس، دمشق، 1987م، ص200.

[3] عبد العزيز النعماني. **جبران بين التمرد ومصالحة النفس**، ص36.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وبالنظر إلى أعمال جبران التي ظهرت بعد عام 1918م، وكانـــت معظمهـــا باللغـــة الإنجليزية ساد بين أصدقائه اعتقاد مفاده أن جبران " أشهر ثورته على الغرب بروح الشرق، كما أشهرها من قبل على تقهقر الشرق مستلهما ما صفا من روح النهضة الغربية"[1].

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

[1] خليل حاوي. جبران خليل جبران،إطاره الحضاري، ص112.

المبحث الثاني : أدب السرد عند جبران

- أعمال جبران الأدبية الكاملة
- الرواية والريادة
- القصة القصيرة
- المقالة
- أدب التأملات

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

أعمال جبران الأدبية الكاملة:

جُمعت مؤلفات جبران خليل جبران في مجموعتين: الأولى " المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران العربية"، وتضم: "الموسيقى، عرائس المروج، الأرواح المتمردة، الأجنحة المتكسرة، دمعة وابتسامة، المواكب، العواصف، البدائع والطرائف"، والثانية "المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران المعربة" وتضم: "المجنون، السابق، النبي، رمل وزبد، يسوع ابن الإنسان، آلهة الأرض، التائه، حديقة النبي ".

ولكن، هل يعني صدور أعمال جبران في مجموعة كاملة أن هذه هي أعمال جبران كاملة غير ناقصة ؟ إذا كان الجواب لا، فلماذا إذن سميت بالأعمال الكاملة؟ وإذا كان الجواب نعم، فبماذا نسوّغ صدور عدد من الكتب بعد المجموعتين تبرز كثيرا من أعمال جبران في مختلف الأجناس الأدبية، وليس لها وجود في المجموعتين ؟ ومن ذلك:

- كتاب: رسائل جبران التائهة، رياض حنين، مؤسسة نوفل، بيروت، 1983م.
- الشعلة الزرقاء، رسائل جبران إلى مي زيادة، سلمى الحفار وسهيل بشروئي، بيروت، 1984م.
- عقيدة جبران، جان داية، دار سوراقيا، لندن، 1988م. وقد اشتمل هذا الكتاب على عدد من المقالات والخطابات لجبران، أغلبها في الموضوعات السياسية.
- نصوص خارج المجموعة، أنطوان القوال، دار أمواج، بيروت، 1993م.

ومع ذلك ظل لجبران كثير من الآثار لم ينشر بعد في أي كتاب، ومنها على سبيل المثال:

- مسرحية عنوانها "عازر وحبيبته" نشرها نسيب له نحات يدعى: خليل جبران عام 1973م، وقد نشرت في مجلة "داهش النيويوركية " عام 2002م، وفي " النهار " عام 2002م.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

- أقصوصة بعنوان " الضائع " نشرت في مجلة " الهلال " عام 1921م.

وغيرها من الرسائل التي بعث بها إلى " أنطونيوس بشير " جامع كتاب " كلمات جبران"[1]، والرسائل التي بعث بها إلى ماري هاسكل وجمعت في كتاب " نبي الحبيب" وغيرها من المقالات المنشورة في الصحف والمجلات.

ومن الواضح أن الذين عنوا بجمع أعمال جبران الكاملة قد استبعدوا فن الرسائل عن قصد لا عن عدم مقدرة على تحصيلها وجمعها، خاصة ميخائيل نعيمة، أما باقي مؤلفاته من مقالات وأقاصيص ومسرحيات، فهذا حق لجبران لم يستوفه بعد في مجموعاته الكاملة، لذلك لم تعتمد الباحثة على أعمال جبران الموجودة في مجموعتيه الكاملتين فقط، وإنما حاولت الاطلاع قدر الإمكان على ما ظهر خارجهما، وحصر جميع ما وقع عليه الباحثون والدارسون لأدب جبران في مختلف المصادر.

وقد كتب جبران في مختلف الفنون الأدبية، فكتب في المقالة، والقصة القصيرة، والأقصوصة، والرواية، والمسرحية، والرسائل، والحكم والأمثال، وما أطلق عليه أدب التأملات، وفيما يأتي عرض سريع لأدب السرد عند جبران.

[1] طوني شعشع. أين مؤلفات جبران الكاملة المحققة ؟ www.terezia.org/section.php?id=1885

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الروايةُ والريادة:

يمثل فن الرواية في أدب السرد عند جبران روايته الوحيدة " الأجنحة المتكسرة " التي صدرت في نيويورك، وقد حملت كثيرا من روح جبـران، وعاطفتـه وعقلـه وأحاسيـسه وخواطره وتأملاته، فلا يكاد يذكر جبران حتى تذكر معه " الأجنحة المتكسرة ".[1]

عد بعضهم جبران رائدا في مجال الرواية والقصة مـن خـلال روايتـه "الأجنحـة المتكسرة"، الصادرة عام 1912م، أي أنها سبقت رواية "زينب " لمحمد حسين هيكل بعـامين تقريبا، ومن خلال قصة " العاصفة " التي نشرت في مجموعة الرابطة القلمية لعـام 1921م، وفي كتاب " العواصف "، وقبلها مجموعة القصص التي نشرت في كتابيه " عرائس المروج " عام 1906م، و" الأرواح المتمردة " عام 1908م.

وقد عرض الناعوري لهذا الرأي أثناء استعراضه لنشأة الفن القصصي الحديث فـي الأدب العربي بقوله: " لقد عني جبران بالقصة والأقصوصة في أدبه، وللمرة الأولى في تاريخ العربية نقف على قصص وأقصوصات فنية، ومن الأهمية بمكان أن نقول إن قصة "الأجنحة المتكسرة" التي ظهرت في نيويورك عام 1912م، وقصة العاصفة التي نشرت في المجموعة السنوية للرابطة القلمية عام 1921م تعتبران النموذج الفني الأول للقصة العربية"[2].

وكذلك يرى محمد يوسف نجم في كتابه " القصة في الأدب العربي الحديث " أن ريادة القصة تعود لجبران الذي خطا بها خطوة واسعة بعيدة عن قصص المغامرات الملفقـة التـي

---

[1] فوزي عطوي. **جبران خليل جبران، عبقري من لبنان**، ط1، الشركة اللبنانية للكتـاب، بيـروت، 1971م، ص38.

[2] عيسى الناعوري. **أدب المهجر**، ص140-141.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر، وأخرجها رعيل القاصين الأول مثل: سليم البستاني وزملاؤه.[1]

تقوم فكرة الرواية على رفض التسلط الاجتماعي، وتقييد حرية المرأة العربية، وتهاجم المفاهيم المغلوطة السائدة للدين والعادات والتقاليد الزائفة، وذلك من خلال قصة الحب الذي يربط بطل القصة، وهو شاب في الثامنة عشرة من عمره، بمحبوبته "سلمى كرامة"، وما آلت إليه تلك العلاقة، وما حملت من ثورة على رجال الدين، وعلى التقاليد التي يفرضها المجتمع على النفوس البريئة، وهي قصة الحب المرتبط بالموت الروحي الذي يعيشه الإنسان دون أن يوارى جسده في التراب، فهذا قيد يفرضه صاحب السلطة ورئيس الدين، وذاك قيد تفرضه التقاليد والعادات على المرأة الشرقية، وآخر يفرضه المجتمع بأكمله على آمال الإنسان وأحلامه دون مبرر.

في إحدى رسائل جبران إلى مي زيادة، يحدثها فيها عن رواية "الأجنحة المتكسرة" ينقل لها حديثا جرى بينه وبين أمه " لو لم تجئ لبقيت ملاكا في السماء، فقلت: ولم أزل ملاكا، فتبسمت وقالت، أين أجنحتك؟ فوضعت يدها على كتفي قائلا: هنا، فقالت: "متكسرة " وبعد هذا ذهبت أمي إلى ما وراء الأفق الأزرق، أما كلمتها " متكسرة " فظلت تتمايل في مسمعي، ومن هذه الكلمة غزلت ونسجت الأجنحة المتكسرة " [2]

يذكر كثير من دارسي جبران أن رواية " الأجنحة المتكسرة " تمثل الحب الأول الذي عاشه جبران يوم كان طالبا على مقاعد مدرسة الحكمة في بيروت، ويقصدون تلك العلاقة

---

[1] محمد يوسف نجم. **القصة في الأدب العربي الحديث 1870-1914**، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1966م، ص 32.

[2] جبران خليل جبران. **مختارات من رسائل جبران**، تحقيق: جميل جبر، دار الجيل، بيروت، 1998، ص27

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

التي ربطت جبران بحلا الظاهر آنذاك، وممن يتبنى هذا الرأي: ميخائيل نعيمة،[1] وفوزي عطوي[2]، ويوحنا قمير[3]، وجميل جبر[4].

وقد اعتمد هؤلاء في قولهم بأن " الأجنحة المتكسرة " هي رواية الحب الأول لجبران مع حلا الظاهر على أمور أبرزها:

أولا: التشابه الكبير في التفاصيل بين قصة الحب التي عاشها جبران مع حلا الظاهر في لبنان، وبين قصة الحب التي جمعت بطل " الأجنحة المتكسرة " وهو الراوي نفسه أي جبران مع سلمى كرامة، وما آلت إليه القصتان.

ثانيا: أن الرواية رويت، منذ العبارة الأولى فيها حتى نهايتها، بضمير المتكلم: " كنت في الثامنة عشرة عندما فتح الحب عيني بأشعته السحرية، ولمس نفسي لأول مرة بأصابعه النارية، وكانت سلمى كرامة المرأة التي أيقظت روحي بمحاسنها، ومشت أمامي إلى جنة العواطف العلوية، حيث تمر الأيام كالأحلام، وتنقضي الليالي كالأعراس"[5]، وأن تروى الرواية بضمير المتكلم، فهذا له دلالته الكبيرة على الرواية، ورؤيتها، فالمعروف أن ضمير المتكلم يرتبط بظاهرة الذاتية ويطبع القصة بطابع الذكريات.

في المقابل نجد رأيا آخر، بل حقيقة أخرى يدونها جبران نفسه عندما أخبر " ماري هاسكل " بأنه " لا علاقة لأي من التجارب الموصوفة في هذا الكتاب بحياتي، ولا تمت أي

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص17.

[2] فوزي عطوي. **جبران، عبقري من لبنان**، ص38.

[3] يوحنا قمير. **جبران في الميزان**، ط1، دار المشرق، بيروت، 1992م، ص52.

[4] جميل جبر. **جبران في حياته العاصفة**، ص 35.

[5] جبران. **المجموعة العربية** ، تقديم: نعيمة، ص 169.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

شخصية من الشخصيات التي رسمتها بصلة لأي إنسان عرفته، إن الطبائع والأحداث من وحي خيالي فقط "[1].

وهذا ما تذهب إليه " بربارة يونغ " عندما تخبرنا بأن جبران " كان منزعجا من إصرار بني شعبه اللبنانيين والسوريين على اعتبار هذه القصة سيرة ذاتية ، وليست قصة من وحي خياله الشاعري، وهذا ما نفاه جبران قطعا "[2].

وإنني إذ أؤيد الرأي الثاني، ليس من باب الإيمان الكامل بمقولة جبران السابقة، أو الإيمان بصحة الرسالة المنقولة عنه، ولكن لعدة أسباب تتلخص في:

أولا: اعتبار رواية الأجنحة المتكسرة مثالا للرواية الرومانسية، كما يرى كثير من الدارسين، ومنهم: إبراهيم السعافين الذي يرى أن الأجنحة المتكسرة أول رواية صدرت عن رؤية رومانسية واضحة[3]، فقد تجلت فيها معظم القضايا التي تعرض لها الرومانسيون في ثورتهم على المجتمع، وعلى القيود الطائفية، وعلى التفاوت الاقتصادي، وكذلك موقفهم من الحب وقدسيته، وهي من جانب آخر رواية " الحب والجمال والموت " الثالوث الذي يقوم عليه المذهب الرومانسي.

وقد عقد نزار هنيدي مقارنة مفصلة بين رواية "الأجنحة المتكسرة " وبين رواية "هيلويز الجديدة ") (The New Heloise) لـ "روسو" التي يعتبرها النقاد الأصل الذي

---

[1] جبران خليل جبران. **نبي الحبيب، رسائل الحب بين ماري هاسكل وجبران، مع مذكرات ماري هاسكل**، جمع: فيرجينيا حلو، ترجمة: لوران فارس، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1974م، ص65.

[2] نقلا عن: إسكندر نجار. **قاموس جبران خليل جبران**، ط1، دار الساقي، بيروت، 2008م، ص12.

[3] إبراهيم السعافين. **تطور الرواية الحديثة في بلاد الشام**، ط1، دار الرشيد، بغداد، 1980م، ص 242.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تمثله كثير من الرومانسيين في ما كتبوه من روايات وقصص تتخذ من الحب المعذب موضوعا لها[1].

ثانيا: إن جبران الذي عاش أحداث لبنان بكل ما فيها من فقر وإقطاع وسياسات ظالمة، ورأى بعين أمه ضعف المرأة الشرقية وانقيادها، لا يمكن أن يكرس روايته الوحيدة والتي كتبها في فترة تعتبر فترة نضج فكري عنده بالمقارنة مع ما سبقها، لا يمكن له أن يكرس العمل الأدبي الذي يفرده في كتاب مستقل، ويقسمه إلى فصول متعددة وعناوين خاصة، من أجل رواية قصة حب مر بها في فترة المراهقة، وانتهت بمجرد عودته إلى نيويورك، ولم يعد لها بعد ذلك أي صدى أو ذكر بواقع الأمر. ولا يعني ذلك أنني أرى في تجربة الحب الأول مسألة بسيطة لا تستأهل الاهتمام والتقدير، ولكن لأن " الأجنحة المتكسرة " تمثل أكثر من قصة حب، كما سيأتي تفصيل ذلك في فصول لاحقة.

وما كان فيها من تشابه مع الأحداث التي مر بها جبران أثناء دراسته في مدرسة الحكمة، وحبه لحلا الظاهر فهو على سبيل التأثر بتجربة يمر بها الإنسان، فتظل ظلالها تلاحقه أينما ذهب.

كذلك يرى خريستو نجم في دراسته " المرأة في حياة جبران " أن حلا الظاهر لم تكن أكثر من مخطط لسلمى كرامة، وأن خطوطها الحقيقية ظلت موجودة في سيرة جبران، وقد عرفها جبران في زمن المراهقة، والمراهق بتعبير التحليل النفسي يحب الحب لا شخصا معينا، وأن سلمى كرامة شخصية أثيرية لا تمت للواقع إلا بخيط ضئيل.[2]

---

[1] انظر: نزار هنيدي. **هكذا تكلم جبران**، ص 51-56.

[2] خريستو نجم. **المرأة في حياة جبران**، ط1، دار الرائد، لبنان، 1985م، ص 36-37.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ثالثا: إن ضمير المتكلم الذي رويت به " الأجنحة المتكسرة " لم يأت ليبرز الذاتية، أو لينقل ذكريات جبران، إنما جاء يحمل أسلوبا جديدا، لينقل تجربة جديدة، وبعدا لغويا جديدا، فقد جاء " الأنا " المتمرد "جبران" ليقابل ضمير المخاطب والغائب " الآخرين " فضمير المتكلم هنا يمثل حالة الفرد الذي ثار على التقاليد التي يفرضها المجتمع ورجال الدين والسلطة، وهم من يمثلون "الآخرين " ولأن الفرد ضعيف أمام الجماعة، لم يعد من روح جبران الثائرة إلا أجنحة متكسرة.

فضمير المتكلم لم يكن مجرد رؤية فردية، وإنما رؤية عامة للكون تفسرها الظروف الدينية والاجتماعية والتاريخية والسياسية في زماننا هذا، فكانت " الأنا " هي صوت الفرد الذي يقابل الجماعة وتقاليدها، فقد مثلت " الأجنحة المتكسرة " صراعا بين القديم والجديد، وبين الرؤية التقليدية السائدة، وبذور الوعي الجديد الذي حاول جبران توعية مجتمعه عليه، ورغم تكسر أجنحته إلا أنه كان واعيا أنه يعيش ويكتب في مرحلة انتقالية تنقطع فيها سلسلة قديمة لتبدأ سلسلة جديدة، واستطاع جبران عن طريق استخدامه لضمير المتكلم " الأنا " أن يدرك بأنه يكتب عن مشكلة عامة كانت تلقى على عاتقه، فكان يكتب كتابة رمزية عن مجتمعه وأمته بكل ما تعيشه من قهر وظلم، وليس كما يفهم الكثير أن " الأجنحة المتكسرة " كانت رواية الحب الأول لجبران، أو حتى رواية حب مخفق أراد التعبير عنه.[1]

[1] محمد كامل الخطيب. **تكوين الرواية العربية، اللغة ورؤية العالم**، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1990م، ص102.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ورغم الآراء السابقة، إلا أن رأي " ميخائيل نعيمة " فيها مختلف، فهو يقول: " لقد حاول جبران في الأجنحة المتكسرة أن يكتب أكثر من قصة، حاول أن يكتب رواية، إلا أنه ما استطاع أن يخرج في محاولته هذه عن نطاق محاولاته السابقة "[1].

كما ينتقد فيها "نعيمة" طغيان الحديث فيها على الحركة والخيال على الواقع[2]، وكذلك يرى " الأشتر " في قصص جبران وفي رواية " الأجنحة المتكسرة " على وجه الخصوص، بأن كثرة الوعظ والتقرير فيها هي سبب الخلل الفني فيها، فجبران برأيه لا ينظر إلى القصة باعتبارها أحداثا ينبغي أن تحتفظ بوحدتها وذاتيتها، وإنما يراها مجموعة من المواقف والمشاهد يستطيع عن طريقها أن يشبع ميله نحو الوعظ والتقرير[3].

وعلى أية حال، فهذه العيوب هي عيوب القصة الرومانسية بشكل عام، فهي تكتفي بسرد الأحداث والوصف الخارجي، ويبرز فيها العنصر الذاتي بشكل جلي[4].

ويكفي أن جبران حاول من خلال " الأجنحة المتكسرة " أن يكتب "رواية" في فترة لم يكن للأدب العربي عهد من قبلها بالرواية، وكأن جبران في محاولته هذه كان يدرك أن فن الرواية يمنح للأديب فرصة الإبداع بحرية، فما حملته "الأجنحة المتكسرة" من تعرية للواقع الاجتماعي في لبنان، وما كان يعانيه من قهر وظلم وتعسف وتسلط كان يحتاج إلى شكل مناسب يضم هذا المحتوى، " فالقيمة الفنية الصحيحة ليست تكتمل في العمل الأدبي إلا بركنين أساسيين هما: الشكل والمحتوى ، وذلك بتفاعلهما معا، وبتآزرهما جميعا على إبراز المضمون

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص18.

[2] **المصدر ذاته، والصفحة ذاتها.**

[3] عبد الكريم الأشتر. **النثر المهجري**، الجزء الثاني، معهد الدراسات العربية العالمية، القاهرة، 1961م، ص83.

[4] روز غريب. **جبران في آثاره الكتابية**، ط3، دار صادر، بيروت، 2002م، ص273.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الأدبي بكل ما ينبغي أن يشتمل عليه هذا المضمون من جمالية الشكل الفني، ومن تحديد الدلالة الاجتماعية في كليهما "[1].

القصة القصيرة:

يمثل كتاب " **عرائس المروج** " الصادر عام 1906م ، البداية الأولى لفن القصة القصيرة عند جبران، وللفن القصصي الحديث في الأدب العربي كذلك،[2] ويضم هذا الكتاب ثلاث قصص:

الأولى: " **رماد الأجيال والنار الخالدة** " وفيها يؤكد جبران إيمانه بعقيدة التقمص، من خلال قصة الحب التي نسجها والتي تعود إلى تاريخين مختلفين، وشخصيتين متناقضتين، وزمنين مغايرين، الأولى: كانت في خريف 116 قبل الميلاد، والثانية في ربيع سنة 1890م بعد الميلاد.

ترسم الأولى قصة الحب الذي جمع " ناثان بن حيرام " كاهن هيكل "عشتروت" في مدينة الشمس بعلبك وحبيبته، وقد بدا للقارئ أن هذا الحب قد انتهى بالفشل والموت، لتأتي اللوحة الثانية من القصة فترسم الحب الذي جمع الراعي " علي الحسيني " الذي يسكن الخيام في سهول بعلبك، وحبيبته، حيث تمثل اللوحة الثانية من القصة بكل تناقضاتها ما آلت إليه قصة الحب الأولى من اختلاف في الزمان والمكان والشخصيات، ولكن على اعتبار أن "ناثان

[1] حسين مروة. **قضايا أدبية**، دار الفكر، القاهرة، 1956م، ص 9.

[2] عيسى الناعوري. **أدب المهجر**، ص 140.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وحبيبته الأولى" هو نفسه "علي الحسيني وحبيبته" : " قد أعادت عشتروت روحَينا إلـــى هـــذه الحياة كيلا نحرم ملذات الحب، ومجد الشبيبة يا حبيبي"[1].

ولكن الحب ينتصر هذه المرة، ليثبت لنا جبران من خلال عقيدة التقمص التي نـــسج داخلها قصة الحب الخالد، أن الحب لا يموت، بل إنه أقوى من الموت.

أما **القصة الثانية فهي " مرتا البانية "** التي يسلمها جبران مهمة رواية قصتها بنفسها، فهي المرأة التي يرمي بها الفقر بين يدي أحد الأغنياء، الذي يسلبها شرفها ويتركها في مهاوي الذل والعوز، بعد أن خلف في رحمها جنينا، تسلك في سبيل تحصيل قوته طريـــق الرذيلـــة، فتبيع جسدها مقابل المال، لكن نفسها النقية تأبى الاستمرار، فتطلب التوبة والغفران إلـــى أن تفارق الحياة:" إن أدران الجسد لا تلامس النفس النقية"[2].

وفي هذه القصة تبدأ ثورة جبران على الظلم الاجتماعي، حيث يستغل الأغنياء عـــوز الفقراء فيسلبونهم شرفهم وحقهم في الحياة، ومع ذلك يتحالف رجال الدين مع الأغنياء في كل المواقف، وفي قصة مرتا يرفضون الصلاة على بقاياها، فهي في نظرهم دنسة:

" عندما جاء الفجر وضعت جثة "مرتا البانية " في تابوت خشبي، وحملت على كتفي فقيرين، ودفنت في حقل مهجور بعيد عن المدينة، وقد رفض الكهان الصلاة على بقاياها، ولم يقبلوا أن ترتاح عظامها في الجبانة، حيث الصليب يخفر القبور"[3].

ربما كان هذا المشهد الأخير من قصة مرتا بمثابة إشارة أو مقدمة لما ســـيأتي فـــي **قصته الثالثة " يوحنا المجنون "** التي تحكي قصة انحراف الكنيسة ورجالها بشكل مفـــصل، "فيوحنا" فتى فقير يعيش مع والديه الشيخين، يخدمهما ويعينهما على الحياة، ولم يكن يملك من

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص57.

[2] **المصدر ذاته**، ص 65.

[3] **المصدر ذاته**، ص 68.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الدنيا سوى بقرات، تمثل مصدر رزقهم، يأخذها "يوحنا" كل يوم يرعاهـا، وذات يـوم كـان "يوحنا" منشغلا بقراءة كتاب " العهد الجديد " غافلا عن بقراته التي انطلقت منه، فوصلت إلى كروم الدير ترعى بها، فحجزها الرهبان إلى أن يوفي " يوحنا " دينه إلى الدير، ورغم توسل "يوحنا" وتذلله أمام رئيس القسس والرهبان، وهو يستحلفه بالأيام المقدسة، ويطلب منه السماح والصفح، إلا أن الرئيس أجابه بقوله:

" لا يسامحك الدير بمثقال ذرة أيها الجاهل، فقيرا كنت أم غنيا، فلا تستحلفني بالأشياء المقدسة لأننا أعرف منك بأسرارها وخفاياها، وإن شئت أن تقود عجولك من هذه المـرابض فافتـدها بثلاثة دنانير لقاء ما التهمت من الزرع"[1].

فيجيبه "يوحنا" بأنه لا يملك فلسا واحدا ليفتدي به، فيشير الرئيس عليه أن يبيع قـسما من حقله، لأن من الخير له أن يدخل السماء بلا حقل من أن يغضب اليشاع العظيم، ويهـبط إلى الجحيم الخالد، فيجيبه "يوحنا ":

"هل يبيع الفقير حقله منبت خبزه، ومورد حياته، ليضيف ثمنه إلـى خـزائن الـدير المفعمة بالذهب والفضة؟ أمن العدل أن يزداد الفقير فقرا، ويموت المسكين جوعا كيما يغفـر اليشاع العظيم ذنوب بهائم جائعة؟"[2].

فقبض الرهبان عليه وحجزوه، إلى أن جاءت أمه وتوسلت به عند رئيس الدير الـذي قبل إطلاق سراحه بعد أن افتدته أمه بقلادة فضية كانت عطية والدتها لهـا يـوم اقترانهـا، وعندما حل عيد الفصح كان الناس يقيمون الهياكل ويحتفلون لقدوم أحد الأسـاقفة، لتكـريس مذابحه، حتى وصل فقابله الناس والأئمة بالأناشيد وطنين الأجراس والنواقيس، فترجل عـن

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص72-73.

[2] **المصدر ذاته**، ص73.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فرسه "وارتدى الملابس الموشاة بالذهب، ولبس التاج المرصع بالجواهر وتقلد عصا الرعاية المنمقة بالنقوش البديعة والحجارة الكريمة..."[1].

وفي تلك الأثناء كان "يوحنا" غارقا في تأمل هذا المشهد ومشاهد الفقراء والمساكين الذين أتوا من القرى والمزارع الصغيرة يشاهدون بهجة هذا الفصح، حتى انتهت حفلة التكريس، فثارت نفس "يوحنا" وصرخ بالناس ملقيا عليهم خطبة طويلة تفضح ممارسات الكنيسة ورجالها الذين حادوا عن تعاليم المسيح الحقة: " لقد أقاموا يا يسوع لمجد أسمائهم كنائس ومعابد كسوها بالحرير المنسوج، والذهب المذوب، وتركوا أجساد مختاريك الفقراء عارية في الأزقة الباردة، وملأوا الفضاء بدخان البخور ولهيب الشموع، وتركوا بطون المؤمنين بألوهيتك خالية من الخبز، وأفعموا الهواء بالتراتيل والتسابيح، فلم يسمعوا نداء اليتامى وتنهيدات الأرامل"[2].

فقبضوا عليه وألقوه في السجن، وما كان من سبيل إلى الإفراج عنه إلا أن شهد والده أمام المحكمة بجنونه قائلا: " طالما سمعته يهذي في وحدته يا سيدي، ويتكلم عن أشياء غريبة لا حقيقة لها"[3]، فأفرج عنه، وشاع خبر جنونه، فكان الفتيان يسخرون منه، والصبايا تتأسف على جمال وجهه الذي اختلط باختلال عقله.

أما يوحنا، فكان ينظر إلى المزارع والقرى المنتثرة على أكتاف الوادي، مرددا بتنهيدات عميقة: "أنتم كثار وأنا وحدي، فقولوا عني ما شئتم وافعلوا بي ما أردتم، فالذئاب

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 77.

[2] **المصدر ذاته**، ص78.

[3] **المصدر ذاته**، 80.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

تفترس النعجة في ظلمة الليل، ولكن آثار دمائها تبقى على حصباء الوادي حتى يجيء الفجر وتطلع الشمس"[1].

وبعد كتاب "عرائس المروج " بعامين تقريبا أصدر جبران كتاب " الأرواح المتمردة " عام 1908م، وفيه يقول نعيمة:" بين عرائس المروج وبين الأرواح المتمردة فسحة جد قصيرة من حيث الزمان، ولكن بينهما وإن تشابهت المرامي بونا شاسعا من حيث المعالجة والأداء...، وكتاب الأرواح المتمردة – كما يدل عنوانه – يحدث عن أرواح تمردت على التقاليد والشرائع القاسية التي تحد من حرية الفكر والقلب، والتي تسمح لحفنة من الآدميين أن تتحكم في أرزاق الناس وعواطفهم وأعناقهم باسم القانون وباسم الدين "[2].

يضم " **الأرواح المتمردة** " أربع قصص، **أولها قصة " وردة الهاني "** التي تحكي مظالم التقاليد الزوجية، وقهر المرأة وانقيادها، "فوردة" فتاة جميلة الوجه، نبيلة الروح، تتزوج وهي في الثامنة عشرة من رجل يكبرها بأكثر من عشرين عاما، دون أن تجمع بينهما المحبة، وعندما كبرت في بيت زوجها وتفتح قلبها على المحبة هجرت زوجها العجوز والتحقت بمن اختاره قلبها ليكون رفيق روحها الذي اختارته لها السماء، لكنها أصبحت في نظر الجميع امرأة عاهرة زانية " أتلفت بمقابضها القذرة إكليل الزواج المقدس الذي ضفرته الديانة "[3].

وهي باختصار كما يقول جبران على لسان "وردة": "هي رواية موجعة تمثلها الليالي السوداء بين ضلوع كل امرأة تجد جسدها مقيدا بمضجع رجل عرفته زوجا قبل أن تعرف ما هي الزيجة، وترى روحها مرفرفة حول آخر تحبه بكل ما في الروح من المحبة، وبكل ما في

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 81.

[2] **المصدر ذاته**، ص13– 14 .

[3] **المصدر ذاته**، ص92.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المحبة من الطهر والجمال، هو نزاع مخيف قد ابتدأ منذ ظهور الضعف في المرأة والقوة في الرجل"[1].

أما القصة الثانية فهي " صراخ القبور " وهي أقرب إلى محاكمة الأمير لثلاثة مجرمين، الأول شاب قاتل، والثاني فتاة زانية، والثالث رجل سارق، يحكم الأمير على الأول بالقتل، والثاني بالرجم، والثالث بالشنق، ولكن هذا الحكم كان قبل أن يعرف الأمير أن الشاب قتل دفاعا عن عرض خطيبته، " جاء قائد الأمير إلى حقولنا ليتقاضى الضرائب ويجمع الجزية، ولما رآني نظر إلي نظرة استحسان مخيفة، ثم فرض ضريبة باهظة على حقل والدي الفقير، يعجز الغني عن دفعها، فقبض علي ليقتادني قهرا إلى صرح الأمير بدلا من الذهب، فاسترحمته بدموعي فلم يحفل، واستحلفته بشيخوخة والدي فلم يرحم، فصرخت مستغيثة برجال القرية، فجاء هذا الشاب وهو خطيبي وخلصني من بين يديه القاسيتين، فاستشاط غضبا، وهم أن يفتك به فسبقه الشاب وامتشق سيفا قديما معلقا على الحائط وصرعه به مدافعا عن حياته وعن عرضي، ولكبر نفسه لم يفر هاربا كالقتلة المجرمين، بل لبث واقفا بقرب جثة القائد الظلوم حتى جاء الجند وساقوه إلى السجن مكبلا بالقيود "[2].

أما الفتاة فهي لم تزنِ وإنما حال والدها دون زواجها بمن تحب، وزوجها رجلا تكرهه، وفي أحد الأيام زار الشاب بيتها يسأل عنها، فظن الزوج بها السوء واتهمها بالزنا، " ففي يوم وقد كنت غائبا عن المدينة زوجها والدها كرها من رجل تكرهه، ولما رجعت وسمعت بالخبر تحولت أيامي إلى ليل طويل حالك وصارت حياتي نزاعا متواصلا، وبقيت أصارع عواطفي وأغالب ميول نفسي حتى تغلبت علي وقادتني مثلما يقود البصير ضريرا

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص91.

[2] **المصدر ذاته**، ص 105

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

أعمى، فذهبت إلى حبيبتي سرا، وأقصى مرامي أن أرى نور عينيها، وأسمع نغمة صوتها، فوجدتها منفردة تندب حظها وترثي أيامها، فجلست والسكينة حديثنا والعفاف ثالثنا، ولم تمر ساعة حتى دخل زوجها فجأة، ولما رآني أوعزت إليه نياته القذرة، فقبض على عنقها الأملس بكفيه القاسيتين، وصرخ بأعلى صوته: تعالوا وانظروا الزانية وعشيقها"[1].

وأما الرجل فقد سرق لأن الحاجة ألزمته، ولم يسأل عنه الدير الذي قضى حياته في خدمته عن جوعه وحاجته، " لم يكن زوجي لصا بل كان زارعا يفلح أرض الدير ويستغلها ولا يحصل من الرهبان إلا على رغيف نتقاسمه عند المساء ولا تبقى منه لقمة إلى الصباح، مذ كان فتى وهو يسقي بعرق جبينه حقول الدير ويزرع عزم ساعديه في بساتينه ، ولما ضعف وانتهبت أعوام العمل قواه وراودت الأمراض جسده أبعدوه قائلين: لم يعد الدير محتاجا إليك... ففي ليلة، وقد برح العوز بنا حتى صار أطفالنا يتلوون جوعا على التراب، والرضيع بينهم يمص ثديي ولا يجد لبنا، تغيرت ملامح زوجي وذهب مستترا بالظلام ودخل قبوا من أقبية الدير حيث يخزن الرهبان غلة الحقول وخمر الكروم، وحمل زنبيلا من الدقيق على ظهره وهم بالرجوع إلينا لكنه لم يسر بضع خطوات حتى استيقظ القسس من رقادهم وقبضوا عليه وأوسعوه ضربا وشتما، وعندما جاء الصباح أسلموه إلى الجند "[2].

أما **القصة الثالثة** " **مضجع العروس** " فهي كما يقول جبران "حادثة جرت في شمال لبنان في النصف الأخير من القرن التاسع عشر، وقد أخبرتني بها سيدة فاضلة من تلك النواحي تنتسب إلى أحد أشخاص الحكاية "[3].

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 106

[2] **المصدر ذاته**، ص 107

[3] **المصدر ذاته**، ص 111.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهي القصة التي تأتي مرة أخرى على قضية الإكراه في الزواج وقضية الأحكام الظالمة الصادرة عن الحكام والرهبان، فالحب الذي جمع " ليلى " بـ" سليم "وانتهى بوشاة الواشين وزفاف " ليلى " إلى رجل لا تحبه قد عاد من جديد وتحدى التقاليد كلها، وانتهت القصة بقتل "ليلى" حبيبها، وانتحارها، ولكن هذا الموت يأتي ليحكي قصة انتصار الحب على أي شيء، فجبران يؤمن كما ذكرت سابقا بأن الحب أقوى من الموت.

وفي نهاية القصة يظهر جبران جور الكهان وظلمهم، في حكم الكاهن بتحريم دفنهما والصلاة عليهما،" فتقدم إذ ذاك الكاهن الذي ضفر بتعاليمه أكاليل ذلك العرس وأشار بيمينه نحو القتيلين ونظر نحو القوم المذهولين وخاطبهم بصوت خشن قائلا: ملعونة هي الأيدي التي تمد إلى هذين الجسدين الملطخين بدماء الجريمة والعار، وملعونة هي الأعين التي تذرف دموع الحزن على هالكين قد حملت الأبالسة روحيهما إلى الجحيم."[1]

وعن الشخصية الرئيسة في **القصة الرابعة "خليل الكافر"** فهو كما يقول نعيمة: "يكاد يكون "بروفا" ثانية عن يوحنا المجنون"[2]، ففي هذه القصة ثورة ثانية على رجال الدين وعلى الإقطاع والعبودية والاستغلال، إلا أن ثورة " خليل " تزيد على ثورة المجنون في نداءات الحرية والتحرر والتحرير[3]، فكثيرا ما تتردد عبارات " فأصغي أيتها الحرية واسمعينا،...فانظري أيتها الحرية وارحمينا،...فأشفقي أيتها الحرية وخلصينا"[4]، " من أعماق هذه الأعماق نناديك أيتها الحرية فاسمعينا"[5].

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 119 .

[2] **المصدر ذاته**، ص 16 .

[3] يوحنا قمير. **جبران في الميزان**، ص 51.

[4] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 161.

[5] **المصدر ذاته**، ص 160.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

هناك أيضا قصة " **العاصفة** " التي سبق ذكرها، ونشرت في كتاب " العواصف" عام 1920م، وفي هذه القصة ما في قصص جبران السابقة من ثورة على التقاليد، وعلى الشرائع الفاسدة، وهي قصة شاب في الثلاثين من عمره، يهجر الدنيا، ويبتعد عن الناس، ليحرر نفسه من عبوديتهم ورياءهم ونفاقهم.

وثمة أقاصيص منشورة في "العواصف" وهي "**الشيطان**" و "**السم في الدسم**" و "**ما وراء الرداء** " و "**الشاعر البعلبكي**" و "**البنفسجة الطموح** "، وهناك أيضا بعض الأقاصيص التي نشرت في كتاب " دمعة وابتسامة " وهي: " **حكاية صديق** " و " **حكاية** " و "**الأرملة وابنها** ". والأقصوصة التي نشرت في "البدائع والطرائف " : " **في سنة لم تكن قط في التاريخ** ".

وقد اختلف دارسو جبران في اعتبارهم لهذه الأعمال قصة أو غير ذلك، فنعيمة يرى في " عرائس المروج " : " إنه لمن التسامح الكلي أن ندعو مثل هذه التخيلات قصة "[1]، ويرى في " وردة الهاني " من كتاب " الأرواح المتمردة " : " قد تصلح حكاية السيدة وردة لأن تكون نواة قوية لأطروحة في مظالم التقاليد الزوجية، أما أن ندعوها قصة، وأما أن نفتش فيها عن باب الخلاص من تلك المظالم، فمن قبيل تحميل المفردات فوق ما تستطيع حمله "[2].

ويرى أحد الدارسين أن جبران في مجموعتيه القصصيتين لا يعبأ كثيرا بالشروط الفنية التي تتطلبها القصة[3]، بل إن جبران برأيه " لم يكن يقصد أن يخوض غمار كتابة القصة الفنية كشكل أدبي إبداعي، بقدر ما كان يقصد أن يجعل من الحكاية منبرا لتوصيل أفكاره

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 9.

[2] **المصدر ذاته**، ص14 .

[3] نزار هنيدي. **هكذا تكلم جبران**، ص 41.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وآرائه ومعتقداته "[1]، ومهما يكن من خلل فني يعتور فن القصة عند جبران، إلا أنهـا تبقـى أقرب إلى القصة من غيرها من الفنون الأدبية الأخرى، ويبقى لجبران فضل الريادة في مثل هذا الفن على المستوى العربي .

المقالة :

يمثل فن المقالة البداية الأولى لظهور النثر الفني في المهجر [2] نظرا لانتشار الصحافة هناك، وسهولة نشر المقالة عن طريقها، وقد شكلت المقالة القسم الأكبر من مؤلفات جبران.

أولها: المقالات التي كتبها جبران ما بين عامي 1903-1908م، ونـشرها فـي صـحيفة المهاجر والهدي، ثم جمعها بعد ذلك بمساعدة نسيب عريضة في كتاب " دمعة وابتسامة " عام 1914م[3]، ويضم هذا الكتاب ستا وخمسين مقالة في موضوعات مختلفة.

ثانيها: كتاب " الموسيقا "الذي صدر عام 1905م، ويضم أربع مقالات عن الألحان الـشرقية "النهاوند" و"الأصفهان" و"الصبا" و"الرصد".

ثالثها: كتاب " العواصف " الذي صدر عام 1920م، وقد ضم عددا كبيرا من المقالات إلـى جانب بعض القصص القصيرة التي سبق ذكرها.

رابعها: كتاب " البدائع والطرائف " الذي جمع ما تفرق مـن مقـالات جبـران ومـسرحياته وأشعاره التي نشرت في المجلات والصحف، وقد تكفلت مكتبة العرب فـي مـصر بجمعـه ونشره عام 1923م.

---

[1] نزار هنيدي. **هكذا تكلم جبران**، ص 33 .

[2] عبد الكريم الأشتر. **النثر المهجري**، ج2، ص3.

[3] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص19 .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

خامسها: المقالات التي جمعها " أنطوان القوال " في كتاب "نصوص خارج المجموعة ".

وقد تناول جبران في مقالاته موضوعات شتى، فتحدث عن الإنسان وعلاقاته المختلفة مع نفسه ومع الطبيعة ومع الخالق، كما تحدث عن المشكلات الاجتماعية، وقدم الكثير من النقد للحياة الفكرية والأدبية في مقالاته.

ورغم وحدة أسلوب جبران في مقالاته، وخصوصية طابعه، إلا أننا نجد في مقالاته تنوعا كبيرا يجعل من الممكن تصنيفها إلى: المقالة الخطابية، والمقالة المقارنة، والمقالة القصصية، والمقالة الوصفية، ومقالة المناجاة، والمقالة الموضوعة بلسان المتكلم[1].

أما عن أسلوب جبران في مقالاته، فقد امتاز بعنايته بالتصوير والمجازات، والتراكيب الشعرية ذات الطاقة الإيحائية العالية، واستخدامه للرموز الشفافة، وتنوع قالب التعبير عنده بين الأسلوب المباشر والأسلوب القصصي، بما فيه من تشخيص وحوار ووصف.

أما السمة الأبرز في مقالات جبران فهي " الذاتية " التي تميزت بها أعمال جبران الأدبية، على اختلاف أنواعها، بشكل كبير حتى طغت على "الموضوعية " وذلك لاستجابة المقالة التي هي بطبيعتها في الأصل فن ذاتي[2].

ويلخص الأشتر سمة " الذاتية " في مقالات جبران بقوله: " المقالة عند جبران خلجة من خلجات قلبه الذي يحمله على كفه ويحكي أسراره "[3]، وهذه " الذاتية " جعلته يكتفي في معالجته للمشكلات الاجتماعية في مقالاته بأن يسقط المشكلة على وجدانه، ويصف انفعاله بها[4].

---

[1] روز غريب. **جبران في آثاره الكتابية**، ص174.

[2] عبد الكريم الأشتر. **النثر المهجري**، ج2، ص 5.

[3] **المرجع ذاته**، ج2، ص7.

[4]. **المرجع ذاته**، ج2، ص10.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

أدب التأملات:

إن التجربة التأملية تجتمع فيها قوى الإنسان العقلية والشعورية والروحية والجمالية، فالمتأمل يأخذ من الفيلسوف حكمته، ومن الشاعر رقته، ومن الصوفي شفافيته، ومن الفنان ذوقه ونبوءته[1]، وقد خلص أحد الدارسين في دراسته لأبعاد التجربة التأملية في الأدب المهجري إلى أن التأمل هو: " تجربة يخوضها الأديب ليعطينا من خلالها صورة صادقة عن أفكاره ومشاعره ونبوءاته وتصوره للعالم من حوله، والوقوف على مدى توافقه مع ما حوله من قيم أو رفضه لها، وصراعه في سبيل إيجاد عالم جديد مبدع "[2].

ويتسم الأدب الجبراني بمختلف أجناسه بطابعه التأملي، فقد ظل جبران يبث عباراته التأملية في كتاباته العربية على اختلافها حتى يمكننا جمع كتاب خاص يجمع مقالات جبران التأملية على سبيل المثال، ويبدو أن هذه السمة قد ازدادت عمقا في كتاباته الانجليزية التي بدأها بكتابه " المجنون" الصادر عام 1918م، الذي اشتمل على مقدمة وأربعة وثلاثين موضوعا، يظهر فيه جبران بمظهرين مختلفين، الأول مظهر سخرية وعنف، والثاني مظهر روحي فيه لغة الجد، فيبث جبران أفكاره من خلال هذين المظهرين في موضوعات مختلفة.

وبعد صدور كتاب "المجنون" بعامين يصدر جبران كتابه " السابق " عام 1920م، ويشتمل على مقدمة ومجموعة أشبه ما تكون بالأمثال والحكم الغنية بالرموز، يتابع فيها جبران أحاديثه عن الحب والحرية وغيرها من القيم. أما كتابه " النبي " الذي صدر عام 1923م، فهو أحرى كتب جبران بالتأمل، فقد مثل الصورة المكتملة لجبران، ففيه تجلت آراؤه

---

[1] صابر عبد الدايم. **أدب المهجر دراسة تأصيلية تحليلية لأبعاد التجربة التاملية في الأدب المهجري**، ط1 دار المعارف، القاهرة، 1993 ، ص41.

[2] **المرجع ذاته**، ص34.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وفلسفته في الحياة، وصوفيته وكل ما كان يصبو إليه جبران بأماله وأحلامه[1]، وعكس مرحلة جديدة من مراحل حياة جبران اتسمت بالهدوء والاستقرار، وهدأت فيه ثورته التي عهدناها في أعماله الأدبية السابقة[2]. وقد عبر جبران عن شدة ارتباط الفلسفة بمظاهر الطبيعة، وهذا يظهر في كثير من مقولاته في "النبي"، حيث كانت تمثل النزعة التأملية نهجا للرومانسيين الذين اتجهوا إلى النفس الإنسانية، وبحثوا في أسرارها، لإظهار الحقائق الكامنة وراء المظاهر[3].

يعتبر كتاب " النبي " من أكثر كتب جبران رواجا في العالم، حيث نفدت الطبعة الأولى منه بنسخها الألف والثلاثمائة في شهر واحد، وترجم إلى عشرات اللغات، وبيع منه ما يقرب السبعة ملايين نسخة، ولم يفق مبيعات " النبي " في الولايات المتحدة سوى الكتاب المقدس[4]، وكان يتلى في الكنائس، ومثل على مسرح كلية " سميث "، وهي من أكبر كليات البنات في أمريكا[5].

إن إيمان جبران الكبير بالنزعة الإنسانية في كتابه، وشخصية النبي الروحانية، زادت من شهرة كتابه وسعة انتشاره خاصة في الولايات المتحدة، وهي البيئة المادية التي تتعطش للروحانيات، ويشتمل كتاب " النبي " على ست وعشرين عظة تصاغ بطريقة شاعرية وتتناول جل الموضوعات الإنسانية كالحب، والزواج، والأولاد، والعطاء، والمأكل، والملبس، والعمل، والبيوت، والجريمة، والعقاب، والشرائع، والحرية، والعقل، والهوى، واللذة، والألم، والتعليم، والصداقة، والخير والشر، والفرح والحزن، والعدل، والجمال، والدين، والموت.

---

[1] جبران. **النبي**، ترجمة: ثروت عكاشة، ط4، دار طلاس، دمشق، 1991م، ص31.

[2] عبد العزيز النعماني. **جبران بين التمرد ومصالحة الذات**، ص56.

[3] صابر عبد الدايم. **أدب المهجر**، ص42.

[4] جلال المخ. **جبران بين المصلوب والمجنون**، ص19.

[5] عبد العزيز النعماني. **جبران بين التمرد...**، ص57.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تأتي هذه الموضوعات على لسان شخصية "النبي" الذي يظهر واقفا بين سفينة تود حمله إلى جزيرته، وبين أهل مدينة "أورفليس" (Orphalese) التي قضى فيها اثنتي عشرة سنة، فأقبل عليه كبارها وشيوخها يرجونه البقاء بينهم، وفي هذه الأثناء تظهر " المطرة " وهي أول من آمن بالنبي، تظهر في ساحة معبد المدينة طالبة منه الكشف عن أسرار الحياة التي خبرها، والحقائق التي حصل عليها، فتسأله أولا عن المحبة، فيجيبها بفكر جبران عن المحبة، ثم تسأله عن الزواج، وعن الأولاد وعن العطاء، وهكذا حتى نهاية الكتاب.

ومما يجدر ذكره أن كتاب " النبي " ضم أحد عشر رسما رمزيا ضمنها جبران كتابه، لتوحي بفكرة جبران قبل أن تنطق بها الألفاظ، وخير مثال على ذلك " رسم النبي " في بداية الكتاب، وقد صوره جبران معلما صاحب بصيرة قوية وروح شفافة، له من التأثير ما يجعل منه نبيا.

بعد كتاب "النبي " بنحو ثلاثة أعوام يصدر جبران كتابه " رمل وزبد " عام 1926م باللغة الإنكليزية أيضا، وهو مجموعة من الحكم والعبارات الموجزة المكثفة في موضوعات مختلفة تكاد تكون أفكارا واختصارات لما جاء في " النبي " ولكن بقالب مباشر وعبارات منفصلة في مضامين شتى دون ترتيب.

وبعد " رمل وزبد " يظهر " يسوع ابن الإنسان " عام 1928م، بصورة مختلفة عما جاء في مؤلفات جبران السابقة جميعها في الشكل فقط، فهذا يضم صورتين ليسوع، الأولى بنظر أعدائه، والثانية بنظر محبيه، تتنوع فيه الشخصيات رغم كثرتها، فيتكلم ثمانية وسبعون شخصا بين عدو ومحب، ثم يتكلم جبران أخيرا ليقول رأيه بيسوع، وفي هذا الكتاب تنقية لما علق بصورة يسوع من الشوائب نتيجة الفهم الخاطئ لشخصه ودينه.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وأما كتابه " آلهة الأرض "الصادر عام 1931م، ففيه ثلاث صور للحياة يجسدها ثلاث آلهة بصورة بشر، الأول محتقر لهذه الأرض وناسها وزاهد في كل ما في الوجود، والثـاني راض، محب للأرض يرى نفسه في جميع الناس وكأنهم شي واحد، والثالث مشغول بالحـب والفن، حيث الحب سيد الأرض والنصر له وعلينا اتباعه.

وبعد كتاب "آلهة الأرض" بعام ظهر كتاب " التائه " عام 1932م، وكل من يقرأ هـذا الكتاب يعرف من أفكاره أن التائه هو نفسه جبران، الذي يبدأ بقص ما لقي أثناء سيره وتيهـه وهو يجوب الآفاق، إذ يعرض لاثنين وخمسين مثلا وقصة تكثر في أغلبهـا الـسخرية مـن الواقع، ويعود فيه جبران لقضايا المرأة ورجال الـدين، ولعقيـدة الـتقمص، وغيرهـا مـن الموضوعات.

وأما الكتاب الذي لم ينجزه جبران فهو " حديقة النبي " الذي رتبت مـا أنجـز منـه "بربارة يونغ"، وطبعته وأصدرته بعد عامين من رحيل جبران عام 1933م، وفيه يقوم برحلة تأملية، يربط فيها بين عالمي الإنسان والطبيعة، لأنه يعتبر الطبيعة هي المعلم، وهي أسـاس كل حكمة.[1]

كان في ذهن جبران إنجاز عمل ثلاثي متسلسل يتمثل في كتاب "النبي" أولا ثم "حديقة النبي" ثم "موت النبي" لكن القدر لم يمهله، فأنجز "النبي" وبقي "حديقة النبي" أوراقا وفـصولا متناثرة إلى أن جمعتها "بربارة يونغ" وطبع دون عنوانات، والكتاب مكمل لكتـاب " النبـي " حيث يعود جبران إلى جزيرته من مدينة " أورفليس " ويجتمع بتسعة تلاميذ يطرحون عليـه الأسئلة التي تدور حول موضوعات مختلفة ، فيجيبهم بلسان النبي الذي عهدناه فـي كتـاب "النبي".

[1] صابر عبد الدايم. **أدب المهجر**، ص 38.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الثاني:

تفاعل السرد مع فكرة العدالة

الإنسانية

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

محاور الفصل:

- قيمة العدالة في أدب السرد عند جبران.
- العدالة الإنسانية في رواية " الأجنحة المتكسرة ".
- العدالة الإنسانية في قصص جبران القصيرة.
- العدالة الإنسانية في مقالات جبران.
- العدالة الإنسانية في التجربة التأملية عند جبران.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قيمة العدالة في أدب السرد عند جبران:

إن العدالة التي ينشدها المجتمع هي في حقيقة الأمر " نظام كلي اندماجي عام للمجتمع الإنساني، يتناول سائر آفاق الحياة البشرِّية: الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية"[1].

تتحقق هذه العدالة المنشودة بتكافؤ الفرص في مختلف الحقول الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، والحد من التفاوت الطبقي، والإيمان بحرية الفرد التي لا تكون على حساب حرية الآخرين[2].

العدالة الإنسانية إذن تشمل الجوانب التي تمس حياة الإنسان من سياسية واقتصادية واجتماعية ودينية، وهي بمفهومها هذا موضوع هذا الفصل الموسوم بـ " تفاعل السرد مع فكرة العدالة الإنسانية".

أخذ جبران على عاتقه حمل رسالة التحرر والتمرد على التسلط والظلم، فعبر عن كرهه للشرائع الوضعية، والتقاليد الزائفة، والأحكام القائمة على استبداد رجال الدين الذين يحكمون باسم الكنيسة، وهم بعيدون كل البعد عن شرائع المسيح الحقة، فأحكامهم بعيدة عن جوهر الدين وتعاليمه، وبذلك تمرد جبران ودعا إلى نبذ التقاليد، وهدم الإقطاعية السياسية الظالمة، " فوجه كلماته رافضا أن يتحول الدين إلى مؤسسة استثمارية، والسياسة إلى عملية تنويم مغناطيسي، والتقاليد إلى سلعة في سوق الأقوياء، بها يتاجرون ليمسكوا بخناق الإنسان، ويمنعوه من الحركة "[3].

---

[1] فؤاد عادل. **العدالة الاجتماعية: عقيدة، هدف، مصير**، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1969م، ص 22

[2] مصطفى محمود. **المثقف والسلطة**، ط1، دار قباء، القاهرة، 1998م، ص 480.

3 جبران خليل جبران. النبي، تقديم وتعريف: جميل جبر، ضبط وشرح ومداخلة: سامي. ج. الخوري، دار الجيل، بيروت، 1997م ص 67.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وإذا نظرنا إلى قصص جبران وجدنا أن أبطالها إما " الفلاح الفقير" الذي تحكم فيه الأمير ورجل الدين، أو " المرأة " التي سلبتها التقاليد الاجتماعية إرادتها وإنسانيتها[1]، أما في مقالاته، فهو لا يخاطب إلا الفقير والمظلوم، واعدا الفقير بمستقبل ينتفي فيه الفقر والغنى على السواء، لأن العدالة برأيه تقتضي ذلك: " لا تقنطوا، فمن مظالم هذا العالم، من وراء المادة، من وراء الغيوم، من وراء الأثير، من وراء كل شيء قوة هي كل عدل وكل شفقة وكل حنو وكل محبة "[2]، " إن القوة التي زرعتها أيها الفقير، واستغلها الغني القوي، سوف تعود إليك لأن الأشياء ترجع إلى مصادرها بحكم الطبيعة، والأسى الذي عانيته أيها الحزين ينقلب فرحا بحكم السماء، سوف تتعلم الأجيال الآتية المساواة من الفقر والمحبة من الأحزان "[3].

هذه الوعود القاضية بالعدل بين الفقير والغني، كانت صوت جبران الذي ما خفت يوما عن الدعوة إلى نبذ الظلم وتحقيق العدل، وقد عرف جبران بدوره الإصلاحي هذا، حتى أن "مي زيادة " في إحدى رسائلها لجبران تدعوه فيها لكتابة مقال يتوجه به إلى أهل لبنان يدعوهم فيه إلى التحرر والمواجهة، تقول في رسالتها: " جاء متصرف لبنان الجديد، ومنذ ساعة وصوله أخذ بالعزل والنصب تابعا في ذلك خطة سلفائه، واللبنانيون يتملقونه ويقبلون أقدامه، أعوذ بالله من المظلوم إن حكم، ترى متى نرى بيننا شخصيات فولاذية؟ ومتى ينفض اللبنانيون عن نفوسهم غبار الهوان؟ لماذا لا نكتب في هذا المعنى؟ الجمهور يحب أفكارك يا جبران، ويترنم بها، فقل لهم كلمة تذكرهم بأنهم رجال، وأن الرجولة لا تطيق الذل "[4].

---

[1] روز غريب. **جبران في آثاره الكتابية**، ص30.

[2] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص281.

[3] **المصدر ذاته**، ص 311.

[4] جميل جبر. **قصة حب أغرب من الخيال بين مي وجبران**، ط1، دار صادر، بيروت، 2001م، ص 26

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فما كان جواب جبران إلا أن كتب مقالا وأرسله لها مع نسخة من كتابه "دمعة وابتسامة "، جاء فيه: " ويل لأمة تقابل كل فاتح بالتطبيل والتزمير، ويل لأمة تكره الضيم في منامها، وتخنع إليه في يقظتها، ويل لأمة لا ترفع صوتها إلا إذا سارت وراء النعش، ولا تتمرد إلا وعنقها بين السيف والنطع، ويل لأمة عاقلها أبكم، وقويها أعمى، ومحتالها ثرثار "[1].

وقد وردت هذه المقالة بشيء من الزيادة في كتابه " حديقة النبي " وفيها: "ويل لأمة تكثر فيها المذاهب والطوائف وتخلو من الدين.

ويل لأمة تلبس مما لا تنسج وتأكل مما لا تزرع وتشرب مما لا تعصر.

ويل لأمة تحسب المستبد بطلا، وترى الفاتح المذل رحيما.

ويل لأمة تكره الشهوة في أحلامها، وترنو لها في يقظتها.

ويل لأمة لا ترفع صوتها إلا إذا مشت في جنازة، ولا تفخر إلا بالخرائب، ولا تثور إلا وعنقها بين السيف والنطع.

ويل لأمة سائسها ثعلب، وفيلسوفها مشعوذ، وفنها فن الترقيع والتقليد.

ويل لأمة تستقبل حاكمها بالتطبيل وتودعه بالصفير، لتستقبل آخر بالتطبيل والتزمير.

ويل لأمة حكماؤها خرس من وقر السنين، ورجالها الأشداء لا يزالون في أقمطة السرير.

ويل لأمة مقسمة إلى أجزاء، وكل جزء يحسب نفسه فيها أمة"[2].

أما في مؤلفاته التي طغت عليها سمة التأمل، فقد كانت فكرتا العدالة والتحرر رسالة كاملة يحملها أبطال جبران في مؤلفاته، ليحاولوا نشرها في الأرض وتحقيقها، وكأن جبران في مراحله الأخيرة قد مل من التنظير وأراد رؤية العدل واقعا عمليا قد انتشر بين بني البشر،

---

[1] جميل جبر. **قصة حب**، ص 27.

[2] جبران خليل جبران. **المجموعة الكاملة المعربة عن الإنكليزية**، ترجمة: أنطونيوس بشير، دار صادر، بيروت، د.ت، ص456 .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فما كان منه إلا أن اختار شخصية متفردة، شخصية مثالية بكل المقاييس، شخصية معصومة من الخطأ غالبا، لقد اختار " النبي " وحمله رسالته العظمى داعيا للخير والمحبة والسلام والعدل والحرية.

وفي كتابه " السابق " يحمل جبران من خلال الأمثال والحكم عددا من القيم، كالحب والحرية والدين، وفيها يجعل العدالة الطريق الوحيد للوصول إلى تلك القيم، فما يوصلنا إلى الحرية هو العدل، وما يوصلنا إلى الحب هو الحرية، وما يوصلنا إلى الله هو الحب، فالعدل هو أساس الوصول إلى الحرية وإلى الحب وإلى الله.

وفي كتابه " المجنون " تتجلى سخرية جبران من عدل البشر، ويعرض لنا أحكاما غريبة تدل على السخرية اللاذعة من العدل الذي أقامه الحكام في الأرض، فمثلا يسخر من أمير يقلع عين حائك لأن نوله فقأ عين سارق، ثم يقلع عين إسكاف لأن عينا واحدة تكفيه...[1]

أما " يسوع ابن الإنسان " فأبطاله معاصرو " يسوع " منهم من ورد ذكره في الإنجيل، ومنهم من ابتدعه جبران، وعددهم ثمانية وسبعون، يختلفون في نظرتهم ليسوع والإنجيل، وفيه يحاول جبران أن يكشف واقع " يسوع " الذي شوهه الكثيرون بفهمهم الخاطئ وهو بنظر جبران معلم يجمع الأضداد، وإنسان متفوق يقترب من الكمال، لكنه في الوقت نفسه ليس إلهاً، وأما كتابه " آلهة الأرض " فأبطاله آلهة بصورة بشر، وهم ثلاثة آلهة يجسد كل منهم نظرته إلى الحياة، فيحملون في عمق أفكارهم قيما عليا، أهمها العدالة، يأتي تفصيلها في موضعها.

والتائه ، كتاب يقلب فيه جبران الواقع سخرية من الواقع، فيقلب الظلم إلى عدل، لنرى الفقير إلى جانب الغني سواسية، ونرى المرأة قوية أمام المجتمع والتقاليد، ونرى رجال الدين

---

[1] جبران. **المجموعة المعربة**، ترجمة: أنطونيوس بشير، ص 18.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University

يضحون بحياتهم لحماية حياة الناس والحفاظ عليها، وأما " حديقة النبي " فهو بمثابة الجزء الثاني لكتاب " النبي " بكل ما حمل من مبادئ وقيم.

إن مظاهر الظلم السياسي والاقتصادي والاجتماعي التي عاشها المجتمع العربي بشكل عام، والمجتمع اللبناني بشكل خاص جعلت جبران ثائرا دفاعا عن الحرية التي تحقق العدل، والعدل الذي يضمن الحرية للبشر.

أولا: العدالة الإنسانية في رواية " الأجنحة المتكسرة":

لقد ورثت الرواية دور الشعر في العصر الحديث، وأصبحنا – كما يقول جابر عصفور– : " نعيش في زمن الرواية " [1]، وقد أخذت الرواية على عاتقها مهمة التأريخ الحقيقي لأحداث الأمة وقضاياها، وأصبحت تعكس ما يدور في المجتمع من هموم ومشكلات رغبة في التغيير والإصلاح، فما الذي حملته " الأجنحة المتكسرة " من حقائق تعكس صورة مجتمعها؟

قد يجيب على هذا التساؤل حقيقة أوردها " الأب طانيوس منعم " في بحثه: " جبران والكنيسة " ينقل فيها حادثة يرويها " جرجس صفا " في مذكراته، تقول:

" ادعى رجل ماروني أنه تزوج امرأة من طائفة الروم الكاثوليك – من إقليم الخروب – وأن كاهنا مارونيا بارك الزواج، ولكن المراة أنكرت ذلك، ورفضت مساكنة الرجل، فشكا هذا أمره إلى فضول البستاني أخي المطران بطرس البستاني، فأجبر المرأة على مساكنته، معتمدا على نفوذ عائلته، ومناصرة أخيه المطران وإقناع المتصرف بالتدخل لمصلحته، وذهبت المرأة إلى مطرانها تشكو أمرها متظلمة مؤكدة أنها لم تتزوجه، ودعواه كذب واختلاق، ورفعت القضية إلى رستم باشا، فأمر رئيس القلم التركي اسكندر الحداد بإحباط الدعوى إن كانت

[1] جابر عصفور. **زمن الرواية**، ط1، الهيئة المصرية، القاهرة، 1999م، ص11.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

باطلة، فأرسل هذا خيالا مخصوصا إلى الكنيسة في استحضار سجل الزواج، فوجد فيه تزويرا بورقة غير أصلية أدخلت فيه، وانتهى أمر التزوير إلى رستم باشا، فغضب غضبا شديدا على صاحب السيادة الذي كان يكتب إليه متظلما في أمر لا صحة له "[1].

لقد هزت هذه الحادثة لبنان من أقصاه إلى أقصاه، وما حملته من دعوى الزواج بالقوة والقهر والاغتصاب تعتبر صدى لرواية " الأجنحة المتكسرة "[2].

هذا الرأي يدل على أن جبران كان يروي واقعا مريرا كانت تعيشه المرأة في لبنان. لقد نظر كثيرون إلى رواية " الأجنحة المتكسرة " على أنها رواية الحب الأول لجبران – كما ذكرت سابقا – واعتبر كثيرون أيضا أنها رواية الحب الباقي رغم الموت، كما يقول " صلاح الدين البستاني " في تقديمه لمجموعة جبران، فهو يقول: " هذا الكتاب نتعلم منه كيف نحب ونعلم الناس كيف يحبون ويذوبون في حب أحبائهم... هذا الكتاب تنحسر أمامه موجات الحب التي يعرفها شبابنا وشاباتنا في هذه الأيام... هذه قصة "جبران مع سلمى" في حب لا يموت مهما كان الموت قويا، إن كان اسم الكتاب " الأجنحة المتكسرة " كما أراد جبران، فصحة الاسم: "الأجنحة السليمة " رغم أنف الموت! "[3].

اعتبر البستاني رواية " الأجنحة المتكسرة " رواية حب باق لا يموت وحسب، لدرجة أنه اقترح تغيير اسمها إلى " الأجنحة السليمة " لكنها في واقع الأمر " الأجنحة المتكسرة " كما أراد جبران عن وعي تام تسميتها كذلك.

---

[1] طانيوس منعم. **جبران والكنيسة**، ص 18

[2] **المرجع ذاته**، ص 19.

[3] جبران خليل جبران. **الأجنحة المتكسرة**، تقديم: صلاح الدين البستاني، دار العرب للبستاني، القاهرة، 1986م، ص 3-4 (مقدمة المحقق).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إن طرفي قصة الحب في الرواية يعانيان من الضعف الذي يعبر عنه جبران بانكسار الأجنحة، وذلك رغم نقاط القوة التي يتميز بها كل منهما، فالطرف الأول " جبران " يجعل منه الفقر ضعيفا أمام جبروت المطران " بولس غالب " الذي يلتف حوله الكهان ورجال الدين رياء.

أما الطرف الثاني " سلمى " ففيها من الضعف والانكسار ما يحمل رؤية جديدة للرواية، ورموز الضعف الكامن في سلمى تتجلى في:

أولا: فقدت سلمى والدتها وهي لم تبلغ الثالثة من عمرها بعد، وبذلك تكون سلمى قد خسرت – كما يقول جبران – : " التعزية في الحزن، والرجاء في اليأس، والقوة في الضعف، وينبوع الحنو والرأفة والشفقة والغفران، فالذي يفقد أمه يفقد صدرا يسند إليه رأسه ويدا تباركه وعينا تحرسه..."[1].

ثانيا: هي قبل كل شيء امرأة شرقية مسلوبة الإرادة: " كانت تمثل على غير معرفة منها حياة المرأة الشرقية التي لا تغادر منزل والدها المحبوب إلا لتضع عنقها تحت نير زوجها الخشن ... وسلمى كرامة كانت في بيروت رمز المرأة الشرقية العتيدة، ولكنها كالكثيرين الذين يعيشون قبل زمانهم، قد ذهبت ضحية الزمن الحاضر"[2].

ثالثا: كانت غنية، لكنها في الوقت نفسه كانت فاضلة، والتقاء الغنى مع الفضيلة برأي جبران يولد الضعف " سخرية من الواقع "، وقد ورثت سلمى هذه الصفات عن والدها فارس كرامة: "لا أعرف رجلا سواه في بيروت قد جعلته الثروة فاضلا، والفضيلة مثريا، وهو واحد من القليلين الذين يجيئون هذا العالم ويغادرونه قبل أن يلامسوا بالأذى نفس مخلوق، ولكن هؤلاء

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 215

[2] **المصدر ذاته**، ص 209.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الرجال يكونون غالبا تعساء مظلومين، وهي تشابهه بالأخلاق... وهي أيضا ستكون تاعسة لأن ثروة والدها الطائلة توقفها الآن على شفير هاوية مظلمة مخيفة "[1].

رابعا: كانت سلمى امرأة عاقر في السنوات الخمس الأولى من زواجها: " والمرأة العاقر مكروهة في كل مكان لأن الأنانية تصور لأكثر الرجال دوام الحياة في أجساد الأبناء، فيطلبون النسل ليظلوا خالدين على الأرض"[2].

خامسا: موت والدها، وبذلك لم يبق لها من تتعزى به: " أنت أبي وأمي ورفيق حداثتي ومهذب شبيبتي، فبمن أستعيض إذا ما ذهبت عني؟"[3].

سادسا: موت طفلها الذي أنجبته بعد ست سنوات واعتقدت بأنه سيكون عونا لها وتسلية عن مظالم زوجها وقساوته: " ولما طلعت الشمس قربت سلمى ولدها من ثديها، ففتح عينيه لأول مرة ونظر في عينيها واختلج وأغمضهما لآخر مرة "[4].

لقد رسم جبران الضعف والانكسار والانهزام والانقياد في شخصية سلمى، ليكشف لنا بعد ذلك عن الصورة الأكبر التي رمزت لها شخصية سلمى بكل ما حملت من الضعف، فما الذي يدل عليه ضعف سلمى وانكسارها؟

إن سلمى بضعفها هذا ما هي إلا رمز الأمة المظلومة، فبعد أن تنبه جبران لنفسه وقد بث في كل فصل من فصول الرواية فكرة تدل على الظلم وتطالب بالعدل، وتدعو للتمرد والثورة على الضعف المؤدي للظلم نجده يقول:

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص176-177.

[2] **المصدر ذاته**، ص234

[3] **المصدر ذاته**، ص217.

[4] **المصدر ذاته**، ص236.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

" لماذا تراود الدموع أجفاني لذكر شعوب خاملة مظلومة وأنا قد وقفت دموعي على ذكرى أيام امرأة ضعيفة لم تعانق الحياة حتى احتضنها الموت، ولكن أليست المرأة المتوجعة بين ميول نفسها، وقيود جسدها هي كالأمة المتعذبة بين حكامها وكهانها؟"[1].

وقد حمل جبران قصة حبه مع سلمى فوق ما تحتمل من ألوان العذاب والمواجهة، وجعل القارئ يتفاعل مع هذا الحب ويعظمه، فيصبح كل ما يقف في وجه هذا الحب جريمة بحق الإنسانية، ومن هنا بدأ جبران بالكشف عن ألوان الظلم السائد نتيجة الصراع الطبقي والتقاليد الاجتماعية البالية، وسلطة رجال الدين المتحكمة الباغية التي وقفت في وجه هذا الحب.

ومن ألوان الظلم الذي يكشف عنه جبران مطالبا بالعدالة الإنسانية:

- النقمة على رجال الدين ورفض سلطاتهم.
- التفاوت الطبقي والاجتماعي.
- المرأة الشرقية وإرادتها المسلوبة.

الثورة على رجال الدين ورفض سلطاتهم:

إن قصة الحب الكبير الذي جمع جبران مع سلمى في الأجنحة المتكسرة فتح له مجالا واسعا للثورة على رجال الدين ورفض سلطاتهم الظالمة، وتعريتهم أمام المجتمع بالكشف عن سلوكهم الذي يسترونه بغطاء الدين، إذ يجعل جبران سلطة رجال الدين الباغية سببا رئيسا يحول بينه وبين سلمى، فتظهر شخصية المطران الدينية متسترة بظل الإنجيل وفضائل المسيحية، فتبدو شخصية فاضلة إلا أنها تخفي بداخلها الطمع والرياء والخبث، وتستغل منصبها الديني لتحقيق مصالحها الشخصية على حساب الآخرين ممن لا يملكون نفوذهم،

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص211.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فالمطران في " الأجنحة المتكسرة " يستغل منصبه الديني بالتسلط على الأرامل واليتامى، منتزعا أموالهم بغير حق، وهو الشخص الذي يفرض إرادته على أي كان دون أن يقابل بالرفض.

يكشف جبران عن ذلك الظلم الذي يلحقه رجال الدين بالناس بصور مختلفة متخذا من قصة الحب وسيلة للكشف عن صور الظلم، أولها: عندما يطلب المطران " بولس غالب " مقابلة " فارس كرامة " لا من أجل أن يفاوضه بشؤون الفقراء والمحتاجين والأرامل واليتامى، بل ليطلب منه سلمى عروسا لابن أخيه " منصور بك غالب " " لا لجمالها ونبالة روحها بل لأنها غنية تكفل بأموالها الطائلة مستقبل منصور بك غالب، وتساعده بأملاكها الواسعة على إيجاد مقام رفيع بين الخاصة والأشراف"[1].

وهنا تبدو صورة الطمع والسعي لتحقيق المصالح الشخصية، تتبعها صورة التسلط الذي يفرضه المطران، عندما ينحني والد سلمى أمام مشيئته قهرا عما في داخل نفسه من الممانعة: " أي مسيحي يقدر أن يقاوم أسقفا في سوريا، ويبقى محسوبا بين المؤمنين؟ أي رجل يخرج عن طاعة رئيس دينه في الشرق، ويظل كريما بين الناس؟ أتعاند العين سهما ولا تفقأ، أو تناضل اليد سيفا ولا تقطع؟"[2].

يعود جبران بعد ذلك إلى صورة الطمع من جديد في قوله: " كنت أرجو الطمأنينة لفارس كرامة، لأن صهره لم يستلم يد ابنته، ويحصل على أموالها الطائلة حتى نسيه وهجره، بل صار يطلب حتفه توصلا إلى ما بقي من ثروته"[3].

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 196

[2] **المصدر ذاته**، ص 197

[3] **المصدر ذاته**، ص 210

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بعدها يسترسل بحديثه ليظهر لنا صورة الرياء والانحطاط التي كان عليها المطران وابن أخيه: " كان المطران يقف يوم الأحد أمام المذبح ويعظ المؤمنين بما لا يتعظ به، ويصرف أيام الأسبوع مشتغلا بسياسة البلاد، أما ابن أخيه فكان يصرف جميع أيامه متاجرا بنفوذ عمه بين طالبي الوظائف ومريدي الوجاهة"[1].

ويعتقد " عبد الكريم الأشتر " في تحليله للرواية، أن ثورة جبران على رجال الدين أملت عليه سوق أحداث الرواية بشكل يجعل البطلة – بعد أن تتزوج رغما عنها – تعيش سنوات من العقم ثم تنجب ويموت طفلها، ثم تموت هي أيضا، والأحداث بهذا الشكل كانت تشكل مطية لعواطفه في تمجيد الحب، وتحطيم ما يعترضه من قيود تفرضها التقاليد الدينية والاجتماعية[2].

هذا التسلط والرياء والظلم والفساد والطمع والانحطاط الذي يتسم به رجال الدين في الأجنحة المتكسرة يأتي ليذكر بغياب القيم العليا التي ينشدها أي مجتمع لتحقيق العدالة الإنسانية.

أما القضية الثانية فهي التفاوت الطبقي والاجتماعي، ولكن الأمر يختلف هنا، إذ يجعل جبران من الغنى سببا للتعاسة، فسلمى كرامة ابنة رجل غني يتسم بالفضيلة والشرف، لكن هذا الغنى يجعله مطمعا للمطران وابن أخيه، لتصبح ثروة فارس كرامة سببا في تعاسة سلمى:" لو لم يكن فارس كرامة رجلا غنيا، لكانت سلمى اليوم حية تفرح مثلنا بنور الشمس"[3].

وهنا يعزز جبران فكرة تسلط رئيس الدين وظلمه، فلا الشرف والفضيلة يمنع هذا الظلم، ولا المال والغنى يستطيع رده، بل إن غنى سلمى كان يوقفها على شفير هاوية،

---

[1] جبران. المجموعة **العربية**، تقديم: نعيمة، ص 211

[2] الأشتر. **النثر المهجري**، ص 78.

[3] جبران. المجموعة العربية، تقديم :نعيمه، ص 198

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ويجعلها مطمعا للمطران وابن أخيه، وإذا كانت سلمى بغناها، وبما تملك من الأموال ضعيفة، مسلوبة الإرادة، فكيف بجبران المعدم؟!.

" كان فارس كرامة رجلا غنيا، ولم يكن له وارث سوى ابنته سلمى، وقد اختارها المطران زوجة لابن أخيه، لا لجمال وجهها، ونبالة روحها، بل لأنها موسرة، تكفل بأموالها الطائلة مستقبل منصور بك، وتساعده بأملاكها الواسعة على إيجاد مقام رفيع بين الخاصة والأشراف"[1].

إن السلطة التي يتمتع بها رجال الإقطاع كانت أقوى من المال والغنى، لذلك ظلت سلمى ضعيفة، وظل والدها مسلوب الإرادة أمامهم.

أما عن القضية الثالثة المتمثلة بضعف المرأة الشرقية، وإرادتها المسلوبة فقد جعل جبران من سلمى رمزا للمرأة الشرقية العتيدة التي غالبا ما تكون ضحية المجتمع الذي يسلبها حقها وحريتها، فتصبح كالسراج الخالي من الزيت: " إن المرأة من الأمة بمنزلة الشعاع من السراج، وهل يكون شعاع السراج ضئيلا إذا لم يكن زيته شحيحا"[2].

تبدو قصدية جبران في هذه القضية بالذات بجعل سلمى شخصية ضعيفة، ليؤكد رمزية المرأة الضعيفة، الدالة على الأمة المظلومة. فكثيرا ما يخطر ببال القارئ أن سلمى كان بإمكانها مثلا الهرب مع حبيبها جبران، للتخلص من قيود المجتمع والمطران، وبذلك يظفر كل منهما بالآخر، وتنتهي المعاناة، وكثيرا ما يفكر القارئ أيضا بأن المال الذي تملكه سلمى يجب أن يكون مصدر قوة لا مصدر ضعف، وسلمى كانت غنية إلا أن غناها لم يفعل شيئا رغم أنها محاطة بمجتمع لا تحكمه المبادئ ويمكن أن يشترى ويباع بالمال.

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم :نعيمه، ص196.

[2] **المصدر ذاته**، 211- 212.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولكن ظلم الحكام والكهان كان أكبر من أية قوة: " أليست المرأة المتوجعة بين ميـــول نفسها، وقيود جسدها هي كالأمة المتعذبة بين حكامها وكهانها، أو ليست العواطف الخفية التي تذهب بالصبية الجميلة إلى ظلمة القبر هي كالعواصف الشديدة التي تغمـــر حيـــاة الـــشعوب بالتراب؟"[1]

[1] جبران. المجموعة العربية، تقديم: نعيمة، ص 211.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ثانيا: العدالة الإنسانية في قصص جبران القصيرة:

- **مجموعة "عرائس المروج ":**

إن إيمان جبران وتأكيده قيمة العدل العليا جعلاه يبني **أولى قصص هذه المجموعة " رماد الأجيال والنار الخالدة "** على فكرة التقمص، ووحدة الوجود، ليعيد أبطال القصة " ناثان ابن الكاهن حيرام " ومحبوبته إلى الحياة مرة أخرى، بعدما سلبتهم الحياة أحلامهما، وتفرقا، ولكن عودتهما هذه المرة كانت تشكل نقيضا لحال " ناثان ابن الكاهن حيرام " وما يتمتع به من المال والجاه، ليحيا بشخص الراعي " علي الحسيني " من قبيلة الحسينيين الذين يسكنون الخيام في سهول بعلبك، وما يحيط بهم من الفقر والبؤس والعوز، لكنه هذه المرة يلتقي بمحبوبته ولا يفارقها، فالعدل برأي جبران يقتضي أن ينعم الفقير البائس بنعمة الحب، في حين يحرم منها صاحب الجاه والمال.

" فأغمض علي أجفانه، وقد استحضرت موسيقا كلماتها رسوم حلم طالما رآه في نومه، وشعر بأجنحة غير منظورة قد حملته من ذلك المكان، وأوقفته في حجرة غريبة الشكل بجانب سرير ملقى عليه جثمان امرأة جميلة أخذ الموت بهاءها، وحرارة شفتيها، فصرخ ملتاعا من هول المشهد، ثم فتح أجفانه فوجد تلك الصبية جالسة بجانبه وعلى شفتيها ابتسامة محبة، وفي لحظها أشعة الحياة، فأشرق وجهه، وانتعشت روحه، وتضعضعت أخيلة رؤياه، ونسي الماضي ومآتيه..."[1].

أما في القصة الثانية " مرتا البانية " فيعود جبران للظلم الواقع على المرأة الشرقية من جهة، وللظلم الاجتماعي الذي سببه انقسام المجتمع إلى طبقتين: فقراء وأغنياء من جهة أخرى، كما يشير في نهاية القصة إلى تحالف رجال المؤسسة الدينية مع الأغنياء الظالمين،

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم:نعيمة، ص57.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لتكتمل بذلك صورة المجتمع الذي يرفضه جبران، ويتخذ من قصصه على اختلاف موضوعاتها وسيلة يبث من خلالها أفكاره عن الظلم البشريّ، مطالبا بحياة مثالية تسودها العدالة والقيم العليا.

تمثل مرتا نموذج المرأة الضعيفة، فهي امرأة شرقية يموت والدها وهي في المهد، وتموت أمها قبل بلوغها سن العاشرة، ويخلفانها يتيمة فقيرة، يتولى أمور معاشها جار فقير أيضا، لم يترك لها والدها سوى كوخا حقيرا، ولم تخلف لها أمها إلا دموع الأسى، وذل التيتم، وحين تبلغ السادسة عشرة يأتيها وحش كاسر بهيئة إنسان ليمزق جسدها، ويخلفها وراءه بعد أن ترك في أحشائها ثمرة ما اقترفته من إثم، فتظل وحيدة تقاسي الجوع والبرد والعوز. في هذه القصة تظهر صورة الضعف والفقر أمام صورة البطش والجبروت والغنى.

" إي مرتا، أنت زهرة مسحوقة تحت أقدام الحيوان المختبئ في الهياكل البشريّة، قد داستك تلك النعال بقساوة، لكنها لم تخف عطرك المتصاعد مع نواح الأرامل، وصراخ اليتامى، وتنهيدات الفقراء نحو السماء مصدر العدل والرحمة"[1].

إن احتراف البغاء ليس إلا نتيجة من نتائج الظلم الاجتماعي الواقع على المرأة، فالمرأة التي تمتهن الخطيئة، هي امرأة فقيرة سلب أحد الأثرياء شرفها، وتركها في أحضان الذل.[2]

تروي مرتا قصتها لجبران قائلة: " نعم، أنا مظلومة، أنا شهيدة الحيوان المختبئ في الإنسان، أنا زهرة مسحوقة تحت الأقدام..." وبعد أن تروي قصتها كاملة، تتنهد قائلة: " أيها العدل الخفي، الكامن وراء هذه الصور المخيفة، أنت السامع عويل نفسي المودعة ونداء قلبي المتهامل، منك وحدك أطلب، وإليك أتضرع، فارحمني وارع بيمناك ولدي، وتسلم بيسراك

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 66.

[2] نزار هنيدي. **هكذا تكلم جبران**، ص 43.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

روحي"[1] وتكتمل الصورة عندما تموت مرتا وتحمل على كتفي فقيرين، وتـدفن فـي حقـل مهجور بعيد عن المدينة: " وقد رفض الكهان الصلاة على بقاياها، ولـم يقبلـوا أن ترتـاح عظامها في الجبانة، حيث الصليب يخفر القبور"[2].

أما قصة " يوحنا المجنون " فهي الصورة الحية لتمرد جبـران وثورتـه علـى الظلـم الاجتماعي، بعد أن كان قد هيأ لتلك الثورة بقصتيه السابقتين، نجده في " يوحنا المجنون " وقد لبس ثوب المجنون الذي لا يلام على قول، ولا يحاسب على فعل، ليقول ما يشاء: " أمن العدل أن يزداد الفقير فقرا، ويموت المسكين جوعا؟"[3].

كان يوحنا يمثل صورة مجتمع كامل، مارست عليه الشرائع البشرّية ألوانـا مـن الظلـم والاضطهاد، فثار في وجه الظلم وقال كلمته، " لقد أقاموا يا يسوع لمجد أسـمائهم كنـائس، ومعابد كسوها بالحرير المنسوج، والذهب المذوب، وتركوا أجساد مختاريك الفقراء عارية في الأزقة الباردة، وملأوا الفضاء بدخان البخور، ولهيب الشموع، وتركـوا بطـون المـؤمنين بإلوهيتك خالية من الخبز، وأفعموا الهواء بالتراتيل والتسابيح، فلم يـسمعوا نـداء اليتـامى، وتنهيدات الأرامل، تعال ثانية يا يسوع الحي واطرد باعة الدين من هياكلك..."[4].

إن هدف يوحنا الأسمى من وراء ثورته هو التشهير بأعمال الكنيسة اللاإنسانية، والكشف عما وصل إليه الناس من فقر واستعباد وبؤس، وهو بهذا يرمي إلى الدعوة إلى التآخي والعدل

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 67.

[2] **المصدر ذاته**، ص 68

[3] **المصدر ذاته**، ص 73

[4] **المصدر ذاته**، ص 78

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والسلام، ليعود الرهبان عن غيهم وضلالهم، ويوفوا الناس حقوقهم، ويلغوا التفرقة بينهم وبين المساكين، فتكون الحياة مساواة وسلاما لا ظلما وتناحرا.[1]

طرح جبران الكثير من صور الظلم في قصة يوحنا المجنون، ومنها صورة الجوع والفقر الذي يعيشه الفلاحون، وسكان القرى، حين يقول: " كان ذلك النهار من أواخر أيام الصوم، وسكان تلك القرى المنقطعون عن اللحوم، أصبحوا يترقبون بفضلات الصبر مجيء عيد الفصح، أما يوحنا فمثل جميع المزارعين الفقراء لم يكن يفرق بين أيام الصيام وغيرها، فالعمر كله كان صوما طويلا عنده، وقوته لم يتجاوز قط الخبز المعجون بعرق الجبين والثمار المبتاعة بدم القلب..."[2]، ومنها أيضا صورة الظلم في قوله: " امدد يدك يا يسوع القوي، وارحمنا لأن يد الظلوم قوية علينا"[3].

ربما لم تسفر ثورة يوحنا عن نتائج إيجابية متحققة، وربما لم يستطع تغيير الواقع كما أراد، لكنه خلق شيئا من البلبلة في صفوف الكنيسة ولو لوقت قصير.[4] ودفع بثورته هذه الناس على التفكير بما هم عليه، فكان الناس من حوله بين مستحسن راض، ومستقبح غاضب، فمنهم من يقول: " لم يقل غير الحق، فهو يتكلم عنا أمام السماء، لأننا مظلومون"[5]، ومنهم من يقول: " أحسست بقشعريرة سحرية تهز قلبي في داخلي عندما سمعت صوته، فهو يتكلم بقوة غريبة"[6].

---

[1] جلال المخ. **جبران بين المصلوب والمجنون**، ص38.

[2] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص70

[3] **المصدر ذاته**، ص79.

[4] جلال المخ. **جبران بين المصلوب والمجنون**، ص 43.

[5] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 80.

[6] **المصدر ذاته**، ص 80.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وكذلك كان جبران يفعل بكل ما يكتب، فإنه وإن لم يستطع تغيير الواقع حينها، إلا أنه قال كلمته وهو على إيمان تام بأن لكلامه زمنا يكون فيه متحققا لا محالة، فهو من قال: "جئت لأقول كلمة، وسأقولها، وإذا أرجعني الموت قبل أن ألفظها يقولها الغد، فالغد لا يترك سرا مكنونا في كتاب اللانهاية"[1].

يبدو أن جبران في قصتي " مرتا البانية " و" يوحنا المجنون " ركز على صورة الإنسان المظلوم الضعيف الذي سحقته أيادي البطش، ولم يكن يملك القدرة على المواجهة والتحدي، مع أنه كان يحاول، إلا أنه ظل ضعيفا أمام المجتمع، فكان مصير مرتا البانية " الموت " ومصير يوحنا" الجنون "، وفي النهايتين ما يعبر أحسن تعبير عن حالة الضعف الذي يعيشه الفرد إذا واجه المجتمع.

- مجموعة " الأرواح المتمردة ":

تضم هذه المجموعة أربع قصص يعمل فيها جبران على تطوير آرائه وأفكاره التي سبق عرضها في " عرائس المروج " و" الأجنحة المتكسرة " وتعميقها، ولكن بشمولية أعمق، يسعى من خلالها للوصول إلى قيمة العدل العليا، حيث لا قهر يقع على المرأة، ولا غني يضطهد فقيراً، ولا أحكام ظالمة يفرضها رجال المؤسسة الدينية.

لقد اعتبر جبران أن المرأة المظلومة هي رمز للأمة المظلومة، فحملها بذلك الكثير من صور الظلم الاجتماعي في علاقاتها المختلفة مع زوجها، أو مع حبيبها، أو مع أهلها، أو حتى مع المؤسسة الدينية التي تستظل بظلها.

قصة " **وردة الهاني** " هي أولى قصص مجموعة الأرواح المتمردة، وفيها يقدم جبران حالة أخرى من حالات الظلم الاجتماعي الواقعة على المرأة، فوردة الهاني صبية تستيقظ من

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 349.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

غفلة شبيبتها، فتجد نفسها في بيت رجل عجوز يمنحها الأموال والعطايا، ويكرمها، ولكنه لا يستطيع أن يلامس قلبها بشعلة الحب، ولا أن يشبع ميلها إلى ذلك الإحساس الذي يربط قلب المرأة بعيني الرجل، فتتمرد وردة، وتتبع نداء قلبها لتغادر بيت زوجها الثري، وتعيش مع الفتى الفقير الذي اختاره قلبها، وفي القصة استنكار واضح لزواج الفتيات من كبار السن، لأن هذا الزواج قد يحرم المرأة من سعادة الحب.

في هذه القصة يظهر راوي القصة شاهدا على أحداثها، فهو صديق لرشيد بك – بطل القصة – ويبدو للقارئ بداية أن الراوي محايد في حكمه، لكنه بعد ذلك يقص الأحداث بشكل يجعلنا ندرك تماما أنه مع المرأة التي ظلمتها التقاليد، فتفهم روحه روحها، لينطق بشعورها، ولا يملك القارئ في بداية القصة إلا أن يتعاطف مع رشيد بك، ويظن أنه هو الضحية في القصة، حتى يأتي صوت وردة كاشفا عن خفايا الموضوع أو عن المغزى الذي أراده جبران من القصة.

أما عن رشيد بك نعمان، فهو رجل لبناني، بيروتي المولد والمسكن، من أسرة غنية بالوراثة، ومن الأسر التي يهمها اسم العائلة ومجدها، ولا يتخلى عن عقائدها وتقاليدها التي تنصرف إلى تقليد الغرب حتى في الأزياء، فتبدو غريبة ومميزة في عالم الشرق.

يصفه جبران بطيبة القلب، وكرم الأخلاق، ومع ذلك فلم يكن له من الأمور إلا ظاهرها، يقترن بوردة الهاني، وبعد حين يلتقيه جبران وإذا بحاله قد تبدلت:

" ذهبت لزيارة رشيد، فوجدته ضعيف الجسد، مكمد اللون، تتمايل على سحنته المنقبضة أشباح الأحزان، وتنبعث من عينيه الحزينتين نظرات موجعة تتكلم بالسكينة عن انسحاق قلبه، وظلمة صدره"[1]. فظن الراوي أنه فقد عزيزا أو خسر كل ما يملك من المال لما هو عليه من

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص86.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

سوء الحال، فلما استنطقه عن حاله كشف له رشيد عن انكسار قلبه، وضياع أماله مع المرأة التي انتشلها من الفقر، ومنحها كل ما يملك من حلى ومركبات وخيول، وأحبها وكان لها صديقا ورفيقا وزوجا أمينا، قد خانته، وغادرته، وفضلت عليه من لا يملك أن يسكنها إلا في ظلال الفقر والعوز[1].

وقد استهل جبران قصته بلغة تقريرية تعبر عن حال رشيد بك عندما قال: "ما أتعس الرجل الذي يحب صبية من بين الصبايا ويتخذها رفيقة لحياته، ويهرق على قدميها عرق جبينه ودم قلبه، ويضع بين كفيها ثمار أتعابه، وغلة اجتهاده، ثم ينتبه فجأة، فيجد قلبها الذي حاول ابتياعه بمجاهدة الأيام، وسهر الليالي قد أعطي مجانا لرجل آخر ليتمتع بمكنوناته ويسعد بسرائر محبته"[2].

بعد أيام يلتقي الراوي ببطلة القصة وردة الهاني لأول مرة وهي كما يصورها جبران امرأة حسناء يلتقيها في بيت حقير محاط بالأزهار والأشجار، وحين يراها تتبدد صورتها التي كانت في ذهنه " كثعبان مخيف في جسم طائر بديع الشكل "[3]، فتقص عليه قصتها باستهلال يكشف عن مغزى القصة المتمثل بقضية المرأة المظلومة، فتقول: " لم ألتق بك قبل الآن أيها الرجل، ولكني سمعت صدى أفكارك وأحلامك من أفواه الناس، فعرفتك شغوفا على المرأة المظلومة، رؤوفا بضعفها، خبيرا بعواطفها وميولها، من أجل ذلك أريد أن أبسط لك قلبي وأفتح لك صدري، لترى مخبآته، وتخبر الناس إن شئت بأن وردة الهاني لم تكن امرأة خائنة شريرة..."[4].

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 87

[2] **المصدر ذاته**، ص 85.

[3] **المصدر ذاته**، ص 89.

[4] **المصدر ذاته، والصفحة ذاتها**، ص 89.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كانت وردة الهاني تمثل نموذج المرأة التي ظلمتها تقاليد المجتمع التي لا تسمع لرأي المرأة، فتساق إلى بيت زوجها الغني، والذي يفوقها سنا وهي ما زالت لا تفقه معنى الزواج، وعندما فتح الحب عينيها ثارت على واقعها وعلى التقاليد، والتحقت بحبيبها غير مبالية بتقاليد المجتمع الذي لا يدرك أوجاعها ومظالمها:

"عرفت أن سعادة المرأة ليست بمجد الرجل وسؤدده، ولا بكرمه وحلمه، بل بالحب الذي يضم روحها إلى روحه، ويسكب عواطفها في كبده، ويجعلها ويجعله عضوا واحدا من جسم الحياة...، عرفت أن كل يوم أصرفه بقربه هو كذبة هائلة يخطها الرياء بأحرف نارية ظاهرة على جبهتي أمام الأرض والسماء، لأنني لم أقدر أن أهبه محبة قلبي لقاء كرمه، ولا أن أمنحه انعطاف نفسي ثمنا لإخلاصه وصلاحه"[1].

وهي بذلك نموذج المرأة التي تحرمها التقاليد من التمتع بإحساس الحب، فتجد نفسها في منزل رجل على استعداد أن يقدم لها كل شيء، " لكنه لا يقدر أن يلامس قلبها بشعلة الحب المحيية "وهي النموذج ذاته الذي يستهل به جبران قصته حين قال:

" ما أتعس المرأة التي تستيقظ من غفلة الشبيبة، فتجد ذاتها في منزل رجل يغمرها بأمواله وعطاياه، ويسربلها بالتكريم والمؤانسة، لكنه لا يقدر أن يلامس قلبها بشعلة الحب المحيية، ولا يستطيع أن يشبع روحها من الخمرة السماوية التي يسكبها الله من عيني الرجل في قلب المرأة"[2].

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص90.

[2] **المصدر ذاته**، ص 85.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

يستغل جبران موقف وردة الهاني التي تسعى لتبرئة نفسها من تهمة الخيانة والخطأ بكشف الواقع ودقائقه بأن يضع على لسانها قصة لخمسة نماذج من المجتمع تحكي كل واحدة منها تقاليد الزواج الظالمة.

الأولى: قصة رجل غني يتزوج من امرأة معروفة بنبل عائلتها وشرفها، ولا يعرف عنها أكثر من ذلك، وما أن ينقضي شهر العسل حتى يملها عائدا إلى مسامرة بنات الهوى، فبكت وشكت وصبرت، لكنها أخيرا أيقنت أنه لا يستحق دموعها، فانشغلت عنه بحب شاب يستغل أموالها، وتستغل هي عواطفه خفية عن زوجها.

والثانية: قصة رجل ينتمي إلى أسرة شريفة حاكمة، وقد زال غناها وشرفها وسلبها الزمن حكمها، فاقترن هذا الرجل بفتاة غنية جدا ليعوض ما فقده من المال، لكنها قبيحة جدا فاستولى على أموالها، ونسي حتى وجودها.

والثالثة: قصة امرأة جميلة الوجه خبيثة النفس يموت زوجها الغني، فتستأثر بأملاكه وتتخذ من بين الرجال أضعفهم جسما وإرادة، لتحتمي باسم الزواج منه من ألسنة الناس، وتفعل ما تشاء.

والرابعة: قصة فتاة جميلة لم تبلغ الثامنة عشرة من عمرها يزوجها والدها من رجل يكبرها بالسن، وهو إلى جانب ذلك مادي الميول، كثير الطمع، ولا تملك تلك الفتاة إلا الحنين للموت والفناء لتتحرر من عبودية الرجل الذي يصرف أيامه بجمع المال.

والخامسة: قصة الشاعر المقترن بامرأة غليظة خشنة تسخر منه ومن شعره لأنها لا تفهمه، فيظل كل منهما غريبا عن الآخر، فينشغل هو بحب امرأة متزوجة تفهمه ويفهمها.

تعرض وردة هذه النماذج وتعود لتقول: " هذه هي القصور التي لم أرض أن أكون من سكانها، هذه هي القبور التي لم أرد أن أدفن حية طي لحودها، هؤلاء هم الناس الذين تخلصت

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

من عوائدهم وخلعت عني نير جامعتهم"[1]. هذا هو المجتمع الذي يسعى جبران لتغييره، إن القيم والمثل العليا، وحلم العدالة الكبير موجود في مضمون كل مشهد من المشاهد السابقة.

أما في قصة " **صراخ القبور** " فيقدم جبران ثلاثة نماذج يقع عليها ظلم الحاكم الذي يحكم بظاهر الأمور، فيبدو عادلا مطبقا لشريعة الله، يمثل النموذج الشاب الذي حكم عليه الأمير بالقتل، لأنه قتل أحد قواد الأمير الذي كان قد ذهب بمهمة بين القرى، وهذا هو ظاهر القصة، أما واقعها فهو مجيء قائد الأمير إلى إحدى القرى ليتقاضى الضرائب، ويجمع الجزية، فرأى فتاة جميلة واستحسنها، ففرض ضريبة باهظة على والدها الفقير، يعجز الغني عن دفعها، وأراد أن يأخذ الفتاة قهرا إلى قصر الأمير بدلا من الذهب، فصرخت واستغاثت، فجاءها ذلك الشاب وخلصها من بين يديه، فأراد الأمير أن يفتك به، إلا أن الشاب صرعه دفاعا عن نفسه وعن عرضه.[2]

ويمثل النموذج الثاني امرأة يحكم عليها الأمير بالرجم حتى الموت، لأنها زنت، وخانت زوجها في غيابه، وهذا ظاهر القصة، أما واقعها فهي قصة فتاة زوجها والدها كرها من رجل تكرهه، وكان قلبها قد تعلق بفتى أحبته وأحبها، وفي أحد الأيام تغلبت عواطف الفتى على عقله، فذهب يطلب رؤية محبوبته، وما أن وصل إليها حتى دخل عليهما زوجها، وقبض عليها واتهمها بالزنا، وهي بريئة منه.[3]

أما النموذج الثالث، فيمثله رجل يحكم عليه الأمير بالشنق، لأنه دخل الدير ليلا، فقبض عليه الرهبان الأتقياء ووجدوا معه آنية مذابحهم المقدسة قد سرقها، وهذا أيضا ظاهر القصة، أما واقعها فهي قصة رجل قضى حياته في خدمة الدير، وزراعة بساتينه، ولما كبر وضعف

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص95.

[2] **المصدر ذاته**، ص101

[3] **المصدر ذاته، والصفحة ذاتها.**

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

جسمه، وغزت الأمراض جسده أبعده الدير، وتخلى عنه دون شفقة عليه وعلى زوجته وصغاره الذين يعولهم، حتى غزاه الجوع، فذهب متسترا بالظلام ودخل قبوا من أقبية الدير، وحمل كيسا من الدقيق على ظهره، ولما وصل إلى الباب أمسك به القسس وضربوه وسلموه إلى الجند، واتهموه بسرقة آنية الدير المذهبة.[1]

ثلاثة نماذج مختلفة، تتعرض لظلم الحاكم، يكشف جبران حقيقتها ولكن بعد فوات الأوان، والغريب أن المجتمع يرى في حكم الحاكم عدلا بشرّيا مقتضيا، ومن الواضح أن قصة الشاب القاتل والرجل السارق تمثلان فساد المؤسسة الدينية وظلمها واستبدادها؛ وقصة الفتاة الزانية تمثل الظلم الواقع على المرأة، وهي الموضوعات نفسها التي تأبى أن تغيب عن فكر جبران واهتمامه.

وكعادة جبران في أعماله جميعها نجده يلخص فكرته ورأيه في عبارة يبثها بشكل مباشر، أو يضعها على لسان أحد أبطاله، فينادي بما شاء من مبادئ غابت عن مجتمعه، وغيبت معها قيما عليا، فبعد أن عرض لقصة الشاب الأولى نجده يقول: " أنقابل الشر بشر أعظم، ونقول هذه هي الشريعة، ونقاتل الفاسد بفساد أعم، ونهتف هذا هو الناموس، ونغالب الجريمة بجريمة أكبر ونصرخ هذا هو العدل ؟"[2]

نعود في قصة "**مضجع العروس** " إلى قضية القهر الاجتماعي الواقع على المرأة، فبطلة هذه القصة تقتل حبيبها وتقتل نفسها ليلة زفافها إلى رجل آخر، لأنها لا تملك إلا ذلك سبيلا لمواجهة ظلم الكاهن الذي ظفر هذا الزواج وباركه دون أن يأبه لرغبتها.

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص102

[2] **المصدر ذاته**، ص 104

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تأتي إلى حبيبها خلسة، مستأمنة بظلمة الليل، تحاول للمرة الأخيرة الإفلات من قيود الحياة، والانتصار على الظلم: " قد تركت العريس الذي اختاره لي الكذب بعلا، وتركت الوالد الذي أقامه القدر وليا، وتركت الزهور التي ضفرها الكاهن إكليلا، وتركت الشرائع التي حبكتها التقاليد قيودا، قد تركت كل شيء في هذا المنزل المملوء بالسكر والخلاعة، وأتيت لأتبعك إلى أرض بعيدة، إلى أقاصي العالم، إلى مكامن الجن، إلى قبضة الموت"[1].

فعندما يستفحل الظلم على رقاب الناس، يصبح الموت مطلبا، يسعى إليه الإنسان عله يجد فيه ما ينشده من عدالة ينال معها أبسط حقوقه.

أما قصة " **خليل الكافر** " فهي نسخة مطورة كما يقول ميخائيل نعيمة عن قصة "يوحنا المجنون " وتحمل الفكرة نفسها، حيث يحمل بطلها حملة عنيفة على رجال الدين الذين احتكروا أموال الناس وخيرات الأرض، ومنعوها عن الشعب، وادعوا الفضيلة والشرف: "فكانوا يفلحون الأرض ويزرعونها ويحصدونها تحت مراقبته ولا يحصلون لقاء أتعابهم وجهادهم إلا على جزء من الغلة، لا يكاد ينقذهم من أظافر الجوع، قد كان أكثرهم يحتاج إلى الخبز قبل انقضاء أيام الشتاء الطويلة، فيذهب إليه الواحد بعد الآخر، ويتضرع أمامه باكيا مستعطفا، لكي يقرضه دينارا أو مكيالا من الحنطة، فكان الشيخ عباس يجيب سؤلهم مسرورا، لعلمه بأنه سيستوفي الدينار دينارين"[2].

إن الإطار العام لقصة " خليل الكافر " وأحداثها وطبيعة شخصياتها وهم (الرهبان والقسس وأهل القرية) تتشابه مع قصة " يوحنا المجنون "، لكن التحليل العميق لقصة "خليل

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص114

[2] **المصدر ذاته**، ص121

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الكافر" يظهر فروقا واضحة أيضا بين القصتين، فروقا ظاهرة، وخفية تكمن في شخصية البطل "خليل ".

أولها: أن خليل يحلل الأمور بشكل أعمق، ويبحث في الأسباب والنتائج، ويفضح تحالف رجال الكنيسة مع أبناء الشرف الموروث لاشتراكهم في المصالح[1]، فيقول: " ابن الشرف الموروث يبني قصره من أجساد الفقراء الضعفاء، والكاهن يقيم الهيكل على قبور المؤمنين المستسلمين، الأمير يقبض على ذراعي الفلاح المسكين، والكاهن يمد يده إلى جيبه، الحاكم ينظر إلى أبناء الحقول عابسا والمطران يلتف نحوهم مبتسما، وبين عبوسة النمر وابتسامة الذئب يفنى القطيع، الحاكم يدعي تمثيل الشريعة، والكاهن يدعي تمثيل الدين، وبين الاثنين تفنى الأجساد، وتضمحل الأرواح"[2].

وثانيها: أن نهاية خليل الكافر تختلف اختلافا كبيرا عن نهاية يوحنا، فيوحنا تنتهي ثورته بالفشل، ويتهم بالجنون، ويعزل ويختار الصمت أخيرا، أما خليل الكافر، فينتصر ويقضي على سطوة الكنيسة الظالمة، ويبدل الخضوع والذل والعبودية بالعزة والحرية، ويعيش بين أهل قريته واحدا منهم: " أما خليل، فكان يشاطرهم الأتعاب والمسرات، ويساعدهم بجمع الغلة وعصر العنب، واجتناء الأثمار، ولم يكن يميز نفسه عن الواحد منهم إلا بمحبته ونشاطه"[3].

أما الفرق الأكبر والأكثر أهمية بين يوحنا وبين خليل، فهو أن خليل كان راهبا من رهبان الدير، وهذا يحمل دلالة مهمة تتمثل في خروج الثورة من داخل الكنيسة[4]، وقد يكون هذا التطور في الانتقال من شخصية البطل يوحنا، وهو من عامة الشعب، إلى شخصية خليل،

---

[1] جلال المخ. **جبران بين المصلوب والمجنون**، ص 48.

[2] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 141.

[3] **المصدر ذاته**، ص165.

[4] جلال المخ. **جبران بين المصلوب والمجنون**، ص 51.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهو أحد الرهبان لحمل الثورة والإصلاح، قد يكون هذا التطور ممهدا لظهور شخصية "النبي" فيما بعد في كتاب "النبي".

ويظهر أن صورة الإنسانية المظلومة في مجموعة " عرائس المروج " قد حل محلها أرواح متمردة، تعلن العصيان والتمرد على التقاليد الدينية والخلقية والاجتماعية، وهي بـذلك تطمح للوصول إلى مجتمع مثالي يسوده الخير والحق والعدل.

ثالثا: العدالة الإنسانية في مقالات جبران:

أخذت المقالة المساحة الكبرى من مؤلفات جبران، وكان لها طابعها الخـاص الـذي يميزها، بما تحتويه من تنويع في الأسلوب، وصبغة شعرية واضحة، وفـن فـي التـصوير، وعبارات موسيقية[1].

أما عن أسلوب جبران في مقالاته، فهو متنوع، منه أن يقوم بطرح فكرته ثم معالجـة جوانبها المختلفة، ومنها أن يلجأ إلى الخطاب الموجه لمخاطـب بعينـه، ومنهـا الأسـلوب الرومانسي الذي يشخص فيه جبران المفاهيم النظرية المجردة لتصبح كائنات من لحـم ودم، تطرح رأيها وتحاور في سبيل إيصال الفكرة.

والسمة الأبرز في مقالات جبران هي الذاتية التي تميزت بها أعماله الأدبيـة علـى اختلاف أنواعها، وفي المقالة برزت بشكل كبير حتى طغت على الموضوعية، وذلك لاستجابة المقالة للذاتية فهي بطبيعتها فن ذاتي[2]، وهذه السمة لا تتمثل في عدد من النماذج بل تكاد تبرز في مقالاته جميعها.

---

[1] روز غريب. **جبران في آثاره الكتابية**، ص 189.

[2] عبد الكريم الأشتر. **النثر المهجري**، ص 5

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

للمقالة عند جبران نسيج لغوي خاص ومميز، تجلت فيه سمات عدة منهـا: عنايتـه بالتصوير الأدبي، والمجازات الفنية، واستخدامه للرموز الـشفافة، والعبـارات والتراكيـب الشعرية ذات الطاقة الإيحائية الهائلة بما تحتويه من تلوين وتنغيم للتأثير في القارئ وجذبه.

أما الأسلوب الأكثر تميزا في مقالات جبران فهو أن يورد لوحتين مختلفتين، ويوازن بينهما، ويرى أحد الدارسين أن جبران ربما وجد في أسلوب الموازنة هذا أبلغ وسيلة للتعبيـر عما يراه من انعدام العدل والمساواة في المجتمع البشرّي[1]، ومن دارسي جبران من يـصنف مقالاته بعيدا عن أسلوبه، وفقا لطبيعتها المتقاربة، ومناخها الفني الذي تتحرك فيه، فيـصنفها ثلاثة أنواع:

الأول: ما انطبع منها بطابع "تيتشة".

والثاني: ما يرجع فيه إلى تصوير الشرق والمأساة التي يعانيها أهله من الاسـتبداد والظلـم والبؤس والمجاعة.

والثالث: ما تفرع عن مأساة الشرق من آراء اجتماعية ودينية وسياسية، وما يخرج من هذه القضية إلى قضايا الإنسان والأمم المعاصرة.

والرابع: عبارة عن مقالات وجدانية تحمل الطابع الرومانسي فـي جانـب مـن جوانبهـا، والتأملات الصوفية في جانب آخر[2].

وهذا التصنيف نجده في كتب جبران المقالية جميعها، ومن مقالاته التي عمدت إلـى أسلوب الموازنة: " **بين الكوخ والقصر** " ، و" **طفلان** " ، و" **في مدينة الأموات** " ، و"**منيتان**"، وهي من أكثر المقالات التي عبرت عن انعدام العدل والمساواة في المجتمع.

---

[1] نزار هنيدي. **هكذا تكلم جبران**، ص 67

[2] أنطون كرم. **محاضرات في جبران**، ص129

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أما مقالة " **بين الكوخ والقصر** " التي يدل عنوانها أنها تعنى بقضية الغنـــى والفقـــر، فترسم لوحتين، تعرض الأولى لحال الغني في قصره، وقد طوقته الأنوار الكهربائية، وامـــتلأ المكان عليه بالخدم الذين وقفوا في انتظار المدعوين، وأصوات الموسيقى تصدح بالمكان، وبدأ المدعوون بالوصول، تجرهم الخيول المطهمة، يرتدون الملابس المزركشة، فغنوا ورقـــصوا حتى انتصف الليل، فأكلوا وشربوا ودارت الخمرة في عقولهم حتى أتى الصباح، فتفرقوا عائدا كل منهم إلى فراشه الناعم.

في الوقت نفسه يقف رجل على باب كوخه، وقد عاد من عمله في نهاية اليوم، يدخل مبتسما، تحضر له زوجته الطعام، فيجلس مع أبنائه على مائدة خـــشبية يلتهمـــون طعـــامهم، وبعدها يستسلمون للرقاد، حتى يطلع الفجر، فيهب الرجل من نومه حاملا على كتفـــه معـــولا ضخما متوجها إلى الحقل يسقيه ويعتني به، ليطعم خيراته لصاحب القصر الذي صرف ليلـــة أمس بالسهر والخلاعة: " طلعت الشمس من وراء الجبل، وثقلت وطأة الحر على رأس ذلـــك الحارث وأولئك الأغنياء ما برحوا خاضعين لسنة الكرى "[1]، يرسم جبران اللوحتين ويتـــرك الباب مفتوحا للقارئ، ليتأمل ويعقل مأساة الإنسانية.

أما في مقالة " **طفلان** " فاللوحة ترسم لحظة ولادة ابن الأمير، سليل المعـــالي ووارث الملك والشرف، وما رافق ولادته من أهازيج الفرح وأناشيد السرور، وهم يعلمون أنهم إنمـــا يحتفلون بمن سيصير " حاكما مطلقا برقاب العباد، ضابطا بقوته أعنة الضعفاء، حرا باستخدام أجسادهم، وإتلاف أرواحهم"[2].

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 285

[2] **المصدر ذاته، والصفحة ذاتها.**

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

حين يرقد طفل آخر في بيت حقير، يلتف بأقمطة بالية بقرب والدته التي أمات زوجها ظلم الأمير واستبداده، فتستقبل طفلها بالبكاء والنحيب، وتضمه أخيرا إلى صدرها، "ولا تطلع الشمس إلا على جسدين هامدين"[1]، يرث ابن الأمير الملك والشرف، ويحيا بعزة وفخر، ويرث ابن الفقر البؤس والظلم، ولا يجد له مكانا في هذا العالم، فيأخذه الموت حيث السكينة.

في مقالة " في مدينة الأموات " أيضا تظهر صورتان متضادتان، تحكي الصورة الأولى حال الغني في حياته ومماته، وتحكي الأخرى حال الفقير في حياته ومماته أيضا، وما بينهما من فرق، ترسم الصورة الأولى مرور الموكب الذي يجمع بين الفخامة والعظمة وسط جمع غفير من الناس، يسيرون الهوينى، وأصوات الموسيقى المحزنة قد علت في الجو، فإذا بها جنازة رجل غني قوي، والناس من وراءه يبكون ويندبون، " بلغوا الجبانة فاجتمع الكهان يصلون ويبخرون، وانفرد الموسيقيون ينفخون الأبواق، وبعد قليل انبرى الخطباء فأبنوا الراحل بمنتقيات الكلام، ثم الشعراء فرثوه بمنتخبات المعاني، وكل ذلك كان يتم بتطويل ممل، وبعد قليل انقشع الجمع عن جدث تسابق في صنعه الحفارون والمهندسون، وحوله أكاليل الأزهار المنمقة بأيدي المتفننين"[2].

في المقابل، تمر لحظات، ويأتي رجلان يحملان تابوتا خشبيا تتبعه امرأة ترتدي أثوابا بالية، وتحمل على ذراعيها طفلا رضيعا، وإلى جانبها يسير كلب، فإذا بها جنازة رجل فقير، "وصل هؤلاء إلى المقبرة، وأودعوا التابوت حفرة في زاوية بعيدة عن الأجداث الرخامية، ثم رجعوا بسكينة مؤثرة، والكلب يتلفت نحو محط رحال رفيقه حتى اختفوا عن بصري وراء

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 286

[2] **المصدر ذاته**، ص 250

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الأشجار"[1]، إن ما أراد جبران قوله في هذه المقالة هو أن الحياة للأغنياء الأقوياء، وحتى في موتهم تبقى مظاهر الغنى والقوة ظاهرة عليهم، كما بدا في جنازة الرجل الغني، أما الفقير، فلا موطن له في هذه الحياة.

وفي " **مَنِيَّتَان** "[2] يعرض لموقف كل من: الغني والفقير مع الموت، ويبين الفرق بينهما، فعندما يأتي الموت على الغني يظن أنه يستطيع دفعه بقوته وقوة عبيده وحراسه، وعندما يعجز ويستسلم يعرض عليه مكيالا من ذهبه وأمواله، وحتى أرواح عبيده وأجساد جواريه فداء له، ويصل أخيرا للتضحية بابنه وحيده، وكل هذا لأنه يطمع بمزيد من الحياة، فما زال لديه حسابات كثيرة مع الحياة ومع الناس لم ينهها بعد، وأما الفقير، فقد استقبل الموت بشوق ومحبة، وكأنه كان ينتظر لقاءه، بل وينشده.

في هذه المقالة تتعدى المسألة حدود اللوحتين المختلفتين للتمييز بين نقيضين إلى أكثر من ذلك، فمسألة الموت بالنسبة للغني والفقير بهذا الشكل الذي نجد فيه الغني يضحي بكل ما يملك استبقاء على حياته، ونجد الفقير ينشد الموت ويتمناه، ويطلبه ويستقبله بشوق ومحبة، إنما تدل على ما ينشده الفقير من العدل الذي لم يجده في حياته، ويأمله بعد الموت، فما الذي يجعل الإنسان يرغب بالموت ويطلبه بشوق ومحبة، إلا غياب أهم مقومات الحياة التي أزعم أنها تتمثل بالعدالة.

فجبران يرسم لنا صورة الغني في قصره، وقد منحته الحياة كل معطياتها، وفي المقابل يرسم صورة الفتى الفقير في بيته الحقير، في حي من أحياء الفقراء الضعفاء، وبين الصورتين ما يبين غياب العدالة، مما يجعل الموت أجمل، " أيها الموت الجميل، اقتبل نفسي

---

[1] **المصدر ذاته**، ص 251.

[2] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص307

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

يا حقيقة أحلامي، وموضوع آمالي! ضمني يا حبيب نفسي، فأنت رحوم، لا تتركني ههنا، أنت رسول الآلهة، أنت يمين الحق، فلا تتخل عني، كم طلبتك ولم أجدك، وكم ناديتك ولم تسمع، قد سمعتني الآن، فلا تقابل شغفي بالصدود، عانق نفسي يا حبيبي الموت."[1]

وفي كثير من مقالات جبران الأخرى يجعل جبران الفقر مرحلة أساسية للانطلاق إلى المساواة والشراكة الإنسانية، فهو يرى أن الإنسان يخرج من صلب المعاناة والألم والفاقة، ولا بد للحياة في دورتها أن تعيد الحقوق لأصحابها[2]، وهذا خيط الأمل الذي اعتاد جبران أن يضعه في قلب الإنسانية التي يبث شكواها، ففي إحدى مقالاته التي يعنونها " خليلي " مخاطبا الفقير نجده يقول: " إن القوة التي زرعتها أيها الفقير واستغلها الغني القوي سوف تعود إليك، لأن الأشياء ترجع إلى مصادرها بحكم الطبيعة، والأسى الذي عانيته أيها الحزين ينقلب فرحا بحكم السماء، سوف تتعلم الأجيال المساواة من الفقر، والمحبة من الأحزان."[3]

إذا جبران يرى أن الفقر يرتبط بالعدالة، وهذا يفسر بطولة الشخصيات الفقيرة والضعيفة لمعظم أعمال جبران، وذلك لنزعته نحو العدالة، وبحثه عن القيم العليا، لأن الغني ينشغل عن معرفة العدل بما لديه من الأموال والخزائن، ولأن القوي ينصرف عن معرفة العدل بسعيه نحو المجد، أما الفقير، ففقره يوحي إليه بمعرفة العدل.

" لو علمت، يا خليلي الفقير أن الفاقة التي تقضي عليك بالشقاء هي التي توحي إليك معرفة العدل، وتبثك إدراك كنه الحياة، لرضيت بقسمة الله، قلت: معرفة العدل، لأن الغني مشغول عن تلك المعرفة بخزائنه، وقلت: كنه الحياة، لأن القوي منصرف عنها إلى المجد،

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص308

[2] كمال وهبي. **وجه أمي وجه أمتي، شخصية جبران الأدبية في ضوء التحليل النفسي، ط1، المؤسسة الجامعية، بيروت، 1991**، ص57.

[3] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 311.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فافرح إذن بالعدل، لأنك لسانه، وبالحياة لأنك كتابها، وابتهج، فأنت مصدر فضيلة عاضديك وعاضد فضيلة الآخرين بيدك"[1].

وفي مقالة أخرى بعنوان " يا خليلي الفقير " يجمع جبران نماذج مختلفة من المجتمع، يجمعها الضعف والظلم، يخاطبها ويعزيها، ويعدها بالعدل الذي تمنحه القوة الكامنة وراء الأثير، هذه النماذج هي:

أولا: الفقير، ويصوره مولودا على مهد الشقاء يتربى على أحضان الذل ويشب في منازل الاستبداد، يأكل خبزه اليابس متنهدا، ويشرب ماءه العكر، وقد مزج بالدموع والعبرات.

ثانيا: الجندي الذي حكمت عليه شرائع البشر الظالمة بأن يترك زوجته وأبناءه، ليذهب إلى ساحة الموت من أجل الطمع الذي حرفوا اسمه إلى الواجب.

ثالثا: الشاعر الذي ينبذه أهله ومعارفه، ويعيش غريبا ومجهولا بينهم، راضيا ببقايا الحبر والورق. ويبدو هنا أن جبران كان يعني نفسه، لأن الشرق في بادئ الأمر لم يقدره تقدير الغرب له، بل وأمرت الكنيسة بإحراق كتبه واتهمته بالكفر والخروج على تعاليم المسيح وادعاء النبوة في كتابه " النبي "، فكان يمثل بذلك أحد نماذج الظلم في المجتمع.

رابعا: السجين الذي يعاقب، ويحكم عليه بما يفوق ذنبه الصغير الذي ارتكبه، فيعيش مطروحا في الظلمة، حاملا وزر الذين يقابلون الشر بالشر.

خامسا: المرأة الضعيفة الفقيرة التي يسلبها صاحب المال والجاه شرفها، ويغادرها ذليلة تعسة.

هذه النماذج التي حمل جبران همها في أعماله جميعها، يجمعها في مقالة واحدة، ويعزو ظلمهم إلى جور الحكام وبغي القوي وظلم الغني وأنانية عبد الشهوات، لكنه يعيد الأمل إلى نفوسهم بوعدهم بالعدالة التي تكمن وراء كل شي، فيقول: "لا تقنطوا، فمن مظالم هذا

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 310.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

العالم، من وراء المادة، من وراء الغيوم، من وراء الأثير، من وراء كل شيء، قوة هي كل عدل، وكل شفقة وكل حنو وكل محبة."[1]

وفي مقالة " الأرملة وابنها " التي يحمل عنوانها دلالة مضمونها، يضع جبران على لسان الأرملة دعاء، تردده في ظلمة الليل، قائلة: " قل معي يا ولدي: أشفق يا رب على الفقراء وارحمهم من قساوة البرد القارص واستر جسومهم العارية بيدك، انظر إلى اليتامى النائمين في الأكواخ وأنفاس الثلج تكلم أجسامهم. اسمع يا رب نداء الأرامل القائمات في الشوارع بين مخالب الموت وأظفار البرد، امدد يدك يا رب إلى قلب الغني وافتح بصيرته ليرى فاقة الضعفاء المظلومين، ارفق يا رب بالجائعين الواقفين أمام الأبواب في هذا الليل الظلوم واهد الغرباء إلى المآوي الدافئة وارحم غربتهم. انظر يا رب إلى العصافير الصغيرة واحفظ بيمينك الأشجار الخائفة من قساوة الرياح..."[2].

رابعا: العدالة الإنسانية في أدب التأملات عند جبران:

سبق الذكر أن التأمل سمة بارزة في أغلب أعمال جبران، فكثيرا ما كان يسمو فوق الحياة وفوق البشر، ويحلق بخياله في عوالم مجهولة، ويسعى لتحليل النفس الإنسانية وتصويرها بدقة، وكثيرا ما كان يسعى لكشف أسرار الحياة وما وراء الحياة.[3] ففي مقدمة كتاب النبي ينقل مترجمه " أنطونيوس بشير " مقولات لكبار المفكرين الغربيين في كتابات جبران، منها: " إن جميع كتابات جبران تدعو إلى التفكير العميق، بل ترغم قارئها إلى إعمال ذهنه وعقله، فإن كنت تخاف أن تفكر، فالأجدر بك ألا تقرأ جبران."[4]

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص281.

[2] **المصدر ذاته**، ص 271.

[3] عيسى الناعوري. **الأدب المهجري**، ص89.

[4] جبران. **المجموعة المعربة**، أنطونيوس بشير، (مقدمة المترجم)، ص 7.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فلو نظرنا إلى كتاب "النبي" لوجدنا جبران يعطي تصورا للمجتمع الذي يرتئيه من خلال الغوص في مشاكل المجتمع، ولكن هذا التصور لا يأتي عفو الخاطر، بل كان حصيلة تأمل وانفراد وتفكر دامت اثنتي عشرة سنة في مدينة تدعى أورفليس، ولا شك في أن شخصية النبي هي ذاتها شخصية جبران بواقع الأمر.

إن أفكار كتاب " النبي " – التي ورد ذكرها سابقا– كانت موجودة أصلا في كتبه السابقة، إلا أن ميزة التأمل الطاغية على " النبي " جعلت منه كتابا مميزا، حتى اعتبرته " هاسكل " كنزا من كنوز الأدب الإنكليزي، وقالت عنه: " سنفتحه في ظلماتنا للاهتداء إلى أنفسنا، ولإيجاد السماء والأرض في داخلنا، إنه الكتاب الذي يجد فيه البشر، جيلا بعد جيل ما يتحرقون إليه"[1].

وقبل كتاب النبي كان كتاب " المجنون " وكتاب " السابق " وبعده كان " رمل وزبد " و" يسوع ابن الإنسان" و" آلهة الأرض " و" التائه " و" حديقة النبي " ويبدو أن جبران نزع في مؤلفاته الأخيرة نحو التأمل بشكل كبير، وأخذت أفكاره السابقة تأخذ شكلا جديدا تغلب عليه الفلسفة والحكمة والتصوف، وأقول شكلا جديدا وليس مضمونا جديدا، فكما تجسدت فكرة العدالة الإنسانية وما يترتب عليها من قيم عليا في مؤلفاته السابقة بشكل الثورة والاحتجاج والتمرد، كذلك تجسدت في" تأملاته " بصورة أعمق وأقرب إلى الهدوء والحكمة، وقد بدا هذا الهدوء في كتابه " المجنون " مع أن مسمى الكتاب لا يوحي بمعنى الهدوء، إلا أن جبران اتبع أسلوب السخرية اللاذعة التي يقدم فيها أفكاره بعيدا عن علو الصوت، وثورة التمرد.

في كتاب " المجنون " وتحت عنوان " الحرب " يدخل أحد اللصوص إلى قصر الأمير متظلما لأن إحدى عينيه مفقوءة، والدم ينزف منها، فقد ذهب ليسرق أموال أحد الصيارفة في

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: جميل جبر، (مقدمة المحقق)، ص36.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ظلام الليل، وأثناء تسلقه الجدار، ليدخل دكان الصيرفي تاه في الظلام، ودخل من نافذة جاره الحائك، وعندما أراد الهرب دخل نول الحائك عينه وفقأها، فأتى يطلب عدل الأمير وإنصافه من الحائك الذي تسبب نوله بفقء عينه، وهو ينفذ عملية السرقة لدكان جاره الصيرفي.

وفي الحال يرسل الأمير لاستدعاء الحائك وإحضاره ويأمر بقلع عينه، لكن الحائك – رغم اقتناعه وإيمانه بحكم الأمير العادل – إلا أنه يتوسل للأمير بعدم تنفيذ الحكم بـــه لأنـــه يحتاج في حرفته كحائك إلى عينين لكي يرى حاشيتي الشقة التي ينسجها، ويقترح على الأمير أن يأمر بقلع عين جاره الإسكافي، لأنه لا يحتاج في مهنته إلا إلى عـــين واحـــدة، والعدالـــة تقتضي بالحكم بقلع عين للمحافظة على الشريعة، فيرسل الأمير بطلب الإســـكافي، فيحـــضر وتقتلع عينه، وبذلك تحققت العدالة!.[1]

وفي كتاب " النبي " يظهر رأي جبران بالعدالة من خلال خطبة يلقيها فـــي الجـــرائم والعقوبات، بناء على طلب أحد القضاة، فيظهر موقفه من العدالة موقفا متكاملا، يرى فيه أن العدالة البشرّية غير متحققة بأي شكل من الأشكال، لأن من يقضي أو من يظن أنـــه يقـــضي بالعدل هو في الواقع لا ينظر إلى القضية من جميع الزوايا المحيطة بها، فيبدو حكمه مشوها. بل إنه يرى أن النظر إلى جميع زوايا القضية للحكم فيها غير متحقق، فهناك جانب يبقى خفيا ولا يمكن رؤيته للوصول إلى عدالة تامة، فيقول: " وإن رغب أحد منكم في أن يضع الفـــأس على أصل الشجرة الشريرة باسم العدالة، فلينظر أولا إلى أعماق جذورها، وهو لا شك واجد أن جذور الشجرة الشريرة وجذور الصالحة المثمرة، وغير المثمرة كلها مشتبكة معا في قلب الأرض الصامت"[2].

---

[1] جبران. **المجموعة المعربة**، أنطونيوس بشير، ص29-30.

[2] **المصدر ذاته**، ص 54.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يتوجه جبران إلى القضاة بعدد من الأسئلة يثبت لهم من خلالها عدم تحقق العدالة في أحكامهم فيقول: " أما أنتم أيها القضاة الذين تريدون أن تكونوا أبرارا، أي نوع من الأحكام تصدرون على الرجل الأمين بجسده السارق بروحه؟ أم أي عقاب تنزلون بذلك الذي يقتل الجسد مرة، ولكن الناس يقتلون روحه ألف مرة؟ وكيف تطاردون الرجل الذي مع أنه خداع ظالم بأعماله فهو موجع القلب، ذليل مهان بروحه؟"[1].

وفي نهاية مقاله في الجرائم والعقوبات يتوجه بسؤال لمن يرجون معرفة حقيقة العدالة: " أنتم أيها الراغبون في سبر غور العدالة كيف تقدرون أن تدركوا كنهها إن لم تنظروا إلى جميع الأعمال بعين اليقظة في الغور الكامل"[2]، ويرى جبران أنه من المستحيل القضاء على الجريمة، لأن العدل بنظره في هذه الأرض نسبي ومضطرب ومشوش[3].

كما تتجلى فكرة عظيمة في رأي جبران بالعدالة ترى أن العدالة الإنسانية ناقصة إذا هدفت إلى إنقاذ الفرد دون إبراز الحقيقة، كما يرى أن في أعماق كل منا يكمن الخير إلى جانب الشر، وأن ما نرتكبه من ذنوب تجاه الآخرين قد يرتكبه الآخرون تجاهنا[4]. ويتجلى ذلك في معنى قوله: " إن حجر الزاوية في الهيكل ليس بأعظم من الحجر الذي في أسفل أساساته"[5]، وهنا تظهر مثالية " النبي " في محاولاته لرسم ملامح المجتمع الذي يحلم به كل إنسان ويتطلع إليه، في ظل ما يسوده من قتل وجور وظلم.

---

[1] جبران. **المجموعة المعربة**، أنطونيوس بشير، ص 55.

[2] **المصدر ذاته**، ص56.

[3] كمال وهبي. **وجه أمي**، ص120.

[4] جبران. **النبي**، تقديم: جميل جبر، (مقدمة المحقق)، ص 17.

[5] جبران. **النبي**، تقديم: جميل جبر ، ص 117.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

لقد تجلت قضية العدالة الإنسانية في كتابات جبران كلها، على اختلاف الأنواع الأدبية التي طرقها، وفي المراحل التي مر بها وعاشها كلها، فأبطال قصصه هم من الفقراء والضعفاء والمسلوبي الإرادة الخاضعين للأحكام والتقاليد الجائرة، وهم في الغالب إما المرأة، أو الفلاح الفقير.

أما مقالاته، فهي موجهة إلى تلك الفئة لا غيرها، مرة يتعاطف معها، ومرة أخرى يثور على ضعفها وانهزامها، إلى أن هدأت نفسه، وخمدت ثورته، وبدأ يفكر بطريق آخر لتحقيق شيء من العدالة للإنسانية، فكان ثمرة الهدوء مجموعة من الكتب بدأها بالمجنون، وختمها بحديقة النبي، وما حققه كتاب " النبي " من رواج وإقبال أكبر دليل على نجاح جبران في السير بالإنسانية نحو المثل العليا التي قضى حياته ساعيا لتحقيقها.

لقد ظل جبران يجلي لأمته مواطن الضعف والفساد، وينبه حواسهم إلى الظلم والاستبداد، فيحملهم بذلك على البحث عن الحرية والعدل، فهل نجحت ثورة جبران؟ أم أنه بقي يمثل موقف الفرد الذي يقابل المؤسسة عاجزاً عن إحداث التأثير المنشود؟ من هنا كان لا بد من البحث عن الرؤية الاجتماعية التي مثلت واقع جبران الفرد أمام المؤسسة، وهذا هو موضوع الفصل التالي.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الفصل الثالث:

آفاق الرؤية الاجتماعية

(الفرد والمؤسسة)

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

لا يمكن للأديب عزل نفسه عن المجتمع الذي يعيش فيه، والتفكير بعيداً عنـــه، فهـــو ينتقل من إطاره الفردي إلى الإطار الاجتماعي، ويتحول الحوار الذي يدور داخل نفسه إلـــى خطاب يتوجه به إلى الآخرين، وذلك كله نتيجة علاقة الأديب بالمجتمع الذي يعـــيش فيـــه أو بعبارة أدق: بالمجتمع الذي يعيش في وجدانه.

وبما أن الأديب فرد في جماعة تربطه معهم علاقة تأثر وتأثير، فمـــن الطبيعـــي أن يمتزج الخاص بالعام، أو الفردي بالجماعي، ليعبر عن علاقته بالمجتمع التي تجعل من مشكلته الخاصة جزءا من مشكلة الجماعة أو العكس.

وهذا يتطلب من الأديب أن يكبح جماح اللغة، ويطوعها لتخدم هدفه في التعبير عـــن الآخرين، أو عن الجماعة، فالأسلوب له دلالته الاجتماعية، وليس مضمون العمل الأدبـــي إلا نتيجة التفاعل بين ذات الأديب ومجتمعه، أي بين الفرد والجماعة.[1]

يحاول هذا الفصل النظر في آفاق تلك الرؤية الاجتماعية من خلال البحث في ثنائيـــة الفرد والمؤسسة، وكيفية تمثل القيم العليا في أدب السرد عند جبران في ظل تلك الثنائية.

المبحث الأول:

ثنائية الفرد والمؤسسة في الأدب الجبراني.

المبحث الثاني:

نصوص تطبيقية.

المبحث الثالث:

القيم العليا في ظل " فردية " النبي الجبراني.

---

[1] شكري عزيز الماضي. **في نظرية الأدب**، ط1، دار المنتخب العربي، بيروت، 1993، ص 88-89.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الأول: ثنائية الفرد والمؤسسة في الأدب الجبراني:

عالج جبران الكثير من المشكلات الاجتماعية بأسلوبه الذاتي الذي يجعله يسقط المشكلة على وجدانه، ويصف انفعاله بها[1]، وقد كانت الذاتية هي السمة الأبرز في أدب جبران على اختلاف الأجناس الأدبية التي طرقها، وهذا الأسلوب يفتح المجال لإبراز صوت الفرد الذي يقابل الجماعة، أما الجماعة، فقد تكون المجتمع بأكمله، وقد تكون إحدى المؤسسات التي يقوم عليها المجتمع وتملك السلطة والحكم في أي مجال من مجالات الحياة، وأما الفرد، فهو "أنا " ومن أعبر عنه وعن حالهن " فالأديب يخاطب العقل والشعور، ويهدف إلى شحذ قوة الإدراك أي إلى استثارة الوعي وتنويره وحفزه، وإلى فهم العالم أكثر، وإلى مساعدة الناس على إدراك واقعهم الاجتماعي وتغييره"[2].

والأمثلة كثيرة على ذاتية جبران التي تبرز صوت الفرد أمام المؤسسة، " فالأجنحة المتكسرة " رويت أصلا بضمير المتكلم، وعبرت عن تجربة ذاتية، واجه فيها البطل مؤسسات المجتمع المختلفة، وعبر فيها عن رؤية جماعية متكاملة.

أما في مقالاته، فلم يستغن جبران عن ذاتيته إلا في القليل النادر، وربما ساعدت طبيعة المقالة التي هي في الأغلب الأعم فن ذاتي على إبراز صوت الفرد أمام المؤسسة. والأمثلة كثيرة على ذلك منها في مقالة بعنوان " يا لائمي " وما تحمله من قيم عليا ينادي بها جبران: " ها قد سار موكب الحب، فمشى الجمال رافعا أعلامه وسارت الشبيبة نافخة أبواق الفرح، فلا تردعني يا لائمي، بل دعني أسر، فالطريق مفروشة بالورود والرياحين، والهواء قد عطرته مجامر المسك، اعتقني من حكاية المال، وقصص المجد، لأن نفسي غنية باكتفائها،

---

[1] عبد الكريم الأشتر. **النثر المهجري**، ص 10.

[2] شكري عزيز الماضي. **في نظرية الأدب**، ص 92.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ومشغولة بمجد الآلهة. اعفني من مآتي السياسة وأخبار السلطة، لأن الأرض كلها وطني وجميع البشر مواطني"[1].

وفي مقالة "صوت الشاعر" وما تتبه له أيضا من قيم عليا، يقول: "...فما أغراك يا أخي بما يغرك وألهجك بمن يضرك! السلطة الحقيقية هي الحكمة المحافظة على الشريعة الطبيعية العامة العادلة، فأين عدالة السلطة إذا قتلت القاتل، وسجنت الناهب، ثم زحفت بذاتها إلى بلاد مجاورة، وقتلت الألوف ونهبت الربوات؟ ما قول العصبيين بقتلة يعاقبون من يقتل، ولصوص تجازي من يسلب؟ أنت أخي وأنا أحبك، والمحبة هي العدل بأسمى ظواهره، فإن لم أكن عادلا بمحبتي لك في كل المواطن، كنت مراوغا ساترا بشاعة الأنانية بثوب المحبة البهي"[2].

وفي فن القصة كان جبران يجعل من أبطال قصصه شخصيات منفردة ترى ما لا يراه المجتمع من الحق والعدل واستحقاق للحرية، فتثور في مواجهة المؤسسة الحاكمة، ويكون لها من ثورتها نصيب يكشف عن موقف الفرد أمام الجماعة، ومثال ذلك شخصية " يوحنا " في قصة " يوحنا المجنون "، وهو الفرد الذي ثار على المؤسسة الدينية، وكذلك شخصية "خليل" في قصة "خليل الكافر" ، وشخصية "وردة" في قصة "وردة الهاني" التي ثارت على المؤسسة الاجتماعية وغيرها.

لقد أدرك جبران النظام الطبقي القائم على أسس إقطاعية تتعاون فيها المؤسسات الدينية والسياسية والاجتماعية، وتدعمها[3]، وقد ساعده على كشف حقائق تلك المؤسسات والتشهير بأفعالهم، جرأته ونزعته للحرية، ويتجلى ذلك في قوله: " منذ ابتداء الدهر إلى أيامنا

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 293.

[2] **المصدر ذاته**، ص 344

[3] عبد الكريم الأشتر. **النثر المهجري**، ص 133 .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هذه، والفئةُ المتمسكة بالشرف الموروث تتحالف، وتتفق مع الكهان ورؤساء الأديان على الشعب. هي علة مزمنة قابضة بأظافرها على عنق الجامعة البشريّة، ولن تزول إلا بزوال الغباوة من هذا العالم عندما يصير عقل كل رجل ملكا، ويصير قلب كل امرأة كاهنا،...الحاكم يدعي تمثيل الشريعة، والكاهن يدعي تمثيل الدين، وبين الاثنين تفنى الأجساد، وتضمحل الأرواح"[1].

كانت الكنيسة المارونية قد اندمجت في نظام الإقطاع "إكليروسا" ومؤسسات، وكانت تطمع بإمارة مارونية، يترأسها البطريرك، بدعم من فرنسا التي كانت تطمع بنفوذ استعماري[2]، وهذا الواقع الذي تتحالف فيه الإقطاعيات السياسية والدينية، قد يفسر ثنائية الفرد والمؤسسة في الأدب الجبراني.

إذن، فثنائية الفرد والمؤسسة كانت واقعا اجتماعيا، فرض على جبران أسلوبا أدبيا يقوم على أحادية البطولة أو أحادية الشخصية المحورية أمام المؤسسة، فالمؤسسة السياسية أنشأت الإقطاع، وتحالفت معه لإذلال الشعب، واستغلال خيراته ونهب أرضه، فافتقر الشعب، وكان لا بد من طريق للإصلاح[3]، تمثل في وقوف الفرد أمام تلك المؤسسات ومواجهتها، وأخيرا الثورة على نظامها، والدعوة للتمرد عليها ومحاربتها إذا لم تستجب لمطالبهم.

في مقالة لجبران بعنوان " السرجين المفضض " يعرض جبران لثلاثة نماذج من المجتمع، منها شخصية "فريد بك دعيبس " الذي ينقل عنه الكثير من الأقوال المأثورة، منها:

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم نعيمة، ص 141.

[2] طانيوس منعم. **جبران والكنيسة**، ص 13.

[3] عبد الكريم الأشتر. **النثر المهجري**، ص 133.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

"إن الله خلق الناس طبقات، منها للرئاسة، ومنها للخدمة."[1] ومنها:" إنما الشعب حمار حرون، لا يسير إلا إذا علوت ظهره"[2].

أما قصة " فريد بك دعيبس " فهو رجل في الأربعين من عمره، ليس له من عمل سوى الجلوس في المحافل، وتعداد مناقب أسرته المجيدة، وسرد الحكايات عن عظام الرجال، وكبار الأبطال، وفي أحد الأيام يمر من القرية التي يسكنها "منصور بك دعيبس " جد " فريد بك دعيبس" موكب للأمير الشهابي، ويقرر الأمير أن يستريح تحت ظل سنديانة، قريبة من القرية.

استغل " دعيبس " الجد هذا الموقف، وجمع الفلاحين وأخبرهم بالأمر، ليسيروا وراءه حاملين معهم أطباق التين والعنب وجرار اللبن والعسل، متوجهين إلى موقع الأمير، يتقدمهم "منصور بك دعيبس" وما أن وصلوا حتى يقبل "دعيبس" أطراف أذيال ثوب الأمير، وينحر له كبشا، ويقدم له كل ما أتى به الفلاحون، فيسر الأمير من تصرفه، ويعينه شيخا على القرية: "في تلك الليلة بعد أن تابع الأمير مسيره اجتمع في بيت " الشيخ " منصور بك دعيبس جميع سكان القرية، ونادوا به رئيسا مطاعا في السراء والضراء – رحمهم الله جميعا – "[3]، وقد ورث " فريد بك دعيبس " الشرف والمجد عن جده، ولهذه القصة دلالة على تحالف المؤسسة السياسية مع الإقطاع، على الشعب وإذلاله.

وفي موضع آخر من رواية " الأجنحة المتكسرة " يلفت جبران أيضا إلى قضية تحالف الإقطاع والمؤسسات السياسية والدينية ضد الشعب، وإلى قضية المجد الموروث، في قوله: " إن رؤساء الدين في الشرق لا يكتفون بما يحصلون عليه أنفسهم من المجد والسؤدد،

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 413.

[2] **المصدر ذاته، والصفحة ذاتها.**

[3] **المصدر ذاته**، ص 414.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بل يفعلون كل ما في وسعهم ليجعلوا أنسباءهم في مقدمة الشعب، ومن المستبدين به والمستدرين قواه وأمواله، إن مجد الأمير ينتقل بالإرث إلى ابنه البكر بعد موته، أما مجد الرئيس الديني، فينتقل بالعدوى إلى الأخوة وأبناء الإخوة في حياته، وهكذا يصبح الأسقف المسيحي والإمام المسلم والكاهن البرهمي كأفاعي البحر التي تقبض على الفريسة بمقابض كثيرة، وتمتص دماءها بأفواه عديدة"[1].

في **قصة "حفار القبور"** تقرر الشخصية الرئيسة وهي ذاتها "حفار القبور" أن تمتهن هذه المهنة، لتريح الأحياء من جثث الأموات المكدسة حول المنازل والمحاكم والمعابد. فما الذي يعنيه حفار القبور بالمنازل والمحاكم والمعابد؟ لماذا لم يقل: لأريح الأحياء من جثث الأموات المكدسة فوق وجه الأرض؟

إن المنازل هي برأيي تمثل المجتمع، أما المحاكم، فهي السلطة السياسية، وأما المعابد، فهي السلطة الدينية[2]، وفي هذه القصة يمثل حفار القبور الفرد الذي يواجه المؤسسة الدينية، والمؤسسة السياسية، والمؤسسة الاجتماعية، ويلخص بطل " حفار القبور " موقفه في النهاية بقوله: "ومن تلك الساعة إلى الآن، وأنا أحفر القبور وألحد الأموات، غير أن الأموات كثيرون وأنا وحدي، وليس من يسعفني"[3].

وفي **مقالة " رؤيا "** ينقل جبران صورة أو أكثر من واقع المؤسسات التي يعيش الفرد في ظلها؛ ولم يقل رأيت حلما، لأن لفظة الحلم تعني عكس الواقع، وإنما قال **"رؤيا"** وهي الأقرب إلى الواقع والتحقق، فيرى فيما يرى صورة للإنسان الذي يصرخ مستنجدا، وليس من يسمعه، ويرى صورة القسس وهم ينظرون إلى أعلى السماء، وعقولهم مشغولة بمطامعهم،

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 196

[2] جلال المخ. **جبران بين المصلوب والمجنون**، ص 109.

[3] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 371.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وصورة المشرعين المتاجرين بالكلام من أجل خداع الناس، وصورة الفقراء المساكين الـذين يزرعون ولا يحصدون، وصورة المرأة أمام الرجل حين لا يحسن الرجل معاملتها، وتعـيش معه جسدا بلا روح.

يرى صورة للحرية، لكنها تسير مفردة في الشوارع، يرى صورة للدين لكنها مدفونة، الصورة الأولى تمثل صورة الفرد، وما يقابلها هي صورة المؤسسة التي حولت العـدل إلـى ظلم، والحرية إلى عبودية، والخير إلى شر، والدين إلى تعاليم نقرؤهـا ونحفظهـا، لكننـا لا نطبقها، يقول:

" رأيت الكهان يراوغون كالثعالب، والمسحاء الكذبة يحتالون على ميول الـنفس، والإنـسان يصرخ مستنجدا بالحكمة وهي نافرة عنه غضبى عليه، لأنه لم يسمعها عنـدما نادتـه فـي الشوارع على رؤوس الأشهاد...، رأيت الفقراء المساكين يزرعـون والأغنيـاء الأقويـاء يحصدون ويأكلون والظلم واقف هناك والناس يدعونه الشريعة...، رأيت الحرية الحقيقية تسير وحدها في الشوارع وأمام الأبواب تطلب مأوى والقوم يمنعوها، ثم رأيـت الابتـذال يـسير بموكب عظيم والناس يدعونه الحرية...، رأيت الدين مـدفونا طـي الكتـاب والـوهم قـائم مقامه..."[1].

وفي **مقالة " صوت الشاعر "** يحاول جبران أن يوجد للفرد صوتا في ميادين الحيـاة جميعها، وصوت الشاعر فيها هو صوت الفرد الذي يرى الأرض كلها وطنه، والعائلة البشرّية عشيرته: " البشر ينقسمون إلى طوائف وعشائر، وينتمون إلى بلاد وأصقاع، وأنا أرى ذاتـي

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 265.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

غريبا في بلد واحد، وخارجا عن أمة واحدة، فـالأرض كلهـا وطنـي، والعائلـة البـشريّة عشيرتي"[1].

وبالرجوع إلى بعض نصوص أدب جبران، يمكننا تجلية ثنائية الفرد والمؤسسة بشكل واضح، في كثير من المواضع، وهذا ما سيأتي عليه المبحث الثاني من هذا الفصل.

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 344.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المبحث الثاني: نصوص تطبيقية:

- ثنائية الفرد والمؤسسة:

1- في رواية " الأجنحة المتكسرة ":

في هذه الرواية وجودان يتصارعان: الفرد الثائر على التقاليد، والمؤسسة المتمثلة بالمجتمع[1]، بما فيه من مؤسسة دينية ومؤسسة سياسية ومؤسسة اجتماعية إقطاعية، وكلها في مواجهة مع الفرد الذي يعلن نفسه منذ العبارة الأولى في الرواية، أنه البطل، وهو الراوي: " كنت في الثامنة عشرة عندما فتح الحب عيني بأشعته السحرية، ولمس نفسي لأول مرة بأصابعه النارية"[2].

ولضمير المتكلم هذا أسباب وتفسيرات عديدة يضعها الدارسون، فهو يمثل الاتجاه الذاتي الذي قد يكون من دوافعه الاعتزاز بالنفس والحديث عنها، أو قد يكون الدافع رومانسيا يدفع الكُتَّاب للرجوع إلى ذواتهم للبحث عن ملاذ وخلاص من واقعهم، وقد يكون السبب في وجود نماذج روائية أوروبية ناجحة اتبعت الأسلوب ذاته، فاطلع عليها الرواد وأرادوا تمثلها في الكتابة، كرواية "اعترافات فتى العصر" لـ "جان جاك روسو"(Jean-Jacques Rousseau)[3].

ومن الدارسين من يرى أن الكتاب الذين لجأوا لهذا الأسلوب كانوا عاجزين عن تعمق نفسيات الآخرين وتصورها، فاتخذوا من حياتهم الشخصية محورا لمحاولاتهم الفنية[4]، ومنهم

---

[1] محمد كامل الخطيب. **تكوين الرواية العربية**، ص 101.

[2] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 169.

[3] عمر الدقاق. **ملامح النثر الحديث وفنونه**، ط1، دار الأوزاعي، بيروت، 1997م، ص 348

[4] إبراهيم السعافين. **تطور الرواية الحديثة في بلاد الشام**، ص239.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

من يرى أن ضمير المتكلم هذا يخلق شعورا بالألفة والثقة، لكن على الكاتب أن يحتـــاط فـــي السرد، فيبرر الأحداث بما يحيط بها من مجال، لتكون مقنعة من الناحية الفنية[1].

لكن الأسباب السابقة جميعها لا تسوّغ الأنا العالية في الأجنحة المتكسرة، لأن ضمير المتكلم هنا كان يمثل تقنية وأسلوبا جديدا يحملان تجربة جديدة، تدل على رؤية عامة للكون، رؤية قادرة على تفسير التاريخ في ظروف اجتماعية زمنية محددة للكون، فضمير المتكلم أو صوت الفرد الذي استهلت به الرواية لم يكن مجرد رؤية فردية نرجسية[2]، وهذا ما تكشف عنه مضامين الرواية التي تبرز صوت الفرد أمام المؤسسة.

تظهر صور الفرد أمام المؤسسة في الرواية بعد أن استدعى المطران " بولس غالب " والد سلمى، ليطلب منه سلمى زوجة لابن أخيه " منصور بك غالب"، فقد عاد الوالد في الليلة ذاتها مسلوب الإرادة باكيا، لينقل الخبر لابنته التي كانت تنتظره بصحبة حبيبها وهما ينعمان بنعمة الحب والأمل، ولكن أين إرادة الفرد من إرادة المطران الذي يمثل المؤســـسة الدينيـــة، ويملك نصف أراضي جبل لبنان؟ وإن أمر ليس على كل من دونه إلا أن يطيعه؟

وهنا تبرز صورة الفرد أمام المؤسسة في موقف والد سلمى أمام المطران، حيـــث إن والد سلمى لم يجبه "بغير السكوت العميق والدموع السخينة "[3]، لأنه: " أي رجل يخرج عـــن طاعة رئيس دينه في الشرق، ويظل كريما بين الناس؟!"[4]. يقول: " خرجت من ذلك المكـــان خروج آدم من الفردوس، ولكن حواء القلب لم تكن بجانبي لتجعل العـــالم كلـــه فردوســـا...

---

[1] محمد غنيمي هلال. **النقد الأدبي الحديث**، دار نهضة مصر، القاهرة، 1996م، ص550.

[2] محمد كامل الخطيب. **تكوين الرواية العربية**، ص 102.

[3] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 197.

[4] **المصدر ذاته، والصفحة ذاتها.**

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

خرجت شاعرا بأن تلك الليلة التي ولدت فيها ثانية هي الليلة التي لمحت فيها وجه الموت لأول مرة."[1]

ولكن الفرد مع فقره وضعفه إلا أنه يملك على الأقل محاولة للمواجهة، فبعد أن تقرر المؤسسة أحكامها على البطل ومحبوبته سلمى يقضي بتفريقهما، يحاول البطل إيجاد حل يخلصه من تلك القيود، ليظفر بحبه، فيقترح عليها الهرب، وهو يرى في ذلك حقا مشروعا لهما، لأن الله عندما خلق الإنسان منحه الحرية ليحيا بها، لا ليستظل بظلها عن العبودية، ومن الكفر أن يستسلم الإنسان للظلم، لأن من يستسلم للظلم يكون حليف الباطل على الحق: " لماذا نسكن في هذا النفق الضيق الذي حفره المطران وأعوانه؟ أمامنا الحياة وما في الحياة من الحرية وما في الحرية من الغبطة والسعادة، فلماذا لا نخلع النير الثقيل عن عاتقينا، ونكسر القيود الموثقة بأرجلنا، ونسير إلى حيث الراحة والطمأنينة؟ قومي يا سلمى نذهب من هذا المعبد الصغير إلى هيكل الله الأعظم، هلمي نرحل من هذه البلاد وما فيها من العبودية والغباوة إلى بلاد بعيدة لا تطالها أيدي اللصوص، ولا يبلغها لهاث الأبالسة"[2].

ولكن الأمر ليس بهذه السهولة التي يتخلص فيها الفرد من بطش رؤساء الدين بمجرد هروبه، وإن استطاع الإفلات من غدر واضطهاد المؤسسة الدينية، سيجد نفسه أمام مجتمع كامل، يسلبه شرفه وعفة نفسه، فهو الرجل الذي انساق وراء رغباته وخرج عن طاعة رئيس الدين، لذلك تجيبه سلمى: " وقد جئت اليوم وفي نفسي المتوجعة المنهوكة قوة جديدة، وهي

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 195.

[2] **المصدر ذاته**، ص 229.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المقدرة على تضحية الأمر العظيم للحصول على أمر أعظم، تضحيةً سعادتي بقربك لكي تبقى أنت شريفا بعرف الناس، بعيدا عن غدرهم واضطهادهم..."[1].

وحتى إلى نهاية الرواية تظل صورة الفرد ماثلة أمام المجتمع، بضعفها وإرادتها المسلوبة، فتبدو الصورة الأخيرة أكثرها اضطهادا وألما، عندما تموت سلمى وطفلها، ويجتمع الكهان على قبرها يرتلون ويسبحون، ويقترب الناس من المطران وابن أخيه يصبرونهما ويؤانسونهما بأعذب الكلام، وهو يقف منفردا كأن الأمر لا يعنيه، فهل كان يملك حتى البكاء والنحيب أمام جموع الناس؟ وهو أقربهم لسلمى وأحبهم لقلبها؟ هل يسوغ له المجتمع في مثل هذا الموقف التعبير عن مشاعره بالبكاء؟ : " أما أنا فبقيت واقفا منفردا وحدي، وليس من يعزيني على مصيبتي، كأن سلمى وطفلها لم يكونا أقرب الناس إلي."[2]

لقد ظل ضعف الفرد يلاحقه حتى آخر كلمة في الرواية، فهو لم يملك حتى البكاء على سلمى أمام الناس " ولما توارى حفار القبور وراء أشجار السرو، خانني الصبر والتجلد، فارتميت على قبر سلمى أبكيها وأرثيها"[3].

إن الفرد مهما كان على حق، سيظل ضعيفا أمام المؤسسة وتقاليدها، ولم يكن ضمير المتكلم في بداية الرواية إلا صورة للفرد المهزوم أمام مؤسسات المجتمع التقليدي[4]. وهذا الأسلوب يعد تجديدا لغويا يتفق مع رؤية جبران الجديدة في الثورة على التقاليد، لتحقيق حلم

---

[1] **المصدر ذاته**، ص 231.

[2] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 239.

[3] **المصدر ذاته، والصفحة ذاتها.**

[4] محمد كامل الخطيب. **تكوين الرواية العربية**، ص 101.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الحرية وتجاوز التقاليد البالية التي يفرضها رجال المؤسسة الدينية على المجتمع، فجبران يعي تماما العلاقة بين اللغة والفكر، ويعرف أن التجديد اللغوي وجه من وجوه التجديد الاجتماعي.[1]

لقد أسس جبران لرؤيته العامة بهذا الأسلوب الذي جعله يتخذ من نفسه بطلا لرواية حب مخفق، ويظهر فيها ضعفه واستسلامه لأن المنطق يقتضي هذا الضعف من الفرد أمام مؤسسات المجتمع، وكأنه يخبرنا بطريقة غير مباشرة أن الحرية والحق لا يتحققان بالفردية المرتبطة بالضعف أمام الجماعة؛ فقد عرف جبران من تجربة الحب التي عاشها أن المحبة تحرر الإنسان من عبودية الشرائع والنواميس التي سنتها التقاليد.

وهكذا وضع جبران الفرد مقابل الجماعة، وجعله يتمرد على تقاليدها، وينتهي بالفشل، لأن المنطق يحتم عليه هذه النهاية إلا أنه استطاع الكشف عن الشرائع الفاسدة، وغياب أهم القيم التي تضمن للإنسان حقوقه: " إن الجامعة البشرّية قد استسلمت سبعين قرنا إلى الشرائع الفاسدة، فلم تعد قادرة على إدراك معاني النواميس العلوية الأولية الخالدة، وقد تعودت بصيرة الإنسان النظر إلى ضوء الشموع الضئيلة، فلم تعد تستطيع أن تحدق إلى نور الشمس، لقد توارثت الأجيال الأمراض والعاهات النفسية بعضها عن بعض حتى أصبحت عمومية، بل صارت من الصفات الملازمة للإنسان، فلم يعد الناس ينظرون إليها كعاهات وأمراض بل يعتبرونها كخلال طبيعية نبيلة أنزلها الله على آدم، فإذا ما ظهر بينهم فرد خال منها ظنوه ناقصا محروما من الكمالات الروحية."[2]

---

[1] **المرجع ذاته**، ص102.

[2] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 224.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

2- " يوحنا المجنون ":

" أنتم كثار وأنا وحدي، فقولوا عني ما شئتم، وافعلوا بي ما أردتم، فالـذئاب تفتـرس النعجة في ظلمة الليل، لكن آثار دمائها تبقى على حصباء الوادي حتى يجيء الفجر، وتطلـع الشمس"[1]. هذه صورة يوحنا " الفرد " في مواجهة المؤسسة الدينية، ممثلة بالكنيسة ورجالهـا الذين حادوا عن تعاليم المسيح، وقد تكررت هذه العبارة في القصة مرتين، المرة الأولى عندما واجه يوحنا الكهان داخل حدود الدير، ولم يكن أحد شاهدا على تلك المواجهة، والمرة الثانيـة بعد أن أعلن يوحنا ثورته أمام جمع غفير من الناس، وشهر بأفعال الكهان والقساوسة، وكأنه في المرة الثانية كان يأمل أن ينضم لصوته أصوات، وأن تمد له الأيادي بعدما تكتشف آثـار دماء النعجة التي كشف عنها الفجر وطلوع الشمس، لكن الثورة الثانية لم تضف شيئا سـوى اتهام يوحنا بالجنون، وعزله عن الناس، ليبقى صوت الفرد ضعيفا أمام الجماعة مهما علا.

في مواجهة يوحنا الأولى مع الكهان كان يحاول إقناعهم وإصلاح حالهم، رغم نبـرة التمرد والثورة التي بدت واضحة في خطابه: " خذوا وابحثوا في هذا الكتاب وأروني متى لم يكن يسوع غفورا، واقرأوا هذه المأساة السماوية وأخبروني أين تكلم بغير الرحمة والرأفـة؟ أفي موعظة على الجبل؟ أم في تعاليمه في الهيكل أمام مضطهدي تلك الزانيـة المـسكينة، أم على الجلجلة عندما بسط ذراعيه على الصليب، ليضم الجنس البشرّي"[2]، وبعد أن يئس يوحنا من إصلاح حالهم استغل يوم عيد الفصح الذي تجمعت به الناس، وصـرخ مناديـا يـسوع الناصري، مستنجدا بمجده وأمانته.

---

[1] **المصدر ذاته**، ص 74، و ص 81.

[2] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 74.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

لقد أدرك يوحنا ضعفه أمام المؤسسة الدينية في المرة الأولى، فقد خرج من أسوارهم بعد تذلل والديه وفداء أمه له بقلادة فضية، لذلك يبدو في المرة الثانية وكأنه قد أعد لهذه المواجهة، واتبع أسلوبا أقرب إلى العقل منه إلى العاطفة، في المرة الأولى كان يستعطف قلوب الكهان على الفقراء واليتامى والأرامل:

" انظروا يا قساة القلوب إلى هذه المدن والقرى الفقيرة، ففي منازلها يتلوى المرضى على أسرة الأوجاع، وفي حبوسها تفنى أيام البائسين، وأمام أبوابها يتضرع المتسولون، وعلى طرقها ينام الغرباء، وفي مقابرها تنوح الأرامل واليتامى، وأنتم ههنا تتمتعون براحة التواني والكسل، وتتلذذون بثمار الحقول وخمور الكروم. فلم تزوروا مريضا، ولم تتفقدوا سجينا، ولم تطعموا جائعا، ولم تؤووا غريبا، ولم تعزوا حزينا، وليتكم تكتفون بما لديكم وتقنعون بما اغتصبتم من جدودنا باحتيالكم، فأنتم تمدون أيديكم كما تمد الأفاعي رؤوسها، وتقبضون بشدة على ما وفرته الأرملة من عمل يديها وما أبقاه الفلاح لأيام شيخوخته"[1].

أما في المرة الثانية، فكان يخاطب العقل بقوة مصدرها تعاليم يسوع الناصري، وإلى نهاية خطبته وهو يستنجد بيسوع الناصري: " انظر يا يسوع الناصري الجالس في قلب دائرة النور الأعلى..."[2]، وقوله: " لقد أقاموا يا يسوع لمجد أسمائهم كنائس ومعابد كسوها بالحرير المنسوج والذهب المذوب..."[3] وقوله: " تعال وانظر الذين ائتمنتهم على السلام ..."[4] وأخيرا قوله: " امدد يدك يا يسوع القوي وارحمنا، لأن يد الظلوم قوية علينا..."[5].

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 74 .

[2] **المصدر ذاته**، ص 78.

[3] **المصدر ذاته**، ص 78.

[4] **المصدر ذاته**، ص 79.

[5] **المصدر ذاته**، ص 79.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كان يوحنا يناجي السماء أمام الشعب، وكل ذلك لعلمه بضعفه وانكساره أمام المؤسسة الدينية. " ولما استنطقوه لم يجب بكلمة، لأنه تذكر أن يسوع كان سكوتا أمام مضطهديه، فأنزلوه إلى سجن مظلم حيث نام بسكينة متكئا على الحائط الحجري."[1]

3- " خليل الكافر ":

في قصة " خليل الكافر " يبدأ صوت الفرد يظهر أمام المؤسسة، في اللحظة التي يعرف فيها خليل حقيقة التعاليم السماوية التي قرأها عن يسوع الناصري، وبدأ النور يشع في داخله، ويبدد ظلمة الاعتقادات والتعاليم التي تجعل الإنسان تعسا في حياته، عندما اكتشف خليل حقيقة تلك التعاليم قرر الوقوف أمام الرهبان، ليبث لهم خفايا نفسه، يقول وهو يقص حكايته على "راحيل" التي أنقذته من الموت، بعدما طرده الدير في ليلة قاسية شديدة البرودة: "ففي يوم، وقد سكرت نفسي من هذه الخمرة السماوية، تشجعت ووقفت بين الرهبان، إذ كانوا جالسين في حديقة الدير، مثلما تربض البهائم المتخومة، وأخذت أبين لهم أفكاري وأتلو على مسامعهم آيات الكتاب التي تبين ضلالهم وكفرهم، قلت لهم: لماذا نصرف الأيام في هذه الخلوة متمتعين بخيرات الفقراء والمساكين مستطيبين الخبز المعجون بعرق جبينهم، ودموع أجفانهم، متلذذين بغلة الأرض المسلوبة منهم، لماذا نعيش في ظلال التواني والكسل مبتعدين عن الشعب المحتاج إلى المعرفة حارمين البلاد قوى نفوسنا، وعزم سواعدنا؟"[2].

ولكن النتيجة واحدة، فخليل فرد يقف أمام الجماعة الممثلة للمؤسسة الدينية، فلا يجد منهم إلا نظرات الاستغراب والاستهجان، فيقف أحدهم في وجهه قائلا: " أتتجرأ أيها الضعيف

---

[1] **المصدر ذاته**، ص 80.

[2] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 131

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وتتلفظ أمامنا بمثل هذا الكلام"[1] ويقول آخر: " هل تعلمت هذه الحكمة من البقر والخنازير التي رافقتها كل أيام حياتك؟"[2]، ويتوعد آخر قائلا له: " سوف ترى ما يحل بك أيها الخبيث الكافر"[3].

ولم يكتف رجال الدين بهذه الكلمات، بل أمروا بجلده وسجنه شهرا كاملا، وهذه هي حال الفرد أمام المؤسسة، وعندما حاول خليل مواجهة الرهبان للمرة الثانية، وقرأ عليهم آيات من الإنجيل تنكرهم بدين المسيح الصافي، صفعه أحد الرهبان على وجهه ورفسه آخر برجله وطردوه من الدير.

بعد ذلك يظهر في القصة صوت الراوي الذي يعلق على ما آلت إليه الحال بعد عجز خليل للمرة الثانية عن فعل أي شيء يغير من حال الشعب الخاضع للذل والعبودية لرؤساء الدين، وأبناء الشرف الموروث، ويحدد الراوي المكان، ليضفي على القصة شيئا من الواقعية، أو ليذكر القارئ بواقع لبنان الذي يعبر عنه بمثل قصة " خليل الكافر " وكيف تتحالف المؤسسة الدينية مع الأشراف على الفرد وتنال منه، يقول:

" وفي لبنان ذلك الجبل الغني بنور الشمس الفقير إلى نور المعرفة، قد اتفق الشريف والكاهن على الفقير الضعيف الذي يحرث الأرض ويستغلها كيما يحمي جسده من سيف الأول ولعنة الثاني.

ابن الشرف الموروث يقف في لبنان بجانب قصره ويصرخ باللبنانيين قائلا: قد أقامني السلطان وليا على أجسادكم، والكاهن ينتصب أمام المذبح هاتفا: قد أقامني الله وصيا على

---

[1] المصدر ذاته، ص 133.

[2] المصدر ذاته، ص 133.

[3] المصدر ذاته، ص 134.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أرواحكم، أما اللبنانيون فيظلون صامتين لأن القلوب المغلفة بالتراب لا تتكسر، لأن الأمـــوات لا يبكون."[1]

ولكن خليلا كان قادرا على إحداث التغيير في نفوس النـــاس، وزرع الـــشجاعة فـــي قلوبهم، وإنارة الحق في دواخلهم، وقد أثمرت ثورته هذه المرة، فخلقت في نفوس الشعب حبا للانعتاق والحرية، مما دفع بهم إلى الوقوف إلى جانب خليل، والسير وراءه، فلم يعـــد خليـــل فردا يواجه العبودية والظلم وحده، وهذا هو سبب انتصار ثورة خليل، وإخفاق ثورة يوحنا من قبله، فيوحنا لم يكن أقل حجة من خليل، ولم يأت خليل بأكثر مما أتاه يوحنا، إلا أن الفرد مهما كان على حق يظل ضعيفا أمام المؤسسة، ويوحنا بدأ وحيدا وانتهى وحيدا، أما خليل، فقد بدأ وحيدا لكنه عندما انتهى كانت الجموع تسير وراءه، منادية بالحرية والعدل.

أما الشيخ عباس، فكانت نهايته الجنون، وهي النهاية ذاتها التي اتهم بها يوحنا من قبل رؤساء الدين والكهان عندما واجه ظلمهم، إلا أنها كانت زورا عند يوحنا، وحقيقة عند الشيخ عباس. وعلى ما يبدو اختار جبران هذه النهاية للشيخ عباس – ممثـــل المؤســـسة الدينيـــة – الحاكمة، لينتقم ليوحنا صاحب الريادة في الثورة. " أما الشيخ عباس، فقد أصيب بعلة في نفسه شبيهة بالجنون، فكان يسير ذهابا وإيابا في رواق منزله كالنمر المسجون، وينـــادي خدامـــه بأعلى صوته، فلا يجيبه غير الجدران"[2].

4– " لكم لبنانكم ، ولي لبناني":

أما صوت الفرد والمؤسسة عند جبران ذاته، فقد ظهرت بشكل مباشر، في كثير مـــن مقالاته، ويمكن استخلاص تلك الصورة من مقالة له بعنوان " لكم لبنانكم، ولي لبناني " فمنـــذ

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص141

[2] جبران ، **المجموعة العربية** ، تقديم نعيمة، ص164.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

العنوان تتشكل عند القارئ صورة الفرد والجماعة، من خلال الضمائر الدالة على "الأنا" و"الآخرين" في قوله "لكم،ولي" . فمن يا ترى "هم" الذين عناهم جبران في خطابه؟

يرى جبران بلاده وأبناءها بعيون الثقة والأمل، فيرسم لها صورا مختلفة إحداها تحكي قصة الدين، وأخرى عن المجتمع وكفاحه، وأخرى عن البساطة والجمال، وأخرى عن الصمود والتحدي والقوة، وغيرها، وفي المقابل يرسم صورة أخرى للبنان وأبنائه بعيونهم، أو بعيون كل من ينظر إلى القشور، وينصرف عن جوهر الأشياء.

يقول: " لبنانكم مربعات شطرنج بين رئيس دين وقائد جيش، أما لبناني فمعبد أدخله بالروح عندما أمل النظر إلى وجه هذه المدينة السائرة على الدواليب"[1].

أما أبناء لبنان، فهم عنده الفلاحون والرعاة والكرامون، هم الذين يولدون في الأكواخ، ويموتون في قصور العلم، أما عندهم، فهم الذين لا يعرفون المجاعة الروحية، هم العبيد الذين يظنون أنهم أحرار[2].

بعد ذلك يراهن جبران على بقاء لبنانه وأبنائه، وعلى اندثار لبنانهم وأبنائه، فالبقاء للحقيقة والجوهر.

" لكم لبنانكم وأبناء لبنانكم، فاقتنعوا به وبهم إن استطعتم الاقتناع بالفقاقيع الفارغة، أما أنا فمقتنع بلبناني وأبنائه، وفي اقتناعي عذوبة وسكينة وطمأنينة."[3]

ويبدو أن المؤسسة أكبر من كونها جهة دينية، أو اجتماعية أو فئة متسلطة حاكمة محصورة بمجموعة تسكن لبنان. فالمؤسسة هنا تبدو متصلة بداخل لبنان وخارجه، وهذا يؤكده قوله عن أبناء "لبنانهم" : "هم الذين ولدت أرواحهم في مستشفيات الغربيين – هم الذين

---

[1] **المصدر ذاته**، ص 520.

[2] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 522

[3] **المصدر ذاته**، ص 524.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

استيقظت عقولهم في حضن طامع يمثل دورا أريحي، ...هم تلك السفينة التي تصارع الأمواج وهي بدون دفة ولا شراع، أما ربانها فالتردد، وأما ميناؤها فكهف تسكنه الغيلان، أوليست كل عاصمة في أوروبا كهفا للغيلان؟"[1].

5- " الأضراس المسوسة ":

يعبر جبران في هذه المقالة عن المؤسسة الفاسدة، بتشبيهها بالأضراس المسوسة التي لا يجدي معها نفعا إلا الخلع والاستئصال، ويبدأ مقالته بالصورة الحقيقية للضرس المسوس داخل الفم، وما يجنيه صاحبه من ألم مهما حاول مداواته، إلى أن يخلعه ويرتاح، وهذه هي الجامعة البشرّية؛ فهي كالأسنان التي ينخرها السوس إلى العظم، لكن الفرق بينه وبين الجامعة البشرّية أنه يستأصل السن الفاسدة ليرتاح من ألمه على الدوام، أما هي فتظل تداويها وتنظفها وتلمعها، والسوس بداخلها والعلة لا تفارقها: "في فم الجامعة البشرّية أضراس مسوسة، وقد نخرتها العلة حتى بلغت عظم الفك، غير أن الجامعة البشرّية لا تستأصلها لترتاح من أوجاعها بل تكتفي بتمريضها وتنظيف خارجها وملء ثقوبها بالذهب اللماع، ...وإذا قال أحد لهم: ما قولكم بالاستئصال؟ يضحكون منه، لأنه لم يدرس طب الأسنان الشريف، وإذا أعاد السؤال ثانية، يبتعدون عنه متضجرين قائلين في نفوسهم: ما أكثر الخياليين في هذا العالم وما أوهى أحلامهم!"[2].

---

[1] **المصدر ذاته**، ص522.

[2] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 420

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المبحث الثالث:

القيم العليا في ظل " فردية " النبي الجبراني:

عندما وضع جبران كتاب " النبي " عام 1923م، كان قد وصل إلى مرحلة من الهدوء والاستقرار أبعدته عن التمرد والثورة، وكان قد تشرب أفكار " نيتشة " واستقامت في ذهنه، وبدأ مرحلة جديدة بدأت بوادرها في كتاب " السابق " الذي صدر قبل كتاب " النبي " بما يقارب ثلاثة أعوام[1].

وقد أحدث كتاب " النبي " تحولا كبيرا في حياة جبران ماديا ومعنويا، وزادت شهرته، وأصبح ملجأ لكثير من الناس الذين يعودون إليه في كثير من مسائل حياتهم طلبا للنصح والإرشاد[2]. وقد وصف جبران هذا التحول في حياته قائلا: " لقد كانت حياتي منذ عام أو عامين لا تخلو من الهدوء والسلام، أما اليوم فقد تبدل الهدوء بالضجيج*، والسلام بالنزاع، إن البشر يلتهمون أيامي وليالي، ويغمرون حياتي بمنازعهم ومراميهم، فكم مرة هربت من هذه المدينة الهائلة إلى مكان قصي لأتخلص من الناس، ومن أشباح نفسي أيضا"[3].

لقد ولد كتاب " النبي " في البيئة الأمريكية وهي بيئة تغلب عليها النظرة المادية، وعادة يغلب على مثل هذه البيئة رواج الحديث عن الشخصيات الروحانية[4]، وربما هذا ما دفع جبران، أو هذا ما أوحى إليه بشخصية " النبي " أو المصطفى المختار، الذي يقود الناس إلى ثالوث القيم العليا " الحق والخير والجمال " ، وما يتفرع عن تلك القيم الأساسية من قيم أخرى

---

[1] عبد العزيز النعماني. **جبران بين التمرد..**، ص56.

[2] **المرجع ذاته**، ص57

* كذا، والصواب: تبدل الهدوء ضجيجا.

[3] جميل جبر. **رسائل جبران**، ص85.

[4] عبد العزيز النعماني. **جبران بين التمرد..**، ص 58.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كالعدل والسلام والحرية، فيطرح في " النبي " خلاصة آرائه في الحب والزواج والأولاد والبيوت والثياب والبيع والشراء والألم والجرائم والعقوبات والحرية والشرائع والعطاء والعقل والهوى والإثم والصداقة والدين والموت واللذة والجمال.

وقد عبر عن كل منها من خلال رؤيته الخاصة لها، ومن أهم الأقوال التي قيلت في كتاب " النبي " مقولة " الأرشمندريت انطونيوس بشير " في مقدمة ترجمته للكتاب: "ليس النبي رواية أو حكاية، يكفي أن يمر بها القارئ ليدرك فحواها، ويفهم الحقيقة المنطوية عليها، ولكنه دائرة علم وأدب وفن وحكمة وفلسفة، فلا تترك عبارة من عباراته قبل أن تقف على الحقيقة التي وراءها وتتفهم العقيدة الجديدة التي تحملها إليك، فإن جاءت مثبتة لما لديك فاقبلها، واحتفظ بها، وإن جاءت غريبة لما عرفته وألفته، فلا ترفضها بل ضعها في دائرة من ذاكرتك، ثم عد إليها بعد حين متذكرا أن الذين اضطهدوا "غاليلو" ، واحتقروا آراءه الغريبة ما كانوا ليضطهدوه لو عاد وعادوا إلى الحياة اليوم"[1].

إن شخصية " النبي " ولدت في البيئة المادية – كما ذكرت سابقا – وكانت وليدة معطيات هذه البيئة، وكانت تطمح لتغيير واقع الناس من خلال الآراء التي تحدثت بها عن موضوعات الحياة التي جاءت في الكتاب، وهي بذلك تذكرنا بشخصية جبران ذاته، وهو من كان يطمح في حياته إلى تغيير ما في الحياة من تشوهات أوجدتها الشرائع والعادات الفاسدة، وعندما عجز عن ذلك فضل عدم البقاء في بلاده وبين أهله، وعدم العودة إليهم إلا بعد أن فارق الحياة، وهذا لا يعني حبه لبلاد المهجر، فقد ظل يحن لـ "صنين" و "بشرّي" التي احتضنت رفاته، إذن جبران لم يجد نفسه لا في بلاده لبنان، ولا في بلاد المهجر التي قضى فيها أكثر من ثلاثين عاما، فقد عاش في عزلة نفسية جعلته غير قادر تمام المقدرة على إيجاد

[1] جبران. النبي، تقديم: جميل جبر، ص 44.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

حلول ترفع الإنسانية إلى المقام الذي ظل يحلم به طوال حياته، لذلك يرى " خليل حاوي " أن جبران لم يكن في مستوى المسؤولية الاجتماعية التي حاول حملها، وإن أذهلنا بنفاذه إلى أغوار الأشياء مهما دقت، وحتى كتاب " النبي " وإن كان قد حقق شهرة شعبية نادرة، إلا أنه لم يحظ باهتمام بالغ في الأوساط الأدبية الكبرى[1].

وهذا يدل على أن شخصية " النبي " هي شخصية جبران ذاتها، فجبران الذي عاش حياته في عزلة روحية هو النبي الذي اعتزل الناس اثنتي عشرة سنة، والمدينة التي أقام فيها النبي، مدينة " أورفليس " هي الولايات المتحدة التي أقام بها جبران أكثر سني حياته، وأما الجزيرة التي أراد النبي العودة إليها وهي مسقط رأسه، فهي لبنان التي ظل جبران يحن للعودة إليها[2].

أما أفكار " النبي " التي بثها على مسامع أهل مدينة " أورفليس " فهي أفكار جبران التي ولدها طول تأمله وتفكره في الحياة، بعد أن أدرك أن الثورة لم تجد نفعا، وان علو الصوت لا يفيد إلا رجع الصدى، فقد أثرت دعوة جبران في الفكر، لكنها لم تغير من الواقع شيئا، ويعلل أحد دارسي جبران ذلك بأن جبران كان "يريد حياة أخرى غير تلك الحياة المدنية التي كره معارفها وآلاتها وطائراتها واكتشافاتها. لكنه لم يتخيلها غير حياة بدائية ساذجة، فلقد كانت عزلته بعيدا عن وطنه وأهله، وانطواؤه على نفسه هاربا من المجتمع الأمريكي الغريب عليه مما جعله يعجز عن أن يقدم حلا حاسما لمشاكل الواقع اليومي من حوله"[3]، ومع ذلك فقد أصبح " النبي " إنجيلا يتلى في كنائس الغرب [4].

---

[1] جبران. **النبي**، ترجمة: ثروت عكاشة، ص 15

[2] جبران. **النبي**، تقديم: جميل جبر، ص 45.

3 جبران. **النبي**، ترجمة: ثروت عكاشة، ص 18

[4] طانيوس منعم. **جبران والكنيسة**، ص 34.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إن شخصية " النبي " لا بد أن تتسم بالوقار والهدوء والحكمة، وهي من أكثر الشخصيات، وربما تكون الشخصية الوحيدة القادرة على قيادة الناس وهدايتهم إلى طريق الحق والخير والجمال[1]، وربما يكون هذا هو دافع جبران لبث أفكاره على لسان شخصية "النبي" فقد جعل جبران من نفسه معلما يحاور بأسلوب تعليمي[2]، وفي هذا الكتاب يجتمع جبران المعلم الحكيم، والمتفلسف البليغ الذي يقود الناس للوصول إلى قيم عليا تترسخ في ظلها مبادئ العدالة والمحبة والحرية والخير، وكل ما دعا إليه " نبي جبران ". والفرق بين دعوة جبران السابقة، ودعوة " النبي " أن أبطال القصص الجبراني كانوا يتكلمون دون إذن أو طلب من أحد، أما شخصية "النبي" فيأتي صوتها بناء على طلب من أهل مدينة "أورفليس" الذين أقام بجوارهم صامتا منعزلا مدة اثنتي عشرة سنة.

فبعد أن قضى "النبي" اثنتي عشرة سنة من التأمل في تلك المدينة، منتظرا عودة السفينة التي ستقله إلى الجزيرة التي ولد فيها، يصعد إلى قمة أحد التلال في المدينة، فيرى السفينة قادمة من بعيد، فما كان منه إلا أن بدأ يستعد للسفر، وفي نفسه حزن على فراق المدينة التي قضى بها زمانا ليس بالقليل، وما أن وصل إلى باب المدينة حتى رأى الجموع تتبعه، وتستوقفه، وترجوه ألا يرحل عنها، إلا أنه لم يجبهم بغير الدموع المعبرة عن حزنه على فراقهم، ومن بين الجموع كانت " المطرة " وهي أول من آمن بشخصه وسعى إليه بعد دخوله المدينة، بليلة واحدة، وقد كانت على يقين بأنه راحل، فلن تطلب منه البقاء كما فعل أهل المدينة، وإنما طلبت منه أن يعلمهم من مكنونات نفسه، وما أظهر له من أسرار الحياة، فبدأ "النبي" يجيب عن أسئلتهم حول الكثير من مسائل الحياة وقضاياها بداية بالمحبة، وقبل

---

[1] عبد العزيز النعماني. **جبران بين التمرد..**، ص58.

[2] طانيوس منعم. **جبران والكنيسة**، ص 39.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الخوض في موضوعات الكتاب، يجدر الذكر أن سفر " النبي " أو رحيله عن المدينة كان في شهر الحصاد " أيلول " وهو اليوم ذاته الذي تحدث به أمام جموع الناس عن الموضوعات التي تحدث عنها، وربما كانت دلالة الحصاد أكثر من كونها دلالة زمنية مرتبطة بموسم الحصاد، فالأفكار التي ألقاها " النبي " على أهل المدينة، كانت تمثل حصادا لما خلفه التأمل والتفكر في نفسه، فخرجت أفكاره كالثمار التي حان قطافها بعد اكتمال نموها.

في كتاب " النبي " صوت واحد، هو صوت النبي جبران الذي يدعو إلى قيم عليا محاطة بدرجة عالية من المثالية، وفي " النبي " تغيب صورة المؤسسة أو الآخرين الذين عهدنا وجودهم في أعمال جبران السابقة، فالآخرون هنا مقبلون عليه ومستمعون له بإصغاء، يرفضون ذهابه عنهم.

إن صورة المؤسسة ارتبطت بصورة جبران الثورية المتمردة، أما جبران الواعظ الزاهد، فلم يواجه ولم يقاوم، وكأن هذا الاستسلام والزهد من شخصية النبي لم يعد لها أي تأثير على الواقع، ولن تستطيع إحداث أي تغيير، فيظل مسلبة لقوى الظلام والتجهيل[1].

لم يكن كتاب " النبي " دعوة للقيم العليا فحسب، بل كان تصفية لها مما علق بها من مفاهيم خاطئة في أذهان الناس، فمن يظن الحرية بلا عمل وبلا تفكر وبلا كآبة، فلن يكون حرا في يوم " بل تكونون أحرارا عندما تمنطق هموم الحياة وأعمالها أحقادكم بمنطقة الجهاد والعمل، وتثقل كاهلكم بالمصاعب والمصائب، ولكنكم تنهضون من تحت أثقالها عراة طليقين"[2].

---

[1] طانيوس منعم. **جبران والكنيسة**، ص 35.

[2] جبران. **النبي**، تقديم: جميل جبر، ص 124.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وعن العطاء يقول لمن يظن نفسه يعطي، ويحدد عطاءه للمستحقين فقط: " هل نسيت يا صاح أن الأشجار في بستانك لا تقول قولك، ومثلها القطعان في مراعيك، فهي تعطي لكي تحيا، لأنها إذا لم تعط عرضت حياتها للتهلكة"[1]، وغيرها الكثير من القيم التي حاول جبـــران تنقيتها وإظهارها بصورة مثالية، مما يجدر ذكره، أن جبران أتبع كتاب "النبي" بكتاب "حديقة النبي" ، وكان ينوي كتابة ثالث بعنوان " موت النبي " إلا أن القدر لم يمهله.

وفي كتاب " حديقة النبي " يسير على النهج نفسه في كتاب "النبي" ، ويعتمـــد علـــى أحادية الصوت، ففيه يعود " النبي " إلى الجزيرة التي ولد فيها، ويجتمع بتسعة مـــن طلابـــه، فيطلبون منه أن يحدثهم عن المدينة التي قدم منها، وهي " أورفليس " فيبدأ بالحـــديث عنهـــا، بينما الكل مستمع له، مؤمن بكل ما يقول[2].

---

[1] جبران. **النبي**، تقديم: جميل جبر، ص 80

2 انظر: جبران. **المجموعة المعربة**، (حديقة النبي)، ترجمة: أنطونيوس بشير، ص 449– 484

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

يبدو أن جبران كان قد وصل في حياته إلى مرحلة من الهدوء أبعدتــه عــن الثــورة والمواجهة، وبدا يفكر بحكمة الشيوخ كيف له أن يغير من الواقع، فقد يئس أن يتحول صــوته إلى ضجيج، وتيقن بعد محاولاته السابقة أن الفرد مهما كان قويا، ومهما كان على حق، فلــن يغير من واقع المجتمع شيئا ما دام وحيدا، وربما يكون هذا سببا قويا دفعه لأن يصور الناس مقبلين عليه وسائرين وراءه، وباكين على فراقه، وهذا ما افتقده جبران طوال حياته في واقعه وفي أدبه، وتحقق له بعد موته.

ومثلما كان صوت الفرد والمؤسسة انعكاسا لرؤية جبران الاجتماعية، وما تطمح لــه تلك الرؤية من تحقيق لقيم عليا تسود المجتمع، وترتقي به، كان لفنه فلسفة تقوم على مبــادئ عدة، تترسخ من خلالها القيم العليا، وتتجلى في أبهى صورها، وهذا ما ســيكون موضــوع الفصل التالي من هذه الدراسة.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الرابع:

خطاب جبران وقيم الحرية

والمساواة

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

يحتاج السعي لمعرفة الأسباب التي دفعت جبران لحمل راية الحرية، والدعوة إليها، والسعي لفك القيود المفروضة على المجتمع الذي وجه خطابه إليه، لمعرفة عميقة، وحقيقية بالتاريخ. " فمعرفة الحرية بعمق هي معرفة التاريخ بعمق"[1].

إن قيمة الحرية من ركائز الأدب الجبراني، فقد كانت هم جبران الكبير الذي يسعى لتحقيقه، ففي مرحلة من مراحل حياة جبران المبكرة كانت معظم كتاباته تدين فكرة العبودية والخضوع والإرادة المسلوبة التي نتج عنها فيما بعد حالة من الثورة والتمرد.

كانت نظرة جبران للحرية واسعة شاملة، فقد عبر عنها في حديثه عن العبودية التي تبدأ باستعباد الحياة للناس، فكل منا عبد لذاته أولا، ولمن يكبره ثانيا: " دخلت القصور والمعاهد والهياكل، ووقفت حذاء العروش والمذابح والمنابر، فرأيت العامل عبدا للتاجر، والتاجر عبدا للجندي، والجندي عبدا للحاكم، والملك عبدا للكاهن، والكاهن عبدا للصنم، والصنم تراب جبلته الشياطين ونصبته فوق رابية من جماجم الأموات"[2].

ثم إنه يقسم العبودية أقساماً، ويسميها بمسميات كثيرة، ويعرف كلا منها بذكر حالة من حالاتها، منها: العبودية العمياء، وهي التي تجعل الأجيال تتعلق بتقاليد الآباء والأجداد، ويصور جبران هذه العبودية بقوله: " هي التي توثق حاضر الناس بماضي آبائهم، وتنيخ نفوسهم أمام تقاليد جدودهم، وتجعلهم أجسادا جديدة لأرواح عتيقة وقبورا مكلسة لعظام بالية"[3].

ومنها، العبودية الخرساء: وهي التي تجبر كلا من الرجل والمرأة على الاقتران ببعضهما كرها وقسرا: "والعبودية الخرساء هي التي تعلق أيام الرجل بأذيال الزوجة التي

---

[1] طانيوس منعم. **جبران والكنيسة**، ص 38.

[2] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص372.

[3] **المصدر ذاته**، ص 373.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يمقتها، وتلصق جسد المرأة بمضجع الزوج الذي تكرهه وتجعلهما من الحياة بمنزلة النعل من القدم..."[1].

ومنها أيضا، العبودية الصماء، وهي التي تجعل الإنسان عبدا لمصالحه، منافقا في سبيلها، مما يسلبه رأيه واستقلالية شخصيته: " فيصبحون من الأصوات كرجع الصدى، ومن الأجسام كالخيالات"[2].

أما الحرية المتحققة فيصفها جبران بشبح هزيل ما أن يظهر حتى يختفي. يقول:" ولما تعبت من ملاحقة الأجيال، مللت النظر إلى مواكب الشعوب والأمم، جلست وحيدا في وادي الأشباح حيث تختبئ خيالات الأزمنة الغابرة، وتربض أرواح الأزمنة الآتية. هناك شبحا هزيلا يسير منفردا محدقا إلى وجه الشمس، فسألته: ما اسمك ؟

قال: اسمي الحرية.

قلت: وأين أبناؤك ؟

قال: واحد مات مصلوبا، وواحد مات مجنونا، وواحد لم يولد بعد.

ثم توارى عن عيني وراء الضباب."[3]

إن عبودية الإنسان للشرائع البشرّية، وللتقاليد، تنتقل بالوراثة من الآباء إلى البنين، وهذا ما يعبر عنه جبران في مقالة " أبناء الآلهة وأحفاد القرود " ويبين كيف تتوارث الأجيال العبودية والخضوع، وتسير متظللة بظل ما يدعونه مجد الآباء والأجداد: "منذ سبعين هنيهة مررت بكم، فرأيتكم تتقبلون كالحشرات في زوايا الكهوف، ومنذ سبع دقائق نظرت من وراء بلور نافذتي فوجدتكم تسيرون في الأزقة القذرة وأبالسة الخمول تقودكم، وقيود العبودية تتمسك

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 373.

[2] **المصدر ذاته، والصفحة ذاتها.**

[3] **المصدر ذاته**، ص374.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

بأقدامكم، وأجنحة الموت تصفق فوق رؤوسكم، فأنتم اليوم كما كنتم بالأمس، وستظلون غـــدا وبعده مثلما رأيتكم في البدء."[1].

لقد أحس جبران بواقع بلاده، حتى وإن كان بعيدا عنها بجسده، ففي الفترة التي عـــاد فيها جبران إلى لبنان ليتعلم اللغة العربية في مدرسة الحكمة عام 1898م، رأى بعين أمه مـــا صارت إليه الحال في بلاده، بل وعاش تجربة كشفت له عن صورة المرأة، وما تعانيه مـــن غياب الحرية، وظلت ظلال صورة "حلا الظاهر" تلوح في كتاباته عن وعي أو عن غير وعي منه بذلك، فعبر عن واقع المرأة المرير بصور متعددة، وفي مواضع كثيرة، ومن جانب آخر يثار تساؤل مهم حول موقف الكنيسة منه، وموقفه من الكنيسة، وعلاقة الموقفين بالحرية، التي كان يدعو إليها.

إن رفض جبران للواقع جعله يفتش عن حرية كبرى، حرية تضمن للإنسان كينونتـــه وطبيعته، كيف تمثل خطاب جبران المنادي بحرية المرأة؟ وكيف وجه خطابه للكنيسة التـــي يعتبرها المؤسسة الأكثر اضطهادا للحرية الإنسانية بما آلت إليه من انحرافات عـــن تعـــاليم المسيحية الحقة، فلبست ثوب الدين وهي بعيدة عن جوهره كل البعد.

يحاول هذا الفصل الإجابة عن السؤالين السابقين، بمحورين، يبحث الأول منهما فـــي حرية المرأة في خطابه، ويبحث الثاني في موقف الكنيسة منه، وخطاب الحرية.

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 398.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الأول: حرية المرأة في خطاب جبران:

أ: حرية المرأة والمجتمع الشرقي:

ب: حرية المرأة والتقاليد الدينية:

- نماذج الخضوع والاستسلام
- نماذج التمرد والتحرر

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

حرية المرأة والمجتمع الشرقي:

ظل جبران يناصر المرأة، ويطالب بالاعتراف بحقها، حتى تخطى في مطالبته بحقها كثيراً من الحواجز والحدود، فأباح للمرأة أن تتبع نداء قلبها، وتجتمع إلى حبيبها في غفلة زوجها، ولم يخط جبران حرفا واحدا يدين به المرأة في انحرافها، وتمردها على المجتمع وعلى الشرائع البشرّية؛ فالمرأة المغرر بها في أدبه إما فقيرة، أو صغيرة، أو ساذجة، لكنها ليست خاطئة أبدا.[1]

وفي حديث لجبران مع " يوسف الحويك " يقول: "سن الكهان شرائع للحب تكرهها نفسي، لأنها مستوحاة من الجهل والكبرياء، والظلم والعبودية، فالمرأة المسكينة مضطرة للخضوع، فهم لا يشاوروها غداة وضعوا الشرائع والقوانين في أمر يهمها أكثر مما يهمهم، ثم راحوا ينسبون شرائعهم للخالق، والخالق براء منها، لأنها متى حللت، وجدت بعيدة عن روح العدالة الإلهية."[2]

يصور جبران حال المرأة في المجتمع الشرقي على أنحاء متعددة، فيكشف عن حالها أُمّاً، وزوجة، وصبية، وحتى طفلة، وبين كل واحدة منهن اختلاف تفرضه طبيعة الحال التي تعيشها المرأة، ومع ذلك نجد نقطة مشتركة تتمثل في غياب الحرية عند المرأة في المجتمع الشرقي.

والمشكلة أن غياب الحرية لم يقف عند حد غياب قيمة عليا في المجتمع تعتبر حقا من حقوق المرأة الطبيعية وحسب، بل خلف هذا الغياب في أبسط حالاته، ظهورا للرذيلة وسيادة للانحلال، حتى بدا مفهوم الحرية مشوها، وذلك كله لأن المرأة اعتادت على إحساس الصغر

---

[1] عبد الكريم الأشتر. **النثر المهجري**، ص143.

[2] يوسف الحويك. **ذكرياتي مع جبران: باريس 1909-1910**، ط2، مؤسسة نوفل، بيروت، 1979، ص134.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والدونية والإهمال والعزلة في مجتمع يقدم الرجل في كل شيء، فما كان من المرأة في مواجهتها لتقاليد المجتمع الشرقي إلا أن تثور وتتمرد على ثوابت الأخلاق لتتخلص من حصيلة الكبت والخنق المتمادي على روحها[1]، أما النماذج التي ظلت محافظة، ورضيت بالكبت، وقاومت رغبتها الجامحة في الحصول على الحرية، فقد ظلت بائسة قابعة داخل نفسها، ترى الحرية وهما وحلما لا يطال.

بالرجوع إلى شخصية " سلمى كرامة " في رواية " الأجنحة المتكسرة " يضع جبران أساسا للعلاقة بين سلمى وحبيبها قائما على الحرية حين يقول: "وهكذا شاءت السماء وأعتقتني على حين غفلة من عبودية الحرية والحداثة، لتسيرني حرا في موكب المحبة، فالمحبة هي الحرية الوحيدة في هذا العالم، لأنها ترفع النفس إلى مقام سام لا تبلغه شرائع البشر وتقاليدهم، ولا تسوده نواميس الطبيعة وأحكامها"[2].

الحرية إذن هي التي تستطيع أن تنفلت من قيود تقاليد البشر وشرائعهم، ومن أحكام الطبيعة – برأي جبران – ولا تتمثل إلا بالمحبة، فسلمى كرامة، أو نموذج المرأة الشرقية في "الأجنحة المتكسرة" استطاعت أن تحب بحرية، لكنها لم تستطع مواجهة القيود التي فرضها عليها المجتمع، وهي ابنة الشرف والغنى، أن ترتبط بشخص فقير من عامة الشعب، وفي بداية وصف جبران لجمال سلمى نجده أيضا يربط هذا الجمال بالقيود حين يقول: "أيقدر الأسير المثقل بالقيود أن يلاحق هبوب نسمات الفجر؟"[3]، وهذه القيود وغيرها قادتها أخيرا " عبدة ذليلة في موكب النساء الشرقيات التاعسات "[4].

---

[1] إميل كبا. **النساء في الأدب الجبراني**، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1995، ص 39

[2] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 182.

[3] **المصدر ذاته**، ص 183.

[4] **المصدر ذاته**، ص197.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

إن المجتمع الشرقي يحكم المرأة بتقاليد تجعل منها ضحية في أغلب الحالات، فعلى سبيل المثال في الوقت الذي يكون المال فيه مصدر قوة الرجل، والوسيلة التي تحقق له المكانة العليا في مجتمعه، يكون مصدر عبودية وذل للمرأة، لأنها ستكون ضحية ثروة والدها التي غالبا ما تكون السبب في زواجها من رجل يطمع بهذه الثروة، ومن هنا كانت المفارقة في قول جبران: "فلو لم يكن فارس كرامة رجلا غنيا لكانت سلمى اليوم حية تفرح مثلنا بنور الشمس"[1].

رسم جبران صورة سلمى في مواجهتها مع المجتمع، وهو يعني أن تلك الصورة نموذج حي للمرأة الشرقية التي تنقلب حالها بعد الزواج، وكأن الزواج قيد جديد يضيفه المجتمع إلى المرأة، بما يترتب عليها من التزام تتطلبه طبيعة الشرقي الذي لا يحسب على الأغلب أن يسمع كلمة "لا" من زوجته رغم عدم اقتناعها، ويفرض عليها احترام كل من يخصه من أجل الاحترام وليس المحبة، لذلك كانت سلمى "تمثل على غير معرفة منها حياة المرأة الشرقية التي لا تغادر منزل والدها المحبوب إلا لتضع عنقها تحت نير زوجها الخشن، ...ولا تترك ذراعي أمها الرؤوف إلا لتعيش في عبودية والدة زوجها القاسية"[2].

إن المرأة في المجتمع الشرقي لا تملك حتى أن تفكر بحرية، أو أن تتكلم بحرية، أو تفعل بحرية، أو تختار بحرية، وقد صرحت" سلمى " بذلك لمحبوبها عندما أرادت مفارقته، وقد كشفت عن هذه القيود بإظهار الفرق بين المرأة والرجل في المجتمع بقولها: " أمامك الحياة طريقا واسعة مفروشة بالأزهار والرياحين، سوف تخرج إلى ساحة العالم حاملا قلبك

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص198.

[2] **المصدر ذاته**، ص 200

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مشعلا متقدا، سوف تفكر بحرية وبحرية تتكلم وتفعل، سوف تكتب اسمك على وجه الحياة لأنك رجل"[1].

يرى جبران أن زواج المرأة الشرقية مجلبة لتعاستها، بما يفرضه مثل هذا النوع من الزواج من قيود واستعباد، لا يعترف المجتمع الشرقي بالمشاعر بقدر اعترافه بالتقاليد التي تضمن السيرة الحسنة للمرأة، مع أنهما لا تتعارضان، فتتزوج المرأة الشرقية من رجل لا تعرفه ولا تعرف إن كان سيستحق احترامها ومحبتها، ومع ذلك فعليها أن تحبه وتطيعه وتحترمه، وإلا فهي امرأة فاسدة، وتأتي المرأة إلى بيت زوجها وكلها يقين بأنه الأقوى، وبأنها الأضعف، فيظل هو السيد، وتظل هي الأَمَة.

تروي سلمى قصة المرأة الشرقية وتقاليد الزواج في المجتمع الشرقي، حين تبوح بمكنونات نفسها إلى حبيبها قائلة: "لقد ذهب والدي إلى منزل الرجل الذي سيكون رفيقا لي حتى القبر، لقد ذهب الرجل الذي اختارته السماء سببا لوجودي، ليلتقي الرجل الذي انتقته الأرض سيدا على أيامي الآتية..."[2].

وتضيف: " أنا مثل عمياء تتلمس بيدها الجدران مخافة السقوط، أنا جارية أنزلني مال والدي إلى ساحة النخاسين، فابتاعني رجل من بين الرجال، أنا لا أحب هذا الرجل لأنني أجهله، وأنت تعلم أن المحبة والجهالة لا تلتقيان، ولكنني سوف أتعلم محبته، سوف أطيعه وأخدمه وأجعله سعيدا، سوف أهبه كل ما تقدر المرأة الضعيفة أن تهب الرجل القوي"[3].

إن أول قيود الزواج التي تمارس على المرأة هو تجاهل رأيها أصلا في الزواج، وكأن الموضوع لا يعنيها أكثر من كونها طرفا في صفقة الزواج التي تعقد بين الرجال وآباء

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 201.

[2] **المصدر ذاته**، ص 200.

[3] **المصدر ذاته**، ص 201.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الصبايا: " إنما الزيجة في أيامنا هذه تجارة مضحكة مبكية، يتولى أمورها الفتيان وآباء الصبايا، الفتيان يرحبون في أكثر المواطن، والآباء يخسرون دائما، أما الصبايا المتنقلات كالسلع من منزل إلى آخر فتزول بهجتهن، ونظير الأمتعة العتيقة يصير نصيبهن زوايا المنازل حيث الظلمة والفناء البطيء"[1].

كانت المرأة الشرقية تعيش راضية سعيدة قانعة بكل ما يحيط بها، وذلك قبل أن تنمي المدنية مداركها، وتفتح عيونها لتبصر حالها، كانت ضعيفة الجسد والنفس معا، فأصبحت قوية الجسد ضعيفة النفس، كانت خادمة سعيدة فأصبحت سيدة تعسة، كانت عمياء تسير في النور فأصبحت مبصرة وتسير في الظلام.[2]

كيف لكل المفارقات السابقة أن تلتقي أو كيف يكون للمرأة أن ترتقي بشيء، وتتأخر بشيء – كما يقول جبران – لولا وجود عقبات وقيود تجعلها تسير خطوة إلى الأمام، وخطوتين إلى الوراء " فالعقبات التي تبلغنا قمة الجبل لا تخلو من مكامن اللصوص وكهوف الذئاب"[3]، فالمرأة الشرقية تعيش بزمان غير زمانها الحاضر، لتذهب ضحية الزمن الحاضر.

كان جبران يحرص على أن يبث شكوى المرأة الشرقية على لسان سلمى، فيدعها تتحدث معه عن منزلة المرأة الشرقية في الجامعة البشرّية، وعن تأثير الزمن في تغير ميولها وعن العلاقة الزوجية، وما يحيط بها من مفاسد[4]، حيث يتمتع الرجل بالمجد والعظمة والشهرة، وتدفع المرأة ثمن ذلك بعبوديتها وخضوعها وتسليمها بأنها مخلوق ضعيف.

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 209.

[2] **المصدر ذاته، والصفحة ذاتها.**

[3] **المصدر ذاته، والصفحة ذاتها.**

[4] **المصدر ذاته**، ص 223.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كانت سلمى بعد زواجها القسري تجتمع إلى حبيبها سرا في معبد متطرف، وهي بذلك تمارس مع حبيبها نوعا من الحرية أو نوعا من مواجهة العبودية كما ترى، لأن الحرية الحقة يجب أن تكون معلنة، ولعلمهما بقصور هذه الحرية الخفية كانا يدعيان عدم الخوف أو الشعور بالذنب، ويسوّغان ذلك بأنهما يترفعان عما يدعوه الناس عيبا وعارا أنهما بذلك يتحرران من عبودية الشرائع ونواميس التقاليد، ويتعدى الأمر بجبران إلى حد المساس باحترام العلاقة الزوجية التي تقضي باحترام المرأة لهذا الوثاق الشرعي، فلا يرى في خروج سلمى من بيتها لتقابل محبوبها سرا غضاضة، ويلخص جبران فلسفته في الحرية من خلال قصته مع سلمى في قوله: "إن السجين المظلوم الذي يستطيع أن يهدم جدران سجنه، ولا يفعل، يكون جبانا، وسلمى كرامة كانت سجينة مظلومة، ولم تستطع الانعتاق، فهل تلام لأنها كانت تنظر من وراء نافذة السجن إلى الحقول الخضراء والفضاء الواسع ؟"[1].

لكن يكفي لتلك الحرية ألا تكون معلنة حتى يمكن أن نطلق عليها الحرية المزيفة، والأكثر من ذلك أن الخوف الذي ظل يرافق سلمى دفعها أخيرا للتخلي عن هذه الحرية المزيفة، فهي تعلم أن العبودية قدرها المحتوم، فتقرر أن تتنازل عن ذلك الخيط الرفيع الذي يربطها بإحدى زوايا الحرية، لتبقي على حرية حبيبها: "إذا كان القضاء قد حكم علي أن أسير على عقبات الحياة مثقلة بالقيود، وبالسلاسل، فهل أرضى أن يكون نصيبك من القضاء مثل نصيبي"[2].

يظل جبران بعد ذلك يحاول استبقاء الحرية التي تضمن له دوام علاقته بسلمى، يذكرها بأن الحرية هبة من الله، فكيف يهبنا الله الحرية لنجعلها ظلا للاستعباد، يخبرها بأن

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 224

[2] **المصدر ذاته**، ص 227.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الحياة مع الحرية، وبأن السرور والغبطة مع الحرية والحياة، قائلا: " فلماذا لا نخلع النير الثقيل عن عاتقينا، ونكسر القيود الموثقة بأرجلنا ونسير إلى حيث الراحة والطمأنينة ...هلمي نرحل من هذه البلاد وما فيها من العبودية والغباوة إلى بلاد بعيدة لا تطالها أيدي اللصوص ولا يبلغها لهاث الأبالسة"[1].

أما سلمى التي كانت تمثل المرأة الشرقية بشخصها، فتستيقظ من غفلتها لتكتشف أن الحرية المعنوية والاستقلال الشخصي اللذان طمحت للوصول إليهما كانا أحلاما، فتتخلى عن أحلامها لأنها تعلم أن العبودية قد تطال الأحلام أيضا: "هذه الأحلام التي تنير صدور النساء المظلومات، وتجعلهن يتمردن على التقاليد الباطلة ليعشن في ظل الحق والحرية، لم تمر في خاطري حتى جعلتني أستصغر نفسي وأستضعفها، وأرى محبتنا واهية محدودة لا تستطيع الوقوف أمام وجه الشمس"[2].

تكتفي المرأة الشرقية بحلم الحرية، وتعيش عليه: "شعرت وأنا في ظلمة السجن بنوع من الحرية النفسية التي تستهون الشدائد، وتستصغر الأحزان"[3]، أما جبران الذي ظل يحاول مواجهة الشرائع والتقاليد التي يفرضها المجتمع، فقد استسلم أخيرا، وعرف أن الإنسان لا مفر له من قسوة الشرائع التي سنها آباؤه وأجداده، حتى وإن ولد الإنسان حرا، وحتى لو توهم في غفلة شبيبته أنه يحيا حرا، فهو في حقيقة الأمر عبد لمجتمعه[4].

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 231.

[2] **المصدر ذاته**، ص 230.

[3] **المصدر ذاته**، ص 231.

[4] **المصدر ذاته، والصفحة ذاتها.**

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مرت خمسة أعوام دون أن ترزق سلمى بمولود يخفف من وحدتها، ويقرب بينها وبين زوجها، وهذا شكل من أشكال العبودية الذي يصوره جبران بقوله: "إن البلبل لا يحوك عشا في القفص كيلا يورث العبودية لفراخه "[1].

وعندما شاء القدر ورزقت سلمى بمولود كان كالحلم الذي يبدأ وينتهي بلحظة واحدة، فقد جاء ليعلن حياة، وفي الوقت ذاته تنتهي حياته والحياة التي انبثق منها، فحياة سلمى بكل تفاصيلها كانت تمثل حياة المرأة الشرقية في مواجهتها مع المجتمع، وكيف تولد وتحيا وتموت عبدة للتقاليد والشرائع البشريّة.

وفي قصة " وردة الهاني " تجسد شخصية وردة دور المرأة التي تحكمها تقاليد الزواج الذي لا يعبأ بقلب المرأة وميولها، لكنها تثور أخيرا على واقعها وتتبع دقات قلبها، وتترك القصور والحدائق وتلتحق بمن اختارته شريكا لروحها، ومن هنا يكون الحب أولى خطواتها نحو الحرية ومواجهة المجتمع، فوردة الهاني كانت "ترى روحها مرفرفة حول آخر تحبه بكل ما في الروح من المحبة، وبكل ما في المحبة من الطهر والجمال"[2]. لقد مثلت قصة " وردة الهاني" نزاعا يظهر ضعف المرأة، وقوة الرجل، وبين الضعف والقوة تظهر العبودية والاستسلام.

لم تكن قصة "وردة " قصة امرأة ضعيفة ورجل قوي، بل كانت قصة امرأة حكم عليها المجتمع بشرائعه الفاسدة بالضعف والاستسلام، لكن الذي ميز وردة عن غيرها من نساء الأدب الجبراني هو تمردها وثورتها، وسعيها للتحرر، تقول: "...لكنني وقفت ونزعت عني جبانة بنات جنسي، وحللت جناحي من ربط الضعف والاستسلام، وطرت في فضاء الحب

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 234.

[2] **المصدر ذاته**، ص 91.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

والحرية، ولا توجد قوة في هذا العالم تستطيع أن تسلبني سعادتي لأنها منبثقة من عناق روحين يضمهما التفاهم ويظللهما الحب"[1].

وهنا يؤكد جبران أيضا أساس الحرية المتمثل بداية بالمحبة، فالمحبة هي الشيء الوحيد الذي يستطيع أن ينفلت من أحكام التقاليد مهما عظمت، فهل أحد يفرض عليك حبيبا أو يجبرك أصلا على أن تحب؟ ولكن الفارق هو أن تواجه وتتحدى، وربما تضطر للثورة لكي تظهر هذا الحب، وتضمن له عيشا آمنا في المجتمع الذي غالبا ما يرفض إظهار هذا الإحساس، بل يغفله ولا يقيم له وزنا أمام أصغر التقاليد، وهنا نعود أيضا لصورة الحرية التي كشفت عنها رواية "الأجنحة المتكسرة " في ثورة المرأة على الثوابت، وهذا رد الفعل المعاكس الذي مثلته أغلب نساء الأدب الجبراني في سعيهن نحو الحرية.

يصل التمرد والتحرر بوردة لدرجة الاعتراف الصريح مسوّغة ذلك بمواجهتها لأحكام العادات والتقاليد البالية التي تسلبها حق الاختيار، وتسحق إحساس قلبها غير مبالية بما تخلفه تلك الأحكام في نفس المرأة، وهي نصف المجتمع، تقول وردة: " كنت زانية وخائنة في منزل رشيد نعمان، لأنه جعلني رفيقة مضجعه بحكم العادات والتقاليد، قبل أن تصيرني السماء قرينة له بشرّيعة الروح والعواطف، وكنت دنسة ودنيئة أمام نفسي وأمام الله عندما كنت أشبع جوفي من خيراته، ليشبع ميوله من جسدي، أما الآن فصرت طاهرة نقية لأن ناموس الحب قد حررني... نعم كنت زانية ومجرمة عندما كان الناس يحسبونني عاهرة دنسة، لأنهم يحكمون على النفوس من مآتي الأجساد، ويقيسون الروح بمقاييس المادة"[2].

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة،ص 92.

[2] **المصدر ذاته**، ص 93.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أما النماذج التي تعرضها وردة لراوي القصة، عن النساء اللواتي تمردن على التقاليد خفية عن المجتمع، فلم تكن إلا صورة بوجهين يحمل الوجه الأول منها صورة التمرد وطلب الحرية، ويعرض الوجه الثاني صورة الخوف الذي يلازم المرأة إذا ما طلبت حريتها من المجتمع، تغادر الواحدة منهن بيت زوجها الذي فرضه عليها المجتمع، لتقابل الرجل الذي اختارته بقلبها، وتظل بذلك خائنة دنسة، محتقرة لنفسها، شاعرة بالذنب، أما وردة فقد اختارت الحرية علنا لتحيا دون شعور باحتقار نفسها، وتحملت ضريبة العيش بحرية، في تخليها عن القصور والخدم والمركبات والحلى، وفي تحملها لتهمة الخيانة والزنا علنا، ومع ذلك فهي غير خجلة ولا تشعر بأي ندم، لأنها ترى أن الحرية تستحق هذا الثمن وأكثر.

وفي المشهد الأخير من القصة يخرج الراوي متأملا بكل ما رأى وسمع، ينظر حوله، فيرى مظاهر الطبيعة الجميلة، وقد تكللت بالحرية ويقارنها بالبشر الذين حرمتهم التقاليد من قيمة الحرية العظيمة قائلا: "أمام عرش الحرية تفرح هذه الأشجار بمداعبة النسيم، وأمام هيبتها تبتهج بشعاع الشمس والقمر، على مسامع الحرية تتناجى هذه العصافير، وحول أذيالها ترفرف بقرب السواقي، في فضاء الحرية تسكب هذه الزهور عطر أنفاسها، وأمام عينيها تبتسم لمجيء الصباح، كل ما في الأرض يحيا بناموس طبيعته، ومن طبيعة ناموسه يستمد مجد الحرية وأفراحها، أما البشر فمحرومون من هذه النعمة، لأنهم وضعوا لأرواحهم الإلهية شريعة عالمية محدودة، وسنوا لأجسادهم ونفوسهم قانونا واحدا قاسيا، وأقاموا لميولهم وعواطفهم سجنا ضيقا مخيفا، وحفروا لقلوبهم وعقولهم قبرا عميقا مظلما"[1]. كانت وردة ضحية نظام اجتماعي، وتربوي يقوم على القهر والظلم[2]، فثارت، وتمردت تحقيقا لحريتها.

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 99.

[2] إميل كبا. **النساء في الأدب الجبراني**، ص66.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وفي قصة " **مضجع العروس** " وهي حادثة واقعية جرت في شمال لبنان، في النصف الأخير من القرن التاسع عشر[1]، تتمرد بطلة القصة " ليلى " على تقاليد المجتمع التي حرمتها من الزواج بحبيبها " سليم " بعد أن فرقت بينهما ألسنة الناس، وتجاهلت مشاعرهما، لتزف ليلى إلى شخص آخر لا يربطها به أي رابط، فتأبى الاستسلام والخضوع، وتنثر عقد التقاليد، فتقوم بقتل حبيبها ليلة زفافها، وتدعو الناس الذين اجتمعوا ليباركوا زواجها، تدعوهم إلى جثة "سليم" وتخاطبهم قائلة:

" اقتربوا أيها الجبناء، ولا تخافوا خيال الموت، فهو عظيم لا يدنو من صغارتكم، اقتربوا ولا ترتجفوا جزعا من هذا الخنجر، فهو آلة مقدسة لا تلامس أجسادكم القذرة، وصدوركم المظلمة، انظروا هذا الفتى الجميل المتسربل بحلة العرس، هو حبيبي وقد قتلته لأنه حبيبي، هو عريسي وأنا عروسته، وقد بحثنا فلم نجد مضجعا يليق بعناقنا في هذا العالم الذي جعلتموه ضيقا بتقاليدكم، ومظلما بجهالتكم، وفاسدا بلهاثكم، ففضلنا الذهاب إلى ما وراء الغيوم، اقتربوا أيها الضعفاء الخائفون، وانظروا لعلكم ترون وجه الله منعكسا على وجهينا."[2]

وبعد ذلك تغرس " ليلى " الخنجر ذاته في صدرها، لتلتحق بحبيبها إلى العالم الذي لا تحكمه الشرائع الفاسدة، وهي بذلك تتحرر من القيود بالموت: "ها أنذا قد كسرت القيود، وفككت السلاسل، فلنسرعن نحو الشمس، فقد طال وقوفنا في الظل."[3]

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، حاشية رقم 1، ص 111.

[2] **المصدر ذاته**، ص 117.

[3] **المصدر ذاته**، ص 119.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

حرية المرأة والتقاليد الدينية:

إن المرأة التي ظلت خاضعة مستسلمة لتقاليد المجتمع وشرائعه في قصص جبـــران، واستيقظت من غفلتها، وعرفت معنى الحرية، فثارت وتمردت واتبعـــت إرادتهـــا مواجهـــة المجتمع بالسر أو بالعلن، هي المرأة ذاتها التي اعتادت الخضوع والصمت أمام مشيئة رجال الدين وأحكامهم، رغم علمها بأن دين المسيح هو غير دينهم، فقد وجهوه لمصالحهم واستغلوه غطاء، ليخفوا به ممارساتهم الخاطئة، فثارت أيضا، وواجهت، غير مبالية لأحكامهم.

وهنا أعرض لنموذجين من نماذج المرأة في الأدب الجبراني، يمثل الأول منها حـــال الخضوع والذل الذي كانت عليه المرأة في مواجهتها لرجال الدين، وتمثله النساء في قصص مجموعة "عرائس المروج "، ويمثل النموذج الثاني منها حال الثورة والتمرد والتحرر، وتقدمه قصص مجموعة "الأرواح المتمردة ".

- نماذج الخضوع والاستسلام:

أولا: شخصية "أم يوحنا " في قصة يوحنا المجنون:

تظهر "أم يوحنا" في قصة "يوحنا المجنون " بمظهر الضعف والاستسلام والخضوع، إلى جانب الشيخوخة التي غالبا ما تحمل معنى الضعف.

عندما تحس "أم يوحنا" بأن لها دورا يجب أن تأديته، لتخلص ابنها وحيدها من أســـر الكهان، تأتي لتضطلع بدورها، وتطالب بحقها، ولكن بمظهر يثير الشفقة عند مـــن لا رحمـــة عندهم ولا شفقة، وهل يحصل الحق بالذل وإثارة الشفقة؟!.

إن "أم يوحنا" نموذج لامرأة تستكثر على نفسها الحق ولا تطالب به: "علم والدا يوحنا بما جرى لوحيدهما، فجاءت أمه إلى الدير مستعينة بعصاها، وترامت على قـــدمي الـــرئيس،

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

تذرف الدموع، وتقبل يديه ليرحم ابنها ويغتفر جهله"[1]، فيجيبها صاحب الدير بعد أن يرفع عينيه نحو السماء كمترفع عن العالميات بأنه وإن سامح بحقه فإن للدير حقوقا مقدسة لا بد من استيفائها. "فنظرت إليه الوالدة، والدمع ينسكب على وجنتيها المتجعدتين بأيدي الشيخوخة، ثم نزعت قلادة فضية من عنقها ووضعتها في يده قائلة: "ليس لدي غير هذه القلادة يا أبتاه، فهي عطية والدتي يوم اقتراني، فليقبلها الدير كفارة عن ذنوب وحيدي، فأخذ الرئيس القلادة ووضعها في جيبه، ووالدة يوحنا تقبل يديه شكرا وامتنانا"[2].

ثانيا: شخصية "مرتا البانية" في قصة مرتا البانية:

لم يكن لمرتا البانية أي نصيب من الحرية، حيث رمى بها الفقر واليتم، ما خلفاه من ضعف بداخلها، إلى الاستعباد من قبل رجل لا يراها إلا جسدا يشبع فيه رغباته دون إرادة منها، فيتركها بعد أن خلف في أحشائها طفلا يسمه المجتمع بابن العار، فهو ابن امرأة زانية محتقرة منبوذة.

هكذا يرى المجتمع " مرتا " امرأة خاطئة، فترد قائلة: "سوف ينظر الناس إلى ولدي بعين السخرية والاحتقار قائلين: هذا ثمرة الإثم ن هذا ابن مرتا الزانية، هذا ابن العار، هذا ابن الصدف، سوف يقولون عنه أكثر من ذلك، لأنهم عميان لا يبصرون، وجهلاء لا يدرون أن أمه قد طهرت طفولته بأوجاعها ودموعها، وكفرت عن حياته بتعاستها وشقائها، سوف أموت وأتركه، يتيما بين صبيان الأزقة، وحيدا في هذه الحياة القاسية"[3].

وعندما تموت "مرتا " يحملها فقيران في تابوت خشبي على كتفيهما، وتدفن في حقل مهجور بعيد عن المدينة، ويرفض الكهان الصلاة عليها، حتى تحرم من راحة الرقود، ولا

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 75.

[2] **المصدر ذاته، والصفحة ذاتها.**

[3] **المصدر ذاته**، ص 65.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يرافق جثمانها إلا ابنها، وفتى آخر عرف الحق، فعرف أن المجتمع الذي سلب مرتا حريتهـا يوما ما، لا بد له من أن يفهم "أن أدران الجسد لا تلامس النفس النقية"[1].

ثالثا: شخصية " **زوجة اللص** " في قصة صراخ القبور:

بعد أن تحكم الشريعة العمياء على رجل بالشنق، وينفذ به الحكم، تظهر امرأة بمظهر ضعف وفقر، ترتدي ثيابا بالية، وتقترب من الرجل المعلق بحبل الموت، فتنزله بعد أن تقطع الحبل بأسنانها، وتحفر له قبرا، وتواريه التراب، وتحكي للراوي قصة ذلـك الرجـل، وهـو زوجها ووالد أطفالها الخمسة، وقد أفنى عمره في خدمة الدير، ومات متهما بسرقة آنية الدير المذهبة، وهو بريء من تهمته.

إن تلك المرأة لم تكن لتملك مجرد الوقوف أمام من حكموا على زوجها بالـشنق دون وجه حق، فلا تظهر إلا بعد أن يتحول جسد زوجها إلى جثة معلقة، تأتي فقط لتواريها التراب: "وذهبت المرأة الفقيرة، ولكلامها المتقطع أشباح محزنة تتصاعد وتتسارع إلى كل ناحية كأنها أعمدة من الدخان يتلاعب بها الهواء"[2].

- نماذج التمرد والتحرر:

أولا: شخصية "**سوسان** " في قصة "مضجع العروس":

سوسان شخصية ثانوية في قصة " مضجع العروس " بيد أنها تبرز في نهاية القصة، ويكون لها كلمة وموقف، يظهر من خلاله مغزى القصة الأهم، وهي على العكس من شخصية البطلة " ليلى " التي خضعت للتقاليد، وانقادت إلى زواج دون إرادة منها، وعندما اسـتيقظت نزعة الحرية بداخلها، كانت تعلم أنها في مواجهة خاسرة؛ فقتلت نفسها.

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 65.

[2] **المصدر ذاته**، ص108.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

أما سوسان التي تمردت على إرادة الكاهن وتعاليمه، حين حرم على جسدي ليلى وحبيبها سليم الدفن والإكرام، فلم تقبل بالخضوع وبالصمت. وقف الكاهن كعادته أمام الناس، ونظر إلى الموقف بكبرياء، وأصدر أحكامه، وهو لا يتوقع كعادته أيضا أية مواجهة من أحد:

"... فتقدم إذ ذاك الكاهن الذي ضفر بتعاليمه أكاليل ذلك العرس، وأشار بيمينه نحو القتيلين، ونظر نحو القوم المذهولين وخاطبهم بصوت خشن قائلا: ملعونة هي الأيدي التي تمد إلى هذين الجسدين الملطخين بدماء الجريمة والعار، وملعونة هي الأعين التي تذرف دموع الحزن على هالكين قد حملت الأبالسة روحيهما إلى الجحيم، لتبق جثة سادوم وجثة أم عمورة مطروحتين على هذا التراب الدنس المجبول بدمائهما حتى تتقاسم لحمانهما الكلاب، وتذري عظامهما الرياح... ومن يبق منكم ههنا يكن محروما ومرذولا؛ فلا يدخل الهيكل الذي يركع فيه المؤمنون، ولا يشترك بالصلاة التي يقدمها المسيحيون"[1].

من بين الجموع تتقدم "سوسان" وهي المرأة التي أطلعتها ليلى على سرها، فكانت رسولا بينها وبين حبيبها سليم، تتقدم بشجاعة وقد تخلت عن القيم التي يدعيها الكهان كأساس ديني لا يصح المساس به حتى وإن كانت على حساب رقاب الناس أو ذلهم وجوعهم. تقف سوسان أمام الكاهن، وهي تحاول التغلب على ضعفها واستبداله شجاعة، فتتمكن من ذلك وتقرر البقاء، وهي بذلك تخالف شريعة الكاهن، وتحرم من دخول الهيكل، ومن أداء الصلاة التي يؤديها المسيحيون، تقول:

" أنا أبقى هنا أيها الكافر الأعمى، وأنا أحرسهما حتى يجيء الفجر، وأنا أحفر لهما قبرا تحت هذه الأغصان المتدلية، فإن منعتم عني محفرا مزقت صدر الأرض بأصابعي، وإن ربطتم ساعدي حفرته بأسناني، أسرعوا بالخروج من هذا المكان المملوء برائحة البخور واللبان،

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص119.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فالخنازير تأبى استنشاق العطور الزكية، واللصوص الخاطفة تهاب رب البيت، وتخشى قدوم الصباح، أسرعوا إلى مضاجعكم المظلمة، لأن أغاني الملائكة المتموجة فوق شهيدي الحب لا تدخل آذانكم المسدودة بالتراب".[1]

لقد مثلت " سوسان " بحديثها السابق صوت المرأة عبر التاريخ معترضة على عصور من التقليد، فحاولت الخروج من إطار المرأة التي اعتادت الخضوع والعبودية، لتثور وتتمرد، فقد اكتفت بمواجهة الكاهن، ولم تطمح بثورتها تلك إلى الوصول لحل لأصل العبودية والظلم.[2] "تفرق الناس من أمام وجه الكاهن العبوس، ولبثت تلك الصبية واقفة بقرب الجثتين الهامدتين، كأنها أم رقوب تحرس طفليها في سكينة الليل، ولما توارى الجمع وخلا ذلك المكان استسلمت للبكاء والنحيب"[3].

ثانيا: شخصية "راحيل" في قصة خليل الكافر:

وهي المرأة التي قتل الشيخ عباس زوجها ظلما وقهرا، لأنه كان متمردا على قساوته، منددا بأعماله، لكنها واجهت قتل زوجها بالصمت والخضوع إلى أن أعاد خليل ذكرى الثورة إلى ذاكرتها حين تمرد وثار منددا بتعاليم الكنيسة، فبعد أن انتهى خليل من خطبته التي ألقاها أمام جمع من الناس، وقد أمر الشيخ عباس خدمه بالقبض عليه، تقدم أحد الخدم قائلا: "إن هذا الشاب لم يقل غير الحق، ولم يعلن لهؤلاء السامعين سوى الحقيقة"[4].

وقال آخر : " لم يقل هذا الفتى شيئا يستوجب الحكم ، فلماذا تضطهده ؟ ! "[5]

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 120.

[2] إميل كبا. **النساء في الأدب الجبراني**، ص 70.

[3] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 120.

[4] **المصدر ذاته**، ص 157.

[5] **المصدر ذاته، والصفحة ذاتها.**

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ويأتي صوت امرأة من بين الجموع: " لم يقذف بالدين ولم يجدف على اسم الله، فلماذا تدعوه كافرا ؟ "[1]

حينها تشجعت "راحيل" وتقدمت قائلة: "إن هذا الشاب يتكلم بألسنتنا، ويتظلم عنا، ومن يريد شرا به يكون عدوا لنا"[2]. وهنا تكون " راحيل " في مواجهة مع الشيخ عباس، فيجيب على تمردها مهددا لها بمصير يشابه مصير زوجها الذي قتله قبل خمس سنوات، ولم يجرؤ أحد على اتهامه أو مطالبته بدمه:

" فقال الشيخ عباس صارفا أسنانه: وأنت تتمردين أيضا أيتها الأرملة الساقطة؟ هل نسيت ما أصاب زوجك عندما تمرد علي منذ خمس سنوات؟ فشهقت راحيل عندما سمعت هذه الكلمات وارتعشت متوجعة كمن أدركت سرا هائلا، والتفتت نحو الجمع وصرخت بأعلى صوتها: هل سمعتم القاتل يعترف بجريمته في ساعة غضبه؟ ألا تذكرون أن زوجي قد وجد قتيلا في الحقل، وقد بحثتم عن القاتل فلم تجدوه، لأنه كان مختبئا وراء هذه الجدران؟..."[3].

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم نعيمة، ص 157.

[2] **المصدر ذاته، والصفحة ذاتها.**

[3] **المصدر ذاته، والصفحة ذاتها.**

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثاني: الكنيسة وخطاب الحرية

أولا: موقف الكنيسة من جبران وأدبه.

ثانيا: الكنيسة والحرية الفكرية .

ثالثا: الكنيسة وحرية التعبير .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

أولا: موقف الكنيسة من جبران وأدبه:

أدخلت الكنيسة المارونية في لبنان جبران وبعض كتبه في دائرة التحريم، والتشهير ورمي بالإلحاد[1]، وعملت الكنيسة على تمزيق كتابه " الأرواح المتمردة " في الشوارع والساحات على مرأى من الناس[2]. ويروي " طانيوس منعم" حادثة صغيرة، تحكي موقف الكنيسة من أهم كتب جبران "النبي" قائلا:

" من ذكرياتي وأنا طالب اكليركي في مدرسة مار يوحنا مارون، أني دخلت مرة على نائب المطران متأبطا كتاب "النبي" فغضن جبينه، وزوى ما بين عينيه متسخطا مهمذرا، وصادرني عليه، بحجة أنه من المحرمات، واحتفظ هو به، وبما فيه من رسوم عارية احتسبها قباحة وخلاعة، ورحت أفتش عن مثله، حتى حصلت عليه بعد لأي، لافتقاري إلى دريهمات تشتريه"[3].

ويروي قصة أخرى بين المطران "عبد الله الخوري " وشخص يدعى "يعقوب النمر" وهو صديق حميم لجبران، وقد جاوره في مهجره، يقول:

" اجتاز موكب الجنازة مدينة البترون، يرافقه المطرانان عبد الله الخوري وبولس عقل، وتوقف عند مفرق "حامات " فصعد يعقوب النمر على صخرة هناك يؤبن جبران، فوردت في مرثاته عبارة " أنت نبي بين بنيك " ثارت لها أعصاب صاحب السيادة، فانتهره محاولا إسكاته، فأجابه النمر بشجاعة النمر غير هياب: وأنتم ماذا تفعلون هنا؟ لقد سفهتم العبقري

---

[1] طانيوس منعم. **جبران والكنيسة**، ص 20

[2] عيسى الناعوري. **أدب المهجر**، ص 365.

[3] طانيوس منعم. **جبران والكنيسة**، ص 30.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

النابغة وحرمتموه، وشهرتم به حيا، واليوم تسيرون في موكب جنازته، لتقبضوا عليه جعلكم؟"[1].

وظاهر الأمر لمحاربة الكنيسة لجبران قد يُفسر بعدة أسباب منها: أنه "حلولي" (pantheism) في اعتقاده وفكره، والكنيسة ترى أن الشر انتشر في الأرض عقابا لآدم وحواء على خطيئتهما، وأنه القائل بإلوهية الإنسان مع أن المسيح ذاته قال لتلاميذه: "حقا إنكم آلهة " ، أو قد يكون لأنه لم يقبل في يوم أن ينافق المتمسكين بحرفية الشريعة دون روحها، وبمعنى آخر الذين يقولون بالدين ولا يعنونه، وهم من يدعون بـ "الفريسيين" الذين عَنَّفَهُم المسيح على ريائهم وكبريائهم، فكانوا في طليعة مقاوميه، فشوهوا نقاء المسيحية بالمظالم والخرافات، والوثنيات والتجاوزات والتسلط والعنجهية، وهي عند جبران بساطة وتواضع ومحبة وعدالة وحرية، وعبادة روحية تحيط بالكل.[2]

هذه الأسباب وغيرها قد تدعيها الكنيسة مسوّغة لموقفها من جبران، لكن، هل هي الأسباب الحقيقية التي دفعت الكنيسة لحرم جبران؟ وماذا لو استطاع أحد من مناصري جبران أن يرد عليها، ويبطلها؟ خاصة أن المسألة لا تقف عند حدود رأي الكنيسة وموقفها، لأن الحرم هو عقاب المنع من شراكة المؤمنين، والقطع عن جسم الكنيسة، والحرمان من الدفنة الكنسية، والاغتراب عن الرب، وعن الناس والمؤمنين عزلا تاما.

هناك أسباب حقيقية وجوهرية لموقف الكنيسة من جبران، يظهرها الواقع الذي عاشه لبنان، وعبر عنه في أدبه، فأدبه كان استمرارا فكريا، وضميرا حيا لثورة الفلاحين الذين سلبهم رجال الدين المتحالفون مع رجال الإقطاع أراضيهم، وحقوقهم، ففي أواسط القرن

---

[1] طانيوس منعم. **جبران والكنيسة، ص31**

[2] **المرجع ذاته**، ص22.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

التاسع عشر أصبح كبار "الإكليروس" ورؤساء الديورة والرهبان من كبار ملاكي الأراضي، فهم يملكون ثلث أراضي جبل لبنان، وبلغ عدد الأديرة ما لا يقل عن ثمانين ديرا[1].

وتروى في ذلك القصص والمقولات الكثيرة، التي ما زالت حاضرة في أذهان الشعب اللبناني، ومنها على سبيل المثال: "أن رئيس دير مشموشة شاء أن يشتري أرضا من عائلة شيعية، فوسطه أحدهم، فقال الوسيط: "الرهبان طيبو القلب، بسطاء، فإذا أردتم استعادة الأرض فيما بعد لا يمانعون، فكان جواب رئيس العائلة الشيعية: إن هؤلاء السود يثيرون الخوف، فهم إذا دخلوا مكانا لا يخرجون منه، ومع ذلك باعت العائلة الأرض لاضطرارها إلى المال"[2].

ومن القصص التي تبين سياسة الكنيسة إزاء أمور تبدو في ظاهرها شيئا، وتحمل بداخلها مصالحهم الخاصة، أن "رستم باشا" عندما أراد إيصال طريق العربات إلى قرية "بكيفا" عارضه المطران "يوسف الدبس" وبرر معارضته تلك بان فتح الطريق قد يؤدي إلى دخول الغرباء الذين يفسدون تربية أولادنا، وطهارة بناتنا، إلا أن السبب الحقيقي هو المحافظة على المساحة المقررة للطريق، لصاحب السيادة، ومن جانب آخر ضمان عدم وصول الوعي لأبناء القرى، ليظلوا خاضعين مستسلمين.[3]

إن لبنان بهذا التاريخ السياسي الديني، قد توضح في فكر جبران وعقله، وما استطاع الانفكاك عن هم الشعب اللبناني، رغم بعده عن بلاده، ويدل هذا على أنه قد ابتعد عن بلاده بجسده، إلا أنه ظل يعيش همها وآلام شعبها بروحه. تلك القصص التي لخصت حال لبنان في حقبة من الزمن قد تعتبر تفسيرا واقعيا لكثير من أدبه، فلو سألنا عن أسباب العبودية

---

[1] طانيوس منعم. **جبران والكنيسة**، ص 10

[2] **المرجع ذاته**، ص 11.

[3] **المرجع ذاته**، ص 12.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والخضوع لكان الواقع سببا في ذلك، ولو سألنا عن أسباب التمرد والثورة لكان الواقع أيضا سببا واضحا لما جاء في أدبه.

يقول طانيوس منعم: " لقد كان عميقا في وعي جبران الإنساني، وشاخصا في ضميره الوطني أننا نحن رجال الكنيسة المؤسسة رجال الإكليروس، لا نقيم علاقات نظيفة مع السماء، ولكننا نحسن في مغالبة ومرابحة أن نقيم علاقات غير نظيفة مع الأرض، ومسألة الأرض مسألة زمنية لا دينية، يتغلب علينا هم الرتبة وهم الحسبة، وهم القرابة والعائلة والطائفة، وهم السلطة ...نزهّد في الدنيا ولا نزهد، ونرغّب في الآخرة ولا نرغب، نستأكل الضعفاء بأخذ أموالهم وامتلاك أراضيهم باسم الدين، فنأكل الدنيا بالدين، ولا نرعوي لا تأثيما ولا تذمما."[1]

وما سيأتي من تحليل لبعض القطع الأدبية لجبران أكبر دليل على المقولة السابقة، لرأيه برجال الدين والكنيسة، ومن الطبيعي أن تكون ردة فعل الكنيسة من جبران في محاربته، وحرمه، وربما أكثر من ذلك لو كانوا يملكون.

إن أدب جبران يظهر أن إيمانه يتمثل في رؤيته للدين شاملا لكل ما في الحياة من الأعمال والتأملات، وهذا هو الفرق الجوهري بينه وبين من حكموا عليه بالحرم، كما هو الفرق بين دين يسوع ودين الفريسيين والمرائين[2]. ولعل أفضل ما يلخص رأي جبران في الدين ويجليه، ما جاء في كتاب "النبي" الذي يمثل – كما ذكرت سابقا– خلاصة فكر جبران، ففيه يقول: " أليس الدين كل ما في الحياة، مما ليس هو بالعمل، ولا بالتأمل، بل غرابة وعجب ينبعان من جداول النفس أبدا، وإن عملت اليدان في نحت الحجارة أو إدارة الأنوال؟ من يستطيع أن يفصل إيمانه عن أعماله، وعقيدته عن مهنته؟ من يستطيع أن يبسط ساعات عمره

---

[1] طانيوس منعم. **جبران والكنيسة**، ص14.

[2] جبران. **النبي**، تقديم: جميل جبر، ص 42.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

أمام عينيه قائلا: هذه لله، وهذه لي، هذه لنفسي، وهذه لجسدي؟؟ فإن جميع ساعات الحياة أجنحة ترفرف في الفضاء منتقلة من ذات إلى ذات... إن حياتكم اليومية هي هيكلكم، وهي ديانتكم"[1].

لكن جبران بعد هذا أصبح وجه لبنان المميز، بعدما شهر به وحرم، وأصبحت تخصص له سنتان عالميتان، في الذكرى الخمسين لوفاته، وفي الذكرى المئة لمولده، ولا يمكن لأحد أن يجزم بسبب هذا الانقلاب، فربما لأن الموت أسكت لسانه، فما عاد له تأثير على من شهر به وحرمه، وربما لما حققه كتابه "النبي" في البيئة الغربية من نجاح وانتشار وتقدير، فقد عده الأمريكيون إنجيلا جديدا، وعنه قالت "ماري هاسكل" : "سنفتحه في ظلماتنا للاهتداء به إلى أنفسنا، ولإيجاد السماء والأرض في داخلنا"[2].

[1] جبران. **النبي**، تقديم: جميل جبر، ص 174.

[2] **المصدر ذاته**، ص 14.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثانيا: الكنيسة والحرية الفكرية:

لم يقتصر دور الكنيسة آنذاك على سلب حقوق الفلاحين، وبسطاء الناس، وأكل أموالهم، واستغلال أراضيهم، بحجة مصالح الكنيسة، بل تعدى ذلك إلى اضطهاد الفكر، والتعدي على الحرية الدينية، لأن الفكر الواعي طريق للتمرد، والتمرد شكل من أشكال ممارسة الحرية. كما أن التمرد على الشرائع الفاسدة سببه أن تلك الشرائع تشكل الغطاء الروحي والفكري الذي يستند إليه تحالف الحكام والأغنياء والكهنة، ليتمكنوا من الفقراء والضعفاء، وليجدوا تبريرا لجرائمهم.[1]

كانت الكنيسة الكاثوليكية الجامعة هي المسيطرة، وكل من يخرج على قانونها، ويخالف عقائدها، كان يحرم ويشهر به، وإلى هذا الحد كان الوضع مقبولا بعض الشيء، لكن الأمر تعدى إلى حد القتل، والشجب، والسلب، وقاموا بحرق أناجيل المبشّرين الإنجيليين علانية، وحرموا كل من يرتاد مدارسهم، ومن السخف أنهم قاموا بإحراق كتاب "الجغرافية" لأن مؤلفه إنجيلي، ودعوا كل من يخرج عن تعاليمهم "هرطوقي* " [2]؛ وتروى في ذلك القصص الكثيرة، أشهرها قصة "أسعد يوسف الشدياق"، وفيها:

" أن البطريرك يوسف حبيش خلع حذاءه وضرب به أسعد وأمر أعوانه أن يضربوه بالعصي، فتكسرت على جسده عدة عصي خضر، وكان يضرب ضربا مبرحا على رجليه حتى يغمى عليه، وكل من لا يضربه يكون محروما، وحبس أسعد في دير "قنوبين" في حيز من مكان ذرعه خمسة أقدام في ربع بنافذة صغيرة لتسرب الهواء والطعام، وطعامه رغيفان

---

[1] نزار هنيدي. **هكذا تكلم جبران**، ص 49.

[2] طانيوس منعم. **جبران والكنيسة**، ص 26.

* هرطوقي: heretic هو الإنسان المبتدع الذي يقول بتعليم يخالف ما كُتِبَ في الكتاب المقدس.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

من خبز الدير مع قليل من الماء، كان الشدياق أهمج يمين يهرب له الطعام من بيته سرا إلى السجن، وقد ربط من عنقه بحبل مدلى إلى الخارج يجذبه به، كأنه يدق جرسا كل من يمر به من الرهبان والسابلة، وهو في الداخل يصرخ ويستغيث؛ ومات أسعد الشدياق بداء الاستسقاء، فربط من رجليه بحبل، وجرت جثته إلى سفح جبل غربي الدير، وطمرت هناك بلا جناز، وحرم البطريرك كل من يدل على قبره، وقيل آنذاك: دم أسعد على رأس البطريرك."[1].

هذا الواقع بكل ما يحمل من معنى للجريمة والظلم والاضطهاد، لا يمكن أن يغيب عن فكر جبران، بل كان يمثل صدى لكثير من أعماله الأدبية التي صورت الواقع كما هو، وحاولت التغلب عليه بالثورة والتمرد، خاصة أن مسألة الدين عند جبران مسألة شاملة لا تنفصل عن الحياة: "أليس الدين كل ما في الحياة من الأعمال والتأملات؟"[2].

لقد أشار جبران لصورة الاضطهاد الفكري في أوائل أعماله التي بدأ يحمل فيها ثورته على الكنيسة التي حادت عن طريق المسيحية الإنجيلية، وذلك في قصة "يوحنا المجنون"، ففي مقدمة القصة يشير جبران إلى أن "يوحنا" كان يقضي يومه "سائرا كل صباح إلى الحقول، سائقا ثيرانه وعجوله، وحاملا محراثه على كتفيه"[3] وفي هذه الصورة ما يدل على يوم شاق من العمل يفرض على صاحبه الرجوع إلى بيته في نهاية اليوم وجل مبتغاه الراحة والنوم – إلا أن "يوحنا" كان ينتظر ظلمة كل مساء، ليستنير بهدي كتاب "العهد الجديد" ليعلم منه حقيقة تعاليم يسوع التي أخفتها الكنيسة وعملت بغيرها، لكنه كان يفعل ذلك سرا، لأن الكنيسة كانت قد حكمت بالحرم على كل من يقرأ في هذا الكتاب:

---

[1] طانيوس منعم. **جبران والكنيسة**، ص 27.

[2] جبران. **النبي**، تقديم: جميل جبر، ص 172.

[3] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 69.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

" وفي الليالي الطويلة كان يبقى ساهرا حتى ينام والده، ثم يفتح الخزانة الخشبية، ويأتي بكتاب العهد الجديد، ويقرأ فيه سرا على نور مسرجة ضعيفة متلفتا بتحذر بين الآونة والأخرى نحو والده النائم الذي منعه عن تلاوة ذلك الكتاب، لأن الكهنة ينهون بسطاء القلب عن استطلاع خفايا تعاليم يسوع، ويحرمونهم من نعم الكنيسة إذا فعلوا."[1] فهل كان يوحنا إلا صورة عن أسعد يوسف الشدياق في مخالفته لأوامر الكنيسة؟

إن منع قراءة كتاب " العهد الجديد " يعد أحد أوامر الكنيسة التي يجب على الجميع التقيد بها، وإلا يعاقب بالحرم والتشهير والقتل، وهذا ما دفع يوحنا إلى قراءة العهد الجديد سرا. أما الكنيسة، فلعلمها بما حادت فيه عن طريق المسيحية، وشوهت بتعاليمها وحقيقتها، فليس من مصلحتها أن يعرف أحد بتلك الحقيقة، مع علم يوحنا بهذه الحقيقة إلا أنه ظل صامتا في البداية، فكان يوحنا: " إذا ما ذهب إلى الكنيسة عاد مكتئبا، لأن التعاليم التي يسمعها من على المنابر والمذابح هي غير التي يقرأها في الإنجيل، وحياة المؤمنين مع رؤسائهم هي غير الحياة الجميلة التي تكلم عنها يسوع الناصري"[2].

كان "يوحنا" يصغي لأحاديث والديه ولا يجيب، يلتقي بأترابه ويجالسهم لكنه لا يشاركهم بالحديث، كان يتأمل صامتا، لأنه يعلم عقوبة الكلام، وكأن صورة الشدياق لم تغب عن ذهن جبران، فكان يشفق على بطل قصته "يوحنا" مما سيلاقيه لو أنه تكلم، وعندما قرر جبران أخيرا أن يشهر ثورته ويتمرد كان ذلك بعد محاولات كثيرة منه ذكر فيها شيخوخة والديه، وضعفهما وفقرهما، وسوء حالهما، وأنه المعين الوحيد لهما: " أنا فقير لا أملك غير قوى ساعدي وهذه العجول... أنا فقير مسكين والدير غني عظيم... إنني لا املك بارة واحدة

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 69.

[2] **المصدر ذاته**، ص 70.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

يا أبتاه، فأشفق علي وارحم فقري..." [1]، وعندما يأس يوحنا من رحمة رجال الكنيسة، ثار وتمرد، إلا أن جبران حاول أن يجد له مخرجا يخلصه من عقوبة الكنيسة التي حلت بالشدياق سابقا، فكأنه يريد القول إن الواقع كان أسوأ من أن تمثله قصة.

وكذلك كان "خليل الكافر" الذي خرج مطرودا من الدير في ليلة عاصفة، حتى قارب على الهلاك، إلى أن ساقته العاصفة إلى جوار بيت "راحيل" وابنتها "مريم" اللتين أنقذتاه من الموت، وعندما سألته "راحيل" عما وصل به إلى هذه الحال، أجاب: "خرجت مطرودا كالأبرص القذر، لأنني رددت على مسامع القسس والرهبان آيات الكتاب الذي جعلهم قسسا ورهبانا"[2].

وبعد أن تحسنت حاله واستعاد قوته بمساعدة "راحيل" وابنتها مريم كان قد تعلق قلبه بحب الابنة، وعندما أشارت عليه بالبقاء بينهما، أجابها: "إن سكان هذه القرية لا يقبلون المطرود من الدير جارا لهم، ولا يسمحون له أن يتنفس الهواء الذي يحييهم لأنهم يحسبون عدو الرهبان كافرا بالله وقديسيه... إن سكان هذه القرى يا مريم قد تعلموا من الرهبان والكهان بغض كل من يفكر لذاته."[3]

وعندما سنحت الفرصة لخليل ألقى بذوره الأولى في نفوس الناس، ليظهر لهم ما هم عليه من ذل وعبودية وتبعية، فليس لهم إلا السير وراء الكاهن دون نظر أو تفكير، فليس منهم رجل لم " يلو عنقه كاهن الكنيسة أمام سيد الحقول { وليس منهم امرأة } لم يزجرها سيد الحقول، ويستحثها لكي تتبع مشيئة كاهن الكنيسة."[4]

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 72

[2] **المصدر ذاته**، ص 129.

[3] **المصدر ذاته**، ص 140.

[4] **المصدر ذاته**، ص 151.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وحتى آخر نفس لجبران ظل موضوع الدين، وتعدد الطوائف والخضوع الأعمى لرئيس الدين هما شاغلا في فكره، فقد جاء في كتاب "حديقة النبي" الذي عملت "بربارة يونغ" على جمعه وترتيبه ونشره بعد وفاة جبران، وهو آخر ما كتبه جبران، جاء فيه خطاب لجبران يلقيه على تلاميذه حين طلبوا منه أن يحدثهم عن الأرض التي أقام عليها اثنتي عشرة سنة، ويعنون مدينة " أورفليس " ظل صامتا متأملا، ثم تبدد صمته فجأة، ليقول: "يا أصدقائي ويا رفاق طريقي: ويل لأمة تكثر فيها الطوائف والمذاهب، وتخلو من الدين".[1] وأغلب الظن أن "أورفليس" كانت رمزا للبنان، وهي البلاد التي كثرت فيها الطوائف، وخلت من الدين إلا من قشوره وما علق بها.

[1] جبران. **المجموعة المعربة**، ترجمة: أنطونيوس بشير، ص 455.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ثالثا: الكنيسة وحرية التعبير:

إن حرية التعبير بكل جرأة وشجاعة عن الآراء التي يؤمن بها الإنسان، تـؤمّن لـه المطالبة بحقوقه المشروعة دون خوف أو حرج، لذلك يعتبر تقييد حرية الرأي والتعبير مـن أقسى أساليب القمع التي استخدمتها الكنيسة ضد الشعب، ومن أفضل الأساليب التـي تـضمن للكنيسة استبدادها واستقرارها واستقلاليتها بأحادية الحكم والسلطة.

لذلك كانت حرية التعبير في أدب جبران مقرونة بالثورة والتمرد أولا، وبالعقاب الذي تنزله الكنيسة على من تمرد ثانيا، وقد أخذت حرية التعبير فـي قصـصه تحديـدا شـكلين متشابهين من حيث المبدأ، ورأي الكنيسة، ومختلفين في النتيجة التي توصل إليها كـل مـن أبطال قصصه، الأولى: ثورة "يوحنا المجنون" والثانية: ثورة "خليل الكافر" ، وهنا أقف عنـد صورة الحرية في تعبير كل منهما، وماذا أنتجت، وإلى ماذا انتهت؟؟

صورة الحرية في صوت "يوحنا المجنون" :

إن صوت "يوحنا" الثائر ما كان ليأتي لولا وعيه، ومعرفته الدقيقة لحقيقة الإنجيل، فقد لازم يوحنا كتاب "العهد الجديد" في ظلمة الليالي مستهديا به، وعرف أن ما في الإنجيل نسمعه الآن، لكننا لا نراه، وكان الخوف يعيش داخل يوحنا، فما كان يجرؤ على قراءة الحـق فـي وضح النهار؛ خوفا من بطش الكنيسة، واتقاء لعقابها.

لكن هذه الأفكار التي هزت يوحنا من داخله، ما كانت لتبقى في السر أو تموت فـي داخله، فما أن اصطدم يوحنا بالدير حتى بدأ صوته بالظهور، وانتقل من السر إلـى الجهـر والعلانية[1]، وبدأ خطابه أولا للرهبان حين قبضوا عليه بتهمة دخول عجوله إلى أراضي الدير، وغفلته عنها، فما كان منه بعد أن حاول بكل الوسائل التي حاول فيها استعطاف الكهان، ونيل

[1] جلال المخ. **جبران بين المصلوب والمجنون**، ص 40

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

غفرانهم، وقد أخفق في ذلك، ما كان منه إلا أن استحضر في ذهنه تعاليم يسوع التي تعلمها سرا، ليلقيها على مسامع الكهان قائلا:

" هكذا تتلاعبون بتعاليم هذا الكتاب أيها المراؤون. هكذا تستخدمون أقدس ما في الحياة لتعميم شرور الحياة... خذوا وابحثوا في هذا الكتاب وأروني متى لم يكن يسوع غفورا، واقرأوا هذه المأساة السماوية وأخبروني أين تكلم بغير الرحمة والرأفة... انظروا يا قساة القلوب إلى هذه المدن والقرى الفقيرة، ففي منازلها يتلوى المرضى على أسرة الأوجاع، وفي حبوسها تفنى أيام البائسين، وأمام أبوابها يتضرع المتسولون، وعلى طرقها ينام الغرباء، وفي مقابرها تنوح الأرامل واليتامى"[1].

كان هذا صوت يوحنا الذي ما سمعه إلا الرهبان، لكنهم بدلا من أن يتعظوا، قبضوا عليه، وقادوه مكتوفا وسجنوه، وأنهكوا جسده بالضرب والتعذيب، ولم يطلقوا سراحه إلا بعد توسل والديه وتذللهما على قدمي رئيس الدير، وبعد أن قدمت والدته فدية لقاء حريته، تمثلت بقلادة فضية ورثتها عن أمها، وكانت آخر ما تملك، فخرج يوحنا من سجن الدير متهما بالجنون، واختلال العقل.

لكن ثورته لم تقف عند هذا الحد، مع أنها لم تجد نفعا، بل تطورت بعدما ازداد يوحنا جرأة وقوة على الباطل، وكانت ثورته هذه المرة أمام الشعب الذي اجتمع يوم الفصح، ليقدس ويكرس أحد الأساقفة الذي جاء يرتدي الملابس الموشاة بالذهب والفضة، ويلبس التيجان، ويتقلد عصا منمقة بالنقوش والحجارة الكريمة، وقد جاء ليزداد ثروة من عرق الفلاحين، فلم يستطع يوحنا الصبر على ما رأى، فثارت نفسه، وصرخ قائلا: "...تعال ثانية يا يسوع الحي واطرد باعة الدين من هياكلك، فقد جعلوها مغاور تتلوى فيها أفاعي روغهم واحتيالهم، تعال

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 73

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وحاسب هؤلاء القياصرة، فقد اغتصبوا من الضعفاء ما لهم وما لله، ...تعال وانظر الذين ائتمنتهم على السلام، فقد انقسموا على ذواتهم، وتخاصموا وتحاربوا، ولم تكن أشلاء حروبهم غير نفوسنا المحزونة وقلوبنا المضنكة..."[1]

وبعد ذلك اتهم يوحنا بالجنون، وخمدت ثورته، لكنه كان يبشر بثورة قادمة، كان قد تيقن من نتائجها حين قال: "أنتم كثار وأنا وحدي، فقولوا عني ما شئتم، وافعلوا بي ما أردتم، فالذئاب تفترس النعجة في ظلمة الليل، ولكن آثار دمائها تبقى على حصباء الوادي حتى يجيء الفجر، وتطلع الشمس."[2]، وهذا يذكرنا بصوت جبران حين قال: "ما أقوله اليوم بلسان واحد، سيقوله الغد بألسنة عديدة"[3]. لكن، هل تحقق حلم يوحنا بالثورة المنتظرة، وأعني ثورة "خليل الكافر" ؟

ومن الواضح أن جبران لم يهتم بالشروط الفنية للقصة، التي تستوجب ألا ينطق "يوحنا" الراعي بمثل هذا الخطاب شديد البلاغة، فلم تكن حكاية يوحنا في بدايتها مع الرهبان إلا تهيئة لتلقي خطاب يجرد رجال الدين من أقنعتهم الزائفة، ويظهر حقيقة ممارساتهم، ومن غير المعقول أن ينطق يوحنا الراعي البسيط بمثل هذا الخطاب البليغ.[4]

صورة الحرية في صوت "خليل الكافر":

لم يكن صوت "خليل" إلا صدى لما عرفه وتعلمه من تعاليم يسوع الناصري، وخليل أحد رهبان الكنيسة الذين عرفوا الحق وما حادوا عن طريقه، لكنه في بادئ الأمر ظل منتميا لهم، وأول ما بدأ صوته بالظهور نجده يتحدث بضمير المتكلمين، ولهذا دلالته على المخاطب،

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 78.

[2] **المصدر ذاته**، ص 81.

[3] **المصدر ذاته**، ص 349

[4] نزار هنيدي. **هكذا تكلم جبران**، ص 67

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فلا يمكن أن يثور الشخص ويتمرد على نفسه، أو على الجماعة التي ينتمي إليهـا، فيقـول: "لماذا نصرف الأيام في هذه الخلوة متمتعين بخيرات الفقراء والمساكين، مـستطيبين الخبـز المعجون بعرق جبينهم، ودموع أجفانهم، متلذذين بغلة الأرض المسلوبة منهم، لماذا نعيش في ظلال التواني والكسل، مبتعدين عن الشعب المحتاج إلى المعرفة حارمين البلاد قوى نفوسنا، وعزم سواعدنا؟"[1]

وبعدها يتحول إلى ضمير المخاطبين، مذكرا إياهم بتعاليم يسوع الناصري، وبعـد أن ينقل كل ما في خاطره، يعود لضمير المتكلم حتى لا يشعر المخاطب بمعنى الثورة والتمـرد، ويجدي خطابه نفعا في نفوس المتلقين، مع أنه لم يترك من صغائر أعمالهم شيئا إلا كشف عنه في قوله: " فأي تعاليم جعلتكم تصيرون كالذئاب بين الخراف؟ لماذا تبتعدون عن البشر وقـد خلقكم الله بشرا؟ إذا كنتم أفضل من الناس السائرين في موكب الحياة عليكم أن تذهبوا إلـيهم وتعلموهم، وإن كانوا أفضل منكم امتزجوا بهم وتعلموا... كيف تنـذرون الفقـر وتعيـشون كالأمراء، وتنذرون الطاعة وتتمردون على الإنجيل، وتنذرون العفة وقلوبكم مفعمة بالشهوات؟ أنتم تتظاهرون بقتل أجسادكم، ولكنكم لا تقتلون غير نفوسـكم، وتتظـاهرون بـالترفع عـن العالميات وأنتم أكثر الناس طمعا، وتتظاهرون بالتنسك والتقشف وأنتم كالبهائم المشغولة عـن المعرفة بطيب المرعى..."[2].

وكما قبض الرهبان على يوحنا، واتهموه بالجنون، كذلك فعلوا بخليل، وطردوه مـن الدير، واتهموه بالكفر: "...وذهب بعضهم وشكوني إلى الرئيس، فاسـتدعاني عنـد غـروب الشمس، وبعد أن وبخني بقساوة على مسمع من الرهبان المبتهجين، أمر بجلدي بـسياط مـن

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 132.

[2] **المصدر ذاته، والصفحة ذاتها.**

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المرس، ثم حكم بسجني شهرا كاملا، فاقتادني الرهبان مقهقهين فرحين إلى غرفة رطبة مظلمة."[1]

كان الرهبان قد توهموا أن خليلا قد عاد عن أفكاره بعد انقضاء فترة السجن، لكنهم كانوا مخطئين في ظنهم، وعاد إليهم خليل بفكر أعمق، ورؤية واضحة تعلمها من الإنجيل، وعاد ليقرأ ويوضحها لمن غفلوا عنها، وإلى هذا الحد لم يكن صوت خليل عاليا، ولم يخرج خارج حدود الدير وأسماع الكهان ورجال الدين، وأعلنوا عزله من الرهبنة: "...وقد خلعناك اليوم أيها المصلح، لأنك أسأت السياسة، فاذهب الآن، وكن معلما على الذئاب الجائعة والغربان المتطايرة، وعلمها كيف يجب أن تعيش في كهوفها وأوجرتها[2]."

وبعد رحلة من المعاناة، يصحو خليل ليقول كلمته، فالراهب المطرود يتخلى عن هدوئه، وصمته خارج حدود الدير، ليضم روحه إلى أرواح الفقراء والمساكين المظلومين، وينتمي إليهم، فيتكلم بلسانهم، متجردا من الضعف والخضوع والخوف قائلا: "أيها الأخوة: إن الرجل الذي أقامه خضوعكم واستسلامكم سيدا على حقولكم قد أحضرني مكتوفا، ليحاكمني أمامكم في هذا القصر المبني فوق بقايا آبائكم وجدودكم ...، أما أنتم فقد تراكضتم مسرعين من كل ناحية لكي تنظروني متألمين، وتسمعوني مستغيثا مسترحما...، قد جئتم لتنظروا المجرم الكافر واقفا أمام القضاة، أنا هو المجرم، أنا هو الكافر الذي طرد من الدير فحملته العاصفة إلى قريتكم..."[3].

ويبدو هذه المرة أن الثورة أتت أكلها، ربما لأن خليلا كان راهبا، ولهذا أثره في نفوس الناس، فهو أعرف الناس بما يقترفه الرهبان من جرائم بحقهم، وربما لأن نظرة خليل

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 133.

[2] **المصدر ذاته**، ص 135.

[3] **المصدر ذاته**، ص 148.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

كانت أعمق من نظرة يوحنا، فكثيرا ما كان يعود إلى تعاليم المسيح، ويحيل سامعيه إليهـا[1]، مما أثار وعي الناس، خاصة عندما كشف النقاب عن صورة الرهبان، كما هي في الواقع، في قوله:

" أتعرفون أيها المستسلمون الضعفاء من هو الكاهن الذي تهابونه، وتقيمونه وصيا على أقدس أسرار نفوسكم، اسمعوني فأبين لكم ما تشعرون أنتم به وتخافون إظهاره، هو خـائن يعطيـه المسيحيون كتابا مقدسا، فيجعله شبكة يصطاد بها أموالهم، ومراء يقلـده المؤمنـون صـليبا جميلا، فيمتشقه سيفا سنينا، ويرفعه فوق رؤوسهم... هو ذئب كاسر يدخل الحظيـرة فيظنـه الراعي خروفا وينام مطمئنا، وعند مجيء الظلام يثب على النعـاج ويخنقهـا نعجـة إثـر نعجة..."[2].

بعدها أمر رئيس الدين خدمه القبض على خليل، لكن أحدا لم يستجب، فقد أنجبت ثورة خليل الانعتاق والحرية، وانتهى عهد العبودية والذل الذي فرضته المؤسسة الكنسية الحاكمـة، فتحول خطاب خليل إلى الحرية التي أراد أن يغرسها في نفوس الناس، فيقول: "من أعماق هذه الأعماق نناديك أيتها الحرية فاسمعينا، من جوانب هذه الظلمة نرفع أكفنا نحـوك، فانظرينـا ...فأصغي أيتها الحرية واسمعينا... فانظري أيتها الحرية وارحمينا... فأشفقي أيتها الحريـة واسمعينا..."[3]. كانت الحرية هي نتيجة صوت خليل الذي ارتفع في وجه الباطل، وظل صداه يصدح في أسماعهم. " أما تاريخ حياة خليل، فقد كتبه آباؤنا بأحرف من شعاع على صفحات قلوبنا، فلن تمحوه الأيام والليالي..."[4].

---

[1] جلال المخ. **جبران بين المصلوب والمجنون**، ص 59.

[2] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 152.

[3] **المصدر ذاته**، ص 160

[4] **المصدر ذاته**، ص 166.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

بعد ذلك ظل جبران يدعو إلى التمرد، بل يمجده ويشيد بجمال الاعتزال، وذلك في قصة "العاصفة" المنشورة في كتابه "العواصف" لكن اللافت للنظر هو أن ثورة جبران بدأت تفتر أو أنه أدرك بأن الثورة وحدها لا تكفي، وأن الثورة يمكن أن تخذل صاحبها، لا سيما إذا كانت تهدف إلى قلب النظام الذي ينتهي إليه كل نظام[1].

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، **(مقدمة المحقق)**، ص 28.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
© Arabic Digital Library - Yarmouk University

إن جبران يؤمن بالحرية التي تأتي من داخل النفس، وهي الحرية التي استحقت الثورة في سبيلها، وقد بدأت الثورة المطالبة بالحرية ثورة فكرية عمادها التخلص من الطقوس البالية والتسلط والقمع السياسي والاجتماعي والديني.[1]

وبعد ما جاء في "عرائس المروج" و"الأرواح المتمردة" وفي الكثير من المقالات، يجسد جبران صورة الحرية بوضوح في قصيدة "المواكب" التي صدرت عام 1919م، ومثلت صدى للنزاع الداخلي في نفسه بين ما كان يؤمن به بفطرة الإنسان الإلهية، وبين ما كان يراه في واقع الحياة من استسلام وخضوع وذل وعبودية وظلم[2]، فصور فيها مواكب الإنسانية وهي تسير باحثة عن الحرية، إلا أنها تضل طريقها بسبب رضوخها للشرائع البالية.[3]

إن هم الحرية كان قد شغل جبران الأديب، وجبران المتفلسف، وجبران الرسام، حتى رسم للحرية تمثالا على صورة فتى يمتلك أجنحة، ويطمح للطيران والتحليق، إلا أن قدميه مقيدتان بحبال تحول دون تحليقه، ويبدو أن تلك الحبال هي قيود المجتمع التي تجعل الفرد عبدا لشرائعه وتقاليده.

---

[1] وديع أمين ديب. **الشعر العربي في المهجر الأمريكي:** دراسة وتحليل، دار الريحاني، بيروت، 1955، ص135.

[2] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، (مقدمة المحقق) ص 21.

[3] فصل العيسى. **النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية**، ص84.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الفصل الخامس:

القيم العليا وفلسفة الفن

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

إن الإبداع الحر يعبر عن نفسه من خلال الصراع الذي يدور بين الكاتب وذاته،ومجتمعه، وينطلق من مقاربة موضوعية لمعطيات الواقع[1]، لكن الإبداع أو الفن يحاول الإفلات من قيود الواقع ومحاكاته وتقليده، فيلجأ إلى التحوير والتعديل في الواقع، ليرسم صورة مثالية مميزة عما هي عليه في الواقع[2]، لان مهمة الفن تنحصر في رغبته في تغيير المجتمع والعالم، وتحرير الإنسان من أسر الظروف الاجتماعية، فالفنان يتحدى الضرورات المفروضة على نفسه، فيقاومها ليحرر نفسه منها أولا، فيكون قادرا على إحداث التغيير في الواقع[3].

وقد سعى جبران لهذا الهدف من خلال ما قدمه من إبداع على اختلاف الأنواع الأدبية التي ضمت نصوصه الأدبية، فكان يسعى لترسيخ قيم الحق والخير والجمال، وما يتفرع عنها من قيم الحرية والعدل والسلام في المجتمع، وكانت فلسفة جبران تقوم على اعتماد أساس المحبة للوصول إلى تلك القيم.

يحاول هذا الفصل الكشف عن فلسفة جبران باعتماده المحبة أساسا لتحقيق القيم العليا، واختيار بعض النماذج التي تجلت فيها القيم التي سعى جبران لترسيخها في المجتمع، من خلال مبحثين:

المبحث الأول: **فلسفة المحبة قيمة عليا.**

المبحث الثاني: **القيم العليا: تجليات سردية.**

---

[1] عباس الجراري. **الحرية والأدب**، من مواقف الحرية في الأدب القديم، مطبعة الأمنية، الرباط، 1971م، ص68.

[2] محمود أمين العالم. **الإبداع والدلالة**، ط1، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1997م، ص68.

[3] زكريا إبراهيم. **الحرية وفلسفة الفن**، بحث منشور في مجلة الهلال، ع7، 1997م، ص 141-142.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المبحث الأول:

فلسفة المحبة قيمة عليا:

لم تكن نظرة جبران للمسيح عليه السلام، وللديانة المسيحية نظرة سطحية مجردة، فمنذ صغره يأخذ به إدراكه وتأمله إلى المقبرة خلف الكنيسة حاملا معه باقة صغيرة من الأزهار، وقليلا من بخور مريم العذراء، باحثا عن قبر المسيح بين القبور[1].

يقف حائرا متسائلا عن ألوان التعصب بين الموارنة والأرثوذكس، حين كان أبوه يرفض شراء الزيت من بائع الزيت الأرثوذكسي.[2]

وقد أصبح للدين المسيحي بشكل عام أثر عميق في أدب جبران، وفي حياته، ولعل أظهر مبادئ الديانة المسيحية أثرا في أدبه هو " المحبة "[3] فالمحبة هي المبدأ الذي تقوم عليه الديانة المسيحية للوصول إلى الله، وهي المبدأ الذي تدور حوله المبادئ المسيحية وتتفرع عنه.

يرى بعض دارسي جبران أنه قد انتقل من طور الكتابة في الحب الخاص إلى الحب العام المطلق، وأن أدبه كان قوميا فأصبح إنسانيا، وعندما دخل جبران في طور الفلسفة كانت فلسفته قائمة أو مبنية على مبدأ المحبة.[4]

وبالنظر إلى معظم نصوص الأدب الجبراني نجد أن الحب معزز لانتشار الخير والعدل في الأرض، وأن الظلم مرتبط بغياب المحبة، والخير مرتبط بانتصار المحبة وبقائها.

---

[1] ميخائيل نعيمة. **جبران خليل جبران**، ص 45

[2] **المرجع ذاته**، ص 47

[3] جلال المخ. **جبران بين المصلوب والمجنون**، ص 23.

[4] جورج صيدح. أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، 1964، ص 251

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أما الألم فقد كان ينبعث من كثير من نصوصه، ذلك لأنه يحب الذين كان يتألم من أجلهم، فلماذا ثار على الإقطاعيتين السياسية والدينية، وجعل من أبطال قصصه يعاقبون بالسجن والحرمان والكفر لولا محبته العميقة للناس التي تحتم عليه مثل هذا الألم[1].

إن المحبة عند جبران تمثل الإيمان المبصر الذي ينير له الطريق ويوجه خطاه نحو الاستقرار الروحي، وقد ظل ينشد تلك المحبة مدى حياته، يقول نعيمة: " في الكثير من مقطوعات "دمعة وابتسامة" تلتمع أمامك أقباس من الحقيقة التي صاغ منها جبران فيما بعد مواعظ نبيه، وهي حقيقة المحبة التي تشد الأكوان بعضها إلى بعض، وتجعل الحياة معنى شاملا يتسامى فوق كل المقادير والمقاييس البشرّية، وتقيم للإنسان وزنا يضيق به الزمان والمكان، فما أكثر ما يجيء جبران على ذكر المحبة"[2].

ففي كتاب "النبي" تأتي المحبة في بداية الموضوعات التي يتحدث فيها "النبي" بناء على طلب من أهل المدينة بأن يخطب فيهم، ويعطيهم من الحق الذي عنده، وكأنه يؤسس لقيمة الحق العليا بالمحبة، بل إنه يعتبر أن المحبة هي الطريق الذي يوصلنا إلى "الله" : "أما أنت إذا أحببت فلا تقل: إن الله في قلبي، بل قل بالأحرى: أنا في قلب الله"[3].

وحين يتحدث عن الصداقة، فإنه يدعو لعدم الحزن على فراق الصديق إذا تم الفراق، لأن المحبة المقترنة بالصداقة قد تظهر في غياب الصديق أكثر من ظهورها في حضوره، فغاية الصداقة أن تزيد من عمق نفوسنا، لأن: " المحبة التي لا رجاء لها سوى كشف الغطاء عن أسرارها، ليست محبة بل هي شبكة تلقى في بحر الحياة، ولا تمسك إلا غير النافع"[4].

---

[1] جلال المخ. **جبران بين المصلوب والمجنون**، ص 63.

[2] جبران. **المجموعة العربية الكاملة**، تقديم: نعيمة، (مقدمة المحقق)، ص 20.

[3] جبران. **المجموعة المعربة**، أنطونيوس بشير، ص 88.

[4] **المصدر ذاته**، ص 120.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وعن الزمان يقول: " والزمان، أليس الزمان كالمحبة، لا ينقسم ولا يستعصي؟ "[1] ذلك لأن المحبة فائقة الحدود كالزمان، ويثبت ذلك بقوله: " هل بينكم رجل لا يشعر أن قوته على المحبة فائقة الحدود، بل من هو الذي لا يشعر بتلك المحبة غير المحدودة، المحصورة في صميم كيانه، لا ينتقل من فكر محبة إلى فكر محبة، ومن أعمال محبة إلى أعمال محبة غيرها"[2].

وحتى في عمليتي البيع والشراء، يضع جبران المحبة أساسا لهما، فالبيع والشراء مقايضة يجب أن تتم بروح المحبة والعدالة، وإلا فإنها " تؤدي بالبعض منكم إلى الشراهة، وبغيرهم إلى الطمع والمجاعة"[3].

أما العمل فهو برأيه الصورة الظاهرة للمحبة الكاملة، " فإذا لم تقدر أن تشتغل بمحبة وكنت متضجرا ملولا، فالأجدر أن تترك عملك وتجلس على درجات الهيكل تلتمس صدقة من العملة المشتغلين بفرح وطمأنينة"[4].

فالمحبة أيضا هي أساس العمل، والعمل الذي يتم بلا محبة، لا قيمة له، وربما كان عدم العمل بلا محبة أفضل من العمل بلا محبة: " لأنك إذا خبزت خبزا، وأنت لا تجد لك لذة في عملك، فإنما أنت تخبز علقما لا يشبع سوى نصف مجاعة الإنسان"[5].

وحتى في أعمال جبران التي سبقت طور الفلسفة والتأمل والهدوء المتمثلة في كتاب "النبي" كانت "المحبة" أيضا أساسا لتحقيق القيم وترسيخها في المجتمع، ففي قصة "خليل الكافر"

---

[1] جبران. **المجموعة المعربة**، أنطونيوس بشير، ص 123.

[2] **المصدر ذاته**، ص 122.

[3] **المصدر ذاته**، ص 104.

[4] **المصدر ذاته**، ص 98.

[5] **المصدر ذاته**، ص 98.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ربما كانت "المحبة"هي الأساس الذي ساعد على انتصار ثورته وثباته حتى النهايـــة، وهـــي السبب الذي دفع الفلاحين وسكان القرية للإحساس بالراحة والطمأنينة والفرح، لعلمهـــم بـــأن خليلا لن يغادرهم بسبب الحب الذي جمع روحه بروح " مريم " ابنة راحيل: " وأعلنت أيـــام نيسان لسكان تلك القرية سرائر الحب الخفية بين روح خليل وروح مريم ابنة راحيل، فتهللت وجوههم فرحا، ورقصت قلوبهم ابتهاجا، ولم يعودوا يخشون ذهاب الشاب الذي أيقظ قلـــوبهم إلى محيط أوسع وأرقى من وسطهم، فطافوا يبشرون بعضهم بعضا بصيرورته جارا قريبـــا، وصهرا محبوبا لكل واحد منهم"[1].

أما " خليل " فظل يؤمن بالمحبة، وبأثرها على النفوس جيدا، فعنـــدما كـــان يكـــشف للقرويين حقوقهم وواجباتهم، ويكشف لهم عن طمع الرهبان، ويحدثهم عـــن أخبـــار الحكـــام وقساوتهم، كان يفعل كل ذلك " جاعلا بين عواطفه وعواطفهم صلة قوية شـــبيهة بـــالنواميس الأزلية التي تقيد الأجرام بعضها ببعض"[2].

ويبقى " خليل " واثقا بالمحبة حتى يحقق معها ذكرا خالدا له عبر الأجيال التي توارثت الحرية والحق، ولم ترض بعد ذلك إلا بالعدل، فالمحبة التي بذلها "خليل " من روحـــه دفعتـــه لتحقيق العدل فيما بينهم، فكان: " يشاطرهم الأتعاب والمسرات، ويـــساعدهم بجمـــع الغلـــة، وعصر العنب، واجتناء الأثمار، ولم يكن يميز نفسه عن الواحد منهم إلا بمحبته ونشاطه."[3]

وهذا العدل وهذه المساواة، خلقا في نفوسهم إيمانا بالحرية والحق، فلم يعد هناك مـــن يستغل حقولهم، ويغتصب غلاتهم. " منذ تلك السنة إلى أيامنا هذه أصبح كل فلاح فـــي تلـــك

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص165.

[2] **المصدر ذاته**، ص164.

[3] **المصدر ذاته**، ص165.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

القرية يستغل بالفرح الحقل الذي زرعه بالأتعاب، ويجمع بالمسرة ثمار البستان الذي غرسه بالمشقة، فصارت الأرض ملكا لمن يفلحها، والكروم نصيبا لمن ينقبها ويحرثها"[1].

وإذا رجعنا للمقارنة بين ثورة " يوحنا " وثورة " خليل " وبحثنا عن أسباب أخرى لسقوط ثورة " يوحنا " وانتصار ثورة "خليل" ، فغنه يمكننا أن نضيف سبب اعتماد " خليل " على أساس المحبة في دعوته للتحرر والتمرد على الأحكام الجائرة، وتمسكه بهذا المبدأ حتى النهاية، ثم إن وجود علاقة محبة تربط " خليل " بامرأة فهذا شكل من أشكال المحبة، جعل البطل " خليل " يناضل بلا يأس، ليسود الحق والخير والعدل والحرية.

وفي رواية " الأجنحة المتكسرة " تأتي قصة الحب المعذب الذي لا يملك القارئ إلا التعاطف معه والشعور بالأسى إزاء ما وصل إليه، ولا شك أن عاطفة الحب في النفوس تكاد تكون من أكثر العواطف تأثيرا على الإنسان، ومنذ العبارة الأولى في الرواية يعلن جبران الحب بوصفه موضوعا أساسيا للرواية، فيقول: " كنت في الثامنة عشرة عندما فتح الحب عيني بأشعته السحرية، ولمس نفسي لأول مرة بأصابعه النارية"[2].

لذلك جاءت فكرة التعبير عن الظلم والعبودية والذل الواقع على الشعب في واقع الأمر، وعبرت عنه " الأجنحة المتكسرة " بوصفه انعكاسا لهذا الواقع، متخذة من الحب ذريعة تكشف من خلاله عن أبعاد الظلم والاضطهاد وسيادة الإقطاع الباغية.

وفي الرواية عبارة مهمة تلخص مبدأ جبران في اعتباره المحبة أساسا أو طريقا واحدا للحرية، ففي ظل القيود التي تتطرق إليها الرواية من طائفية وإقطاعية واجتماعية، لا يبقى

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص165.

[2] **المصدر ذاته**، ص169.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

للحرية شكل إلا المحبة، فالإنسان محكوم بقيود المجتمع وخاضع لتقاليده، وقد تسلب حريتـــه إلى أبعد الحدود، ولكن، هل من يجبر الإنسان على أن يحب؟ وهل من يفرض عليه حبيبا؟

فلم يشعر بطل " الأجنحة المتكسرة " بحريته إلا عندما أحب، يقول: " وهكذا انقـــضت تلك الساعة التي جمعتني بسلمى لأول مرة، وهكذا شاءت السماء وأعتقتني على حين غفلة من عبودية الحيرة والحداثة، لتسيرني حرا في موكب المحبة"[1].

وفي مقالة " يا بني أمي " تأتي ثورة جبران على القذارة والخنوع مقترنـــة بـــالحزن والشفقة على البشر[2]، فهو يتوجع لذلهم وانكسارهم، ويبكي لبكائهم، فهو يحب قومـــه ويـــشفق على ضعفهم، فالمحبة عندما تقابل بالضعف، فإنها تقترن بالشفقة والرحمة، يقول: " كنت أشفق على ضعفكم يا بني أمي... ، كنت أبكي على ذلكم وانكساركم، وكانت دموعي تجري صافية كالبلور..."[3].

وفي مقالة " حياة الحب " يصور جبران المحبة في فصول السنة الأربعة، ولا يستثني منها فصلا واحدا، وكأنه يريد أن يقول للقارئ باختصار: المحبة هي الحياة.

يصور جبران المحبة في الربيع تسير مع تموجات اخضرار السهول، ومع الجـــداول التي تسيل فوق الصخور، ومع الأزهار التي تنبثق من الطبيعة كما ينبثق الزبد من البحر.

وفي الصيف مع الحصاد الذي أنضجته محبة الشمس للأرض، ومع الطيور وجماعات النمل التي تجمع قوت شتائها، وهي على ضغث القش الناعم الذي تتوسده رؤوسنا، فترتاح من تعب النهار.

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص183

[2] جلال المخ. **جبران بين المصلوب والمجنون**، ص 63.

[3] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص391.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وفي الخريف تتجلى المحبة في عودة المحبين إلى مساكنهم بعد اصفرار الأوراق، وتوقف الجداول عن المسير، ورحيل الطيور نحو الساحل.

وهي في الشتاء مع المواقد التي تذيب برودة الثلوج[1]، فهو لا يرى شيئا في الحياة إلا مقترنا بإحساس المحبة الذي يسكن قلبه، فيجد المحبة متجسدة بكل ما يحيط به في فصول السنة كلها.

وفي " حكاية " يقرن الحب بالقوة والعدل وسبب الوجود: " أنا ضعيف أيها الحب، فلم تخاصمني وأنت القوي؟ لماذا تظلمني وأنت العادل وأنا البريء؟ لماذا تذلني ولم يكن غيرك ناصري؟ لماذا تتخلى عني وأنت موجدي؟"[2]

وفي كتابه " السابق " ثمة قطعة أدبية بعنوان " المحبة " وفيها يقرن جبران المحبة بالعدالة، فيخاطبها باسم " المحبة العادلة " طالبا منها أن تكبح جماح رغائبه، وأن تحول مجاعته وعطشه إلى إباء شمم، فالأفضل عنده أن يقضي عطشا وجوعا، وأن يموت ويفنى على أن يحيا حياته بغير المحبة، والمحبة العادلة بوجه التحديد، فبعد أن يعرض لصورتين من صور المحبة العادلة، الأولى صورة ابن آوى وهو يشرب من الجدول الواحد الذي يشرب منه الأسد، والصورة الثانية صورة النسر والشوحة اللذين ينقدان الجيفة الواحدة، وهما متفقان متسالمان[3]، يخاطب الحرية العادلة قائلا:

"يا من كبحت جماح رغائبي بيدك القديرة

وحولت مجاعتي وعطشي إلى إباء وشمم

لا تأذنني للقوي العزوم في أن يأكل الخبز، أو يشرب الخمر اللذين يستهويان ذاتي الضعيفة.

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 244-246.

[2] **المصدر ذاته**، ص 247.

[3] جبران. **المجموعة المعربة**، أنطونيوس بشير، ص 51.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ذريني بالأحرى فأقضي جوعا، بل دعي قلبي يلتهب عطشا، واتركيني أموت وأفنى، قبل أن أمد يدي لقدح لم تملأيه، أو كاس لم تباركيها"[1]

وفي آخر كتبه "حديقة النبي" عندما عاد "النبي" إلى الجزيرة التي ولد فيها بعد غياب اثنتي عشرة سنة قضاها متأملا متفكرا في مدينة " أورفليس " نجده يعود حاملا المحبة في قلبه، تلك المحبة هي التي دفعته للكلام فيما بعد عن أسرار الحكمة وعن الحياة وعن الله، فهو من يقول: " لا يزال الحب ملء يدي، وانتم يا بحارتي لا تزالون توجون شراع رؤيتي في البحر، ولن أكون أبكم سوف يرتفع صراخي حين تضغط يد الفصول على عنقي، وسأغني كلماتي حين تلتهب شفتاي..."[2].

لم تكن المحبة موضوعا مجردا يعبر عنه جبران في كل ما يكتب، بل كانت مبدأ تعلمه وآمن به، فأصبح يراها أساسا للوصول إلى كثير من القيم التي يطمح أن يعيش المجتمع في ظلها، كالعدل والحرية والسلام والخير، بل أصبح إذا أراد التعبير عن انعدام تلك القيم في المجتمع، فإنه يعبر عنها بغياب المحبة، أو وضعها موضع اضطهاد ومواجهة ليثبت اقتران المحبة بالقيم العليا.

---

[1] جبران. **المجموعة المعربة**، أنطونيوس بشير، ص 51.

[2] **المصدر ذاته**، ص 451.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المبحث الثاني:

القيم العليا: تجليات سردية:

يشير مفهوم السرد إلى مجمل التقنيات والأدوات التي تشكل معا بنية النص السردي، فالسرد يشكل نمطا يؤدي إلى اتساع حركة القص، ويبرز الأحداث، ويركز على رواية الوقائع في أبعادها المختلفة.[1]

ولا بد من توافر مجموعة من الشروط والخصائص لتشكيل البنية السردية، ويرى بعض النقاد أنه لا يمكن أن نعد كل تجمع عشوائي للأحداث والعناصر بنية سردية إذا لم تتوفر على مجموعة من الشروط الخاصة التي تسوّغ تشكل البنية السردية، ومنهم "جيرالد برنس" **(Gerald prince)** في كتابه "السرديات" ، إذ يذهب إلى أن وجود مجموعات منتقاة من الوحدات بطريقة عشوائية لا تكون سردا، وإنما يشترط توافر مجموعة من الوحدات التي تمتلك ملامح معينة مرتبة وفقا لأنماط معينة وتمتلك بنىً معينة يمكن لها أن تشكل سردا.[2]

اشتمل أدب جبران على كثير من التقنيات السردية التي عبر من خلالها عن القيم العليا، وهنا أعرض لبعض تلك التقنيات، ممثلا عليها ببعض النصوص الأدبية من مختلف الأنواع السردية في الأدب الجبراني.

أولا: الخطاب المباشر:

وهو من أكثر التقنيات السردية التي يعمد جبران إلى استخدامها بعد أن يضع فكرته بين يدي القارئ، فيتوجه إليه بالخطاب المباشر الذي غالبا ما يحمل عبرة وعظة وقيمة عليا يريد تعزيزها، ومن الأمثلة على ذلك: ما ورد عن قيمة الجمال في قوله:

---

[1] حميد لحمداني. **بنية النص السردي**، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1991م، ص64.

2 Gerald prince. **Narratology**, mouton publishers, Berlin. 1982. P 82

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

" يا أيها الذين ضاعوا في ليل التقولات وغرقوا في لجج الأوهام، إن في الجمال حقيقة نافية الريب، مانعة الشك، ونورا باهرا يقيكم ظلمة البطل، تأملوا يقظة الربيع ومجيء الصبح، إن الجمال نصيب المتأملين.

أصغوا لأنغام الطيور وحفيف الأغصان وخرير الجدول، إن الجمال قسمة السامعين..."[1]

كما نجد أن أسلوب الخطاب المباشر كان من أكثر الأساليب التي استخدمها جبران ليعبر عن العدالة، والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

" أما أنتم أيها القضاة الذين يريدون أن يكونوا أبرارا، أي نوع من الأحكام تصدرون على الرجل الأمين بجسده السارق بروحه... كيف تستطيعون أن تعاقبوا الذين لهم من توبيخ ضمائرهم، وهو أعظم من جرائمهم أكبر قصاص على الأرض؟ أليس توبيخ الضمير هو نفسه العدالة التي تتوخاها الشريعة التي تتظاهرون بخدمتها؟"[2].

ومن الأمثلة أيضا:

" أيها الراغبون في سبر غور العدالة، كيف تقدرون أن تدركوا كنهها إن لم تنظروا إلى جميع الأعمال بعين اليقظة في النور الكامل "[3]

وقد رأى كثير من دارسي جبران أن لغة السرد عنده تتسم بميلها نحو الوعظ والتقرير، وهذا ما يسبب خللا فنيا في قصص جبران كلها، وفي رواية " الأجنحة المتكسرة" على وجه الخصوص؛ فجبران "لا ينظر إلى القصة باعتبارها أحداثا ينبغي أن تحتفظ بوحدتها

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 260.

[2] جبران. **المجموعة المعربة**، أنطونيوس بشير، ص 109.

[3] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم نعيمة، ص155.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وذاتيتها، وإنما يراها مجموعةٌ من المواقف والمشاهد يستطيع عن طريقها أن يشبع ميله إلـــى الوعظ."[1]

وقد وجدت أسلوب الوعظ هذا قد أخذ مساحة كبيرة من تعبيره عن القيم العليا، فالهدف هو تعميم تلك القيم بشكل واضح مباشر، ومن الأسباب التي أرجحها لاستخدام جبران مثل هذا الأسلوب هو أن الفئة المخاطبة في غالبية أعماله هي –كما ذكرت سابقا– إما الفلاح الفقير، أو المرأة الضعيفة، ولا نستطيع إغفال هذا الجانب وأثره على السرد، فالسرد في أحد جوانبه هو الكيفية التي تروى بها القصة عن طريق ثلاثة عناصر: الراوي والقصة والمروي لـــه، ومـــا تخضع له هذه العناصر من مؤثرات متعلق بعضها ببعض[2].

ومن الأمثلة على ذلك في تعبيره عن الحب والحرية يقول: " إن الله قد بعث أرواحكم في هذه الحياة كشعلات مضيئة تنمو بالمعرفة، وتزيد جمالا باستطلاعها خفايا الأيام والليالي، فكيف تلحقونها بالرماد لتبيد وتنطفئ؟ إن الله قد وهب نفوسكم أجنحة لتطير بها ســـابحة فـــي فضاء الحب والحرية، فلماذا تجزونها بأيديكم وتدبون كالحشرات على أديم الأرض؟ إن الله قد وضع في قلوبكم بذور السعادة، فكيف تنتزعونها وتطرحونها على الصخر لتلتقطها الغربـــان وتذريها الأرياح؟"[3].

---

[1] عبد الكريم الأشتر. **النثر المهجري** ، ج2، ص83.

2 حميد لحمداني. **بنية النص السردي**، ص45

[3] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 155.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثانيا: الوصف:

يرتبط الوصف ارتباطا وثيقا بالسرد، بل إنهما عنصران متداخلان وعمليتان متماثلتان والفرق بينهما يكمن في أن السرد يستعيد تعاقب زمن الأحداث من خلال تعاقب زمن الخطاب، بينما الوصف محكوم باستخدام التعاقب لنقل صورة الأشياء التي تظهر مجتمعة في المكان.[1]

وفي أدب جبران ما يقوم بشكل أساسي على الوصف مثل رواية " الأجنحة المتكسرة" وبعض قصصه، ومنها ما يكاد يخلو من الوصف ويعمد إلى التكثيف مثل كتابه " رمل وزبد" ، وبعض الأقاصيص الواردة في كتابه " التائه" ، ويرجع هذا برأيي إلى طبيعة النوع الأدبي الذي يسمح بالوصف المسهب كالرواية، والذي يتطلب التكثيف كالأقصوصة، فقد وجدت بأن السمة الأبرز للغة " الأجنحة المتكسرة" أنها تعتمد لغة الوصف التي تخلو من الحركة فتأتي أغلب المقاطع الوصفية بلا حدث أو شخصية أو حركة.

وبما أن الوصف لا ينفصل عن السرد فقد كان للوصف دوره في تمثيلات القيم العليا في أدب جبران، ومن ذلك تعبيره عن الجمال في " الأجنحة المتكسرة" : " إن الجمال في وجه سلمى لم يكن منطبقا على المقاييس التي وضعها البشر للجمال، بل كان غريبا كالحلم أو كالرؤيا أو كفكر علوي لا يقاس، ولا يحد ولا ينسخ بريشة المصور، ولا يتجسم برخام الحفار، جمال سلمى لم يكن في شعرها الذهبي، بل في هالة الطهر المحيطة به، ولم يكن في عينيها الكبيرتين، بل في النور المنبعث منهما، ولا في شفتيها الورديتين، بل في الحلاوة السائلة عليهما، ولا في عنقها العاجي، بل في كيفية انحنائه قليلا إلى الأمام، جمال سلمى لم

---

1 جيرار جينيت. **حدود السرد**، ترجمة: بنفيس بو حمالة، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، 1992، ص 72

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

يكن في كمال جسدها بل في نبالة روحها الشبيهة بشعلة بيضاء متقدة سابحة بين الأرض واللانهاية"[1].

وكذلك في قوله عن الجمال والحب: " الجمال الحقيقي هو أشعة تنبعث من قدس أقداس النفس، وتنير خارج الجسد مثلما تنبثق الحياة من أعماق النواة، وتكسب الزهرة لونا وعطرا – هو تفاهم كلي بين الرجل والمرأة يتم بلحظة، وبلحظة يولد ذلك الميل المترفع عن جميع الميول – ذلك الانعطاف الروحي الذي ندعوه حبا"[2].

كما أن جبران كان يوظف الوصف المتداخل مع السرد لخدمة أفكاره الداعية للقيم العليا، المنددة بالظلم والعبودية، فلم يكن الوصف عنده في مواضعه جميعها مجرد استراحة للسرد ليس لها سوى دور جمالي تزييني، بل إننا نجد وظيفة أخرى تقضي بخدمة الفكرة وتشكل عنصرا أساسيا في عرضها، ومن ذلك قوله: " وفي لبنان – ذلك الجبل الغني بنور الشمس، الفقير إلى نور المعرفة – قد اتحد الشريف والكاهن على الفقير الضعيف الذي يحرث الأرض ويستغلها كيما يحمي جسده من سيف الأول ولعنة الثاني"[3]. فالوصف القصير للبنان " غني بنور الشمس، فقير إلى نور المعرفة" جاء مفسرا لحال أهل لبنان لما هم عليه من ذل وعبودية ورضوخ للكهان ورجال السياسة.

ثالثا: التكثيف:

يلاحظ أن كثيرا من نصوص أدب جبران تتميز بوحدة الموضوع والغرض، فكل نص مبني من أجل توصيل فكرة أو مقولة محددة، وهذه الميزة تستلزم سمة التكثيف التي تكفي لأداء الغرض من النص، وقد ظهرت هذه السمة في كتاب " رمل وزبد" وكتاب " التائه"

---

[1] جبران. **المجموعة العربية**، تقديم: نعيمة، ص 184.

[2] **المصدر ذاته**، ص 181.

[3] **المصدر ذاته**، ص 141

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وبعض النصوص المنشورة في كتبه الأخرى، ففي كتاب " رمل وزبد" كثير من المعاني المكثفة التي تتحدث عن القيم العليا، فعن الجمال يقول جبران: " إذا بلغت إلى قلب الحياة تجد الجمال في كل شيء، حتى في العيون المتعامية عن الجمال "[1].

وعن الخير يقول: " إن الذي يستطيع أن يضع إصبعه على الخط الفاصل بين الخير والشر يستطيع بالحقيقة أن يلامس هدب ثوب الله"[2]. وعن الحق: " ليس من يصغي للحق بأصغر ممن ينطق بالحق "[3]. وعن العطاء: " ليس السخاء بأن تعطيني ما أنا في حاجة إليه أكثر منك، بل السخاء بأن تعطيني ما تحتاج إليه أكثر مني"[4].

وكذلك يقول: " إن الذين يعطونك حية وأنت تسألهم سمكة ، ربما ليس لديهم ما يعطونه غير الحيات،ولذلك يحسب عملهم أريحية وسخاء"[5].

كما أن جبران يجمع في مقولة واحدة بين قيمتين من القيم العليا وقد يربط إحداها بوجود الأخرى، فمثلا يقول عن قيمتي الجمال والحق: " في الوجود عنصران لا ثالث لهما، وهما الجمال والحق، الجمال في قلوب المحبين، والحق في سواعد الذين يحرثون الأرض"[6].

إن التكثيف في لغة السرد يمنح المتلقي قوة تركيز عالية على البؤرة المركزية للنص وقد ظهر ذلك من خلال الأمثلة السابقة حيث لا يقف القارئ على أية كلمة زائدة فيها.

---

[1] جبران. **المجموعة المعربة**، أنطونيوس بشير، ص 166

[2] **المصدر ذاته**، ص 172

[3] **المصدر ذاته**، ص 189

[4] **المصدر ذاته**، ص 170

[5] **المصدر ذاته**، ص 171

[6] **المصدر ذاته**، ص 190.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

رابعا: تجسيم المفارقة:

ومن التقنيات السردية التي وظفها جبران في بناء نصوصه تقنية تجسيم المفارقة، وقد استطاع من خلالها التعبير عن إحدى القيم العليا وهي الجمال من خلال إحدى أقاصيصه الواردة في كتاب " التائه" تحت عنوان " ملابس" وفيها يجعل الجمال يرتدي ملابس القبح، والقبح يرتدي ملابس الجمال، يقول: " تلاقى الجمال والقبح ذات يوم على شاطئ البحر، فقال كل منهما للآخر: هل لك أن تسبح؟ ثم خلعا ملابسهما وخاضا العباب، وبعد برهة عاد القبح إلى الشاطئ وارتدى ثياب الجمال ومضى في سبيله، وجاء الجمال أيضا من البحر ولم يجد لباسه، وخجل كل الخجل أن يكون عاريا، ولذلك لبس رداء القبح ومضى في سبيله. ومنذ ذلك اليوم والرجال والنساء يخطئون كلما تلاقوا في معرفة بعضهم البعض غير أن هنالك نفرا ممن يتفرسون في وجه الجمال ويعرفونه رغم ثيابه، وثمة نفر يعرفون وجه القبح والثوب الذي يلبسه لا يخفيه عن أعينهم"[1].

وقد يعبر هذا النص عن كثير من القيم التي لا يمكن للمظاهر الخارجية أن تطغى عليها أو تخفي جوهرها.

[1] جبران. **المجموعة المعربة**، أنطونيوس بشير، ص 398

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University

خاتمة:

عالجت هذه الأطروحة موضوع "تمثيلات القيم العليا في أدب السرد عند جبران خليل جبران" وكشفت عن مفهوم القيم العليا وآفاقها المشتركة، وتحدثت عن شخصية جبران من حيث نشأته وظروفه الشخصية والعصر والبيئة التي نشأ فيها وأثرت في إنتاجه الأدبي، وعن أدب السرد عنده بشيء من التفصيل، وألقت الضوء على جل الأنواع السردية التي طرقها، منطلقة من فرضية أن الأديب فرد من أفراد المجتمع يقدس القيم ويسعى لتحقيقها بوصفه شخصا متميزا بخبرته وغنى تجاربه، ومن فرضية أن الأدب يصدر عن قيم ويدعم قيما يؤمن بها كاتبه.

وقد بدأ البحث عن تمثيلات القيم العليا في أدب السرد مع فكرة العدالة الإنسانية التي تشمل الجوانب التي تمس حياة الإنسان من سياسية واقتصادية واجتماعية ودينية، بدراسة كل نوع سردي بشكل منفصل؛ مراعاة لفلسفة النوع الأدبي، وقاد الحديث عن فكرة العدالة الإنسانية إلى خطاب الحرية والمساواة الذي ظل ينادي به جبران حتى نهاية حياته متوجها به في أغلب الأعمال إلى فئتين لا يستهان بهما في بنية المجتمع، بل يمكن اعتبارهما المجتمع بأكمله، وهما: المرأة والكنيسة، وما تقوم به كل فئة من دور، وما قد ترمز إليه، وقاد هذا الخطاب إلى قضية الفرد والمؤسسة التي تعبر عن الرؤية الاجتماعية، وأخيرا عن أساس القيم العليا المتمثل في قيمة"المحبة" من وجهة نظر الفلسفة الجبرانية، كما عملت الدراسة على جمع واختيار بعض النصوص السردية التي تجلت بها بعض القيم العليا.

وقد توصلت الدراسة إلى نتائج يمكن إجمال أهمها: إن جبران نتاج بيئات ثقافية متعددة في الشرق والغرب، كان لها أوضح الأثر في أدبه، فقد صدر أدبه عن قيم ودعم قيما آمن بها، وسعى لتحقيقها، وقد كان لنشأته وظروفه الخاصة أثر كبير في نمو تلك القيم في

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فكره، وإن فكرة العدالة الإنسانية قد تجلت في جل ما كتب جبران، وفي المراحل جميعها التي عاشها ومر بها، ففي قصصه مثّل الفقراء والضعفاء ومسلوبو الإرادة الخاضعون للحكام وللتقاليد الجائرة مثّل كل هؤلاء أبطال قصص جبران، وكانوا في الغالب إما المرأة الضعيفة أو الفلاح الفقير، وهي الفئة ذاتها التي وجه جبران مقالاته لها.

تمثلت قيمة العدالة الإنسانية في رواية" الأجنحة المتكسرة" من خلال محاور ثلاثة: النقمة على رجال الدين ورفض سلطتهم، والتفاوت الطبقي والاجتماعي، والمرأة الشرقية وإرادتها المسلوبة. وقد عدَّ جبران المرأة المظلومة رمز الأمة المظلومة، فحملها بذلك الكثير من صور الظلم الاجتماعي في علاقاتها المختلفة مع زوجها أو مع حبيبها أو مع أهلها أو حتى مع المؤسسة الدينية التي تستظل بظلها، ومثلت المرأة التي وجه جبران خطابه لها مطالبا بحريتها نموذجين: نموذج الخضوع والاستسلام، وذلك في مجموعة "عرائس المروج" ونموذج التمرد والتحرر، وذلك في مجموعة "الأرواح المتمردة".

إن أدب جبران كان استمرارا فكريا، وضميرا حيا لثورة الفلاحين الذين سلبهم رجال الدين المتحالفون مع رجال الإقطاع أراضيهم وحقوقهم، فواقع لبنان بكل ما حمل من معنى للظلم والاضطهاد، لم يكن قد غاب عن فكر جبران الواعي، بل مثل صدى لكثير من أعماله الأدبية التي صورته كما هو، بل حاولت التغلب عليه بالثورة والتمرد.

أخذت حرية التعبير في أدب جبران شكلين متشابهين: من حيث المبدأ، ورأي الكنيسة، ومختلفين في النتيجة التي توصل إليها كل من أبطال قصصه: "يوحنا المجنون" و"خليل الكافر"، فقد كان صوت الفرد الذي مثله جبران في أعماله انعكاسا لرؤيته الاجتماعية، وما تطمح له تلك الرؤية من تحقيق لقيم عليا تسود المجتمع وترتقي به.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

للفن الجبراني فلسفة تقوم على مبادئ عدة، تترسخ من خلالها القيم العليا وأهمها قيمة "المحبة"، فمعظم نصوص الأدب الجبراني تدعم فكرة: إن وجود المحبة معزز لانتشار الخير والعدل في الأرض، وإن الظلم مرتبط بغياب المحبة، والخير مرتبط بانتصار المحبة وبقائها، وأخيراً فقد وظّف جبران كثيراً من التقنيات السردية من مثل: التكثيف، والتجسيم، والخطـــاب المباشر وغيرها لإبراز القيم العليا في نصوصه المختلفة.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ثَبَتُ المصادر والمراجع:

1- المصادر:

- جبران خليل جبران. **الأجنحة المتكسرة**، تقديم: صلاح الدين البستاني، دار العرب للبستاني، القاهرة، 1986م

- جبران خليل جبران. **الشعلة الزرقاء، رسائل جبران خليل جبران إلى مي زيادة**، تحقيق وتقديم:سلمى الحفار الكزبري وسهيل بشروئي، ط2، مؤسسة نوفل،بيروت ، 1984م

- جبران خليل جبران. **المجموعة الكاملة المعربة عن الإنكليزية**، ترجمة: أنطونيوس بشير، دار صادر، بيروت، د.ت

- جبران خليل جبران. **المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران العربية**، تقديم: ميخائيل نعيمة، دار صادر، دار بيروت، بيروت، 1949م

- جبران خليل جبران. **النبي**، ترجمة: ثروت عكاشة، ط4، دار طلاس، دمشق، 1991م

- جبران خليل جبران. **النبي**، تقديم وتعريف: جميل جبر، ضبط وشرح ومداخلة: سامي. ج. الخوري، دار الجيل، بيروت، 1997م

- جبران خليل جبران. **نبي الحبيب، رسائل الحب بين ماري هاسكل وجبران، مع مذكرات ماري هاسكل**، جمع: فيرجينيا حلو، ترجمة: لوران فارس، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1974م

المراجع:

- إبراهيم السعافين. **تطور الرواية الحديثة في بلاد الشام**، ط1، دار الرشيد، بغداد، 1980م

- إبراهيم الصحراوي. **الحرية والإبداع**، ط2، منشورات جامعة فيلادلفيا، الأردن، 2002م

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- إحسان عباس ومحمد يوسف نجم. **الشعر العربي في المهجر، أمريكا الشمالية**، دار صادر، بيروت، 1957م

- اسكندر نجار. **قاموس جبران خليل جبران**، ط1، دار الساقي، بيروت، 2008م

- إميل كبا. **النساء في الأدب الجبراني**، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1995

- أنطون كرم. **محاضرات في جبران خليل جبران، سيرته وتكوينه الثقافي – مؤلفاته العربية**، ط1، معهد الدراسات العربية العالمية، القاهرة، 1964م

- أنيس المقدسي. **الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث**، ط6، دار العلم للملايين، بيروت، 1977م

- توفيق الطويل. **أسس الفلسفة**، النهضة العربية، القاهرة، 1967

- ثروت عكاشة. **روائع جبران خليل جبران**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ت

- جابر عصفور. **زمن الرواية**، ط1، الهيئة المصرية، القاهرة، 1999م

- جلال المخ. **جبران خليل جبران بين المصلوب والمجنون**، ط1، دار المعارف، سوسة، تونس، 1997

- جميل جبر. **جبران خليل جبران في حياته العاصفة**، ط1، مؤسسة نوفل، بيروت، 1981م

- ـــــــــ. **جبران في عصره وآثاره الأدبية والفنية**، ط1، مؤسسة نوفل، بيروت، 1983

- ـــــــــ. **قصة حب أغرب من الخيال بين مي وجبران**، ط1، دار صادر، بيروت، 2001م

- جورج أنطونيوس. **يقظة العرب، تاريخ حركة العرب القومية**، ترجمة: ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت، 1962م

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

- جورج صيدح. **أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية**، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، 1964

- جيرار جينيت. **حدود السرد**، ترجمة: بنفيس بو حمالة، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، 1992

- حسين مروة. **قضايا أدبية**، دار الفكر، القاهرة، 1956م

- حميد لحمداني. **بنية النص السردي**، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1991م

- خريستو نجم. **المرأة في حياة جبران**، ط1، دار الرائد، لبنان، 1985م

- خليل حاوي. **جبران خليل جبران، إطاره الحضاري، وشخصيته، وآثاره**، نقله إلى العربية: سعيد فارس باز، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1982م

- روز غريب. **جبران في آثاره الكتابية**، ط3، دار صادر، بيروت، 2002م

- زكريا إبراهيم. **الحرية وفلسفة الفن**، مقال منشور في مجلة الهلال، ع7، 1997م

- ـــــــــــ. **كانط وفلسفته النقدية**، مكتبة مصر، القاهرة، د.ت

- ـــــــــــ. **مشكلة الفلسفة**، مكتبة مصر، القاهرة، 1971م

- زكي نجيب محمود. **فلسفة وفن** ، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت

- شكري عزيز الماضي. **في نظرية الأدب**، ط1، دار المنتخب العربي، بيروت، 1993

- صابر عبد الدايم. **أدب المهجر دراسة تأصيلية تحليلية لأبعاد التجربة التأملية في الأدب المهجري**، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1993

- صلاح قنصوة. **نظرية القيم في الفكر المعاصر**، ط2، دار التنوير، لبنان، 1984م.

- طانيوس منعم. **جبران والكنيسة**، محاضرات المجلس الثقافي للبنان الشمالي، سنة جبران العالمية، ط1، دار الإنشاء، بيروت، 1983م

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- طـــوني شعـــشع. **أيـــن مؤلفـــات جبـــران الكاملـــة المحققـــة ؟** www.terezia.org/section.php?id1885

- عادل العوا. **العمدة في فلسفة القيم**، ط1، دار طلاس، دمشق، 1986م

- عباس الجراري. **الحرية والأدب، من مواقف الحرية في الأدب القديم**، مطبعـــة الأمنيـــة، الرباط، 1971م

- عبد العزيز النعماني. **جبران بين التمرد ومصالحة النفس**، ط1، الدار المصرية اللبنانيـــة، القاهرة، 1997

- عبد الكريم الأشتر. **النثر المهجـــري**، الجزء الثاني، معهد الدراســـات العربيـــة العالميـــة، القاهرة، 1961م

- علي المحافظة. **الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهـــضة 1798-1914م**، ط5، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1987م

- عمر الدقاق. **ملامح النثر الحديث وفنونه**، ط1، دار الأوزاعي، بيروت، 1997م

- عيسى الناعوري. **أدب المهجر**، ط3، دار المعارف، مصر، 1977م

- فؤاد عادل. **العدالة الاجتماعية: عقيدة، هدف، مـــصير**، دار الكتـــاب العربـــي، القـــاهرة، 1969م

- فصل العيسى. **النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية**، رسالة ماجستير غير منـــشورة، جامعة آل البيت، 2004م

- فلاديمير لوتسكي. **تاريخ الاقطار العربية الحديث**، ترجمة عفيفـــة البـــستاني، دار التقـــدم، موسكو، 1971م

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

- فوزي عطوي. **جبران خليل جبران، عبقري من لبنان**، ط1، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، 1971م

- كمال وهبي. **وجه أمي وجه أمتي، شخصية جبران الأدبية في ضوء التحليل النفسي**، ط1، المؤسسة الجامعية، بيروت، 1991

- محمد غنيمي هلال. **النقد الأدبي الحديث**، دار نهضة مصر، القاهرة، 1996م

- محمد كامل الخطيب. **تكوين الرواية العربية، اللغة ورؤية العالم**، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1990م

- محمد فتحي عبدالله. **معجم مصطلحات المنطق وفلسفة العلوم للألفاظ العربية والإنجليزية والفرنسية واللاتينية**، دار الوفاء، الإسكندرية، 2002

- محمد يوسف نجم. **القصة في الأدب العربي الحديث 1870-1914**، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1966م

- محمود أمين العالم. **الإبداع والدلالة**، ط1، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1997م

- مصطفى محمود. **المثقف والسلطة**، ط1، دار قباء، القاهرة، 1998م

- ميخائيل نعيمة. **جبران خليل جبران، حياته، موته،أدبه، فنه**، ط 8، مؤسسة نوفل، بيروت، 1978م

- نذير العظمة. **جبران خليل جبران في ضوء المؤثرات الأجنبية**، دراسة مقارنة، ط1، دار طلاس، دمشق، 1987م

- نزار هنيدي. **هكذا تكلم جبران، دراسة في الأدب الجبراني**، ط ا، مؤسسة علاء الدين للطباعة والتوزيع، دمشق، 2004م

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- وديع أمين ديب. **الشعر العربي في المهجر الأمريكي: دراسة وتحليل**، دار الريحاني، بيروت، 1955

- وفاء القاشوطي. **القيم في فلسفة ماكس شلر**، ط1، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، 2004م، ص 244.

- يوحنا قمير. **جبران في الميزان**، ط1، دار المشرق، بيروت، 1992م

- يوسف الحويك. **ذكرياتي مع جبران: باريس 1909-1910**، ط2، مؤسسة نوفل، بيروت، 1979

- Cesil Maurice bowra. **The Romantic Imagination**. Oxford University Press. London. 1961

- Gerald prince. **Narratology**, mouton publishers, Berlin. 1982.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

Abstract

Khazalah, Asma'a Abed. (Representations of High Values in Gibran Khalil Gibran's Narratives). Doctoral Dissertation / Yarmouk University, 2011. (Supervisor Professor Nabil Haddad).

This study aims to investigate the high values in narrative literature of Gibran Khalil Gibran, and to prove the premise that literary representation reflects the image of society; there is a relation between literature and the philosophy of high values that is clarified by content and form.

This study is divided into a preface, an introduction, five chapters and a conclusion. The introduction focuses on the concept of high values and its relevant nuances. In first the chapter, I have studied Gibran and his narrative literature, the effect of his ethnic origin, his personal circumstances, world-view, and the effect of East and West in the formation of his character. I have also studied Girban's ingenuity in wirting short stories, novels, and literature of meditation.

In the second chapter, "the Interaction of Narrative literature with the Idea of Humanitarian Justice," I have explained the value of justice in in (The Broken Wings), his short stories, his articles and his meditations. In the third chapter, I have discussed social vision horizons in Gibran's literature. In the fourth chapter, I have studied the values of freedom and equality in the contexts of the freedom of woman and the church. In the fifth chapter, I have discussed the relation of high values to the philosophy of art.

Finally, in the conclusion I have indicated the most important results of my study.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library Yarmouk University